

بَهجة المجالس ، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهَاجس

تأليف

الإمام أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الثاني
من القسم الأول

تمهيد

محمد مرسي البخولي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ، وَأَنْبُسُ الْمَجَالِسِ
وَشَخْذُ الْذَاهِمِ وَالْهَاصِبِ

باب الظنِّ والزَّكَاةِ (١)

قد تقدم في الباب الذي قبل هذا ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ظننتم فلا تحققوا » .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (٢) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث » .

قال عمر بن الخطاب : لا يحل لامرئٍ مسلمٍ سَمِعَ (٣) من أخيه كلمة أن (٤) يظن بها سوءاً ، وهو يجحد لها في شيء من الخير . مخرجاً .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا ينتفعُ بنفسه من لا ينتفعُ بظنه .

قال علي بن أبي طالب : حُسْنُ الظنِّ بالله ألا ترجو إلا الله ، ولا تخاف إلا ذنبك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يعمونَ أحدُكم إلا وهو يُحسِنُ الظنَّ بالله » .

قال الحسنُ البصريُّ : إنَّ المؤمنَ إذا أحسنَ الظنَّ أحسنَ العمل .

قال أبو مسلم الخولاني : اتَّقُوا ظَنَّ المؤمنِ ، فإن الله جعل الحقَّ على لسانه وقلبه .

(١) الزَّكَاةُ : الفهم والفرس والظن ، أو هي ظن بمنزلة البغي .

(٢) سورة النجم ٢٨ .

(٣) ب : يسمع .

(٤) ساقط من ب

قال عبد الله بن عباس : كفى بك ظالماً^(١) ألا تزال مخاصماً ، وكفى بك إثماً
ألا تزال ممارياً .

وعن ابن مسعود : قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : ما أمارى أخى أبداً ، لأنى
أرى أنى إما أن أكذبه وإما أن أغضبه .

قال عبد الله بن حسين^(٢) بن علي رضي الله عنهم : المرء رائد الغضب ،
فأخزى^(٣) الله عقلاً يأتيك به الغضب .

قال محمد بن علي بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتُنبتُ الشَّحْناء في
صدور الرجال .

كان يقال : لا تمارِ حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيكَ .

قيل لعبد الله بن حسن بن حسين^(٤) : ما تقول في المرء ؟ قال : يفسد الصداقة
القديعة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون دَرِيْثَةً^(٥) للمغالبة ، والمغالبة
أُمتن^(٦) أسباب القطيعة .

قال عبد الله بن عباس لمعاوية : هل لك في المناظرة فيما زعمت^(٧) أنك خاصمت^(٨)

(١) ب : ظالماً . (٢) ساقط من أ .

(٣) ب : فأخذ . (٤) ساقط من أ .

(٥) ب : درية ، والدرية : ما يستتر به من الصيد ليختل . (٦) أ : أمتس .

(٧) أ : رغبت . (٨) أ : خصمت .

فيه أصحابي؟ قال : وما تصنع بذلك ؟ أشنب بك وتشنب بي ، فيبقى في قلبك ^(١) ما لا ينفعك ، ويبقى في قلبي ما يضرك ^(٢) .

قال إبراهيم التيمي : إياكم والخصامات في الدين ، فإنها تحببط الأعمال .

قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التثقل

قال الأوزاعي : إذا أراد الله بقوم شرّاً ألزمهم الجدال ، ومنهمم العمل .

قال ابن الزناد : ما أقام الجدال شيئاً إلا كسره جدل مثله .

وقد أفردنا في كتاب « بيان العلم » باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال ، وباباً

فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة ، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلف ما فيه كفاية وبيان ، والحمد لله وهو المستعان .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول : من لاحى الرجال وماراهم قلت ^(٣) كرامته ،

ومن أكثر من شيء عرف به .

وقال مسعر بن كدام الهلالي يوصي ابنه كداما :

إِنِّي مَنَحْتُكَ يَا كِدَامُ نَصِيحَتِي فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبٍ عَلَيْكَ شَفِيقٍ
أَمَّا الْمَرْاحَةُ وَالْمِرَاةُ فَدَعَهُمَا خُلُقَانٍ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقٍ
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا لِجُجَارٍ وَلَا لِزَفِيقٍ

(١) : ذلك

(٢) ب : ما لا يضرك .

(٣) : كثرت .

وَالْجَهْلُ يُزْرَى بِالْفَتَى فِي قَوْمِهِ وَعُرُوقُهُ فِي النَّاسِ أَيْ عُرُوقِ^(١)

وقال مصعب الزبيري :

أَقْعَدُ بَعْدَمَا وَجَفَتْ^(٢) عِظَامِي وَكَانَ الْمَوْتُ أَقْرَبَ مَا يَلِينِي
أَجَادِلُ كُلَّ مُعْتَرِضٍ خَصِيمٍ وَأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضًا لِدِينِي
فَأَتْرُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْيِ غَيْرِي وَلَيْسَ الرَّأْيُ كَالْعِلْمِ الْيَقِينِ
وَمَا أَنَا وَالْخُصُومَةُ وَهِيَ لِنَسْ تُصَرِّفُ فِي الشَّمَالِ وَفِي الْيَمِينِ^(٣)

في أبيات قد ذكرناها بتمامها في كتاب « بيان العلم وفضله » والحمد لله .

قال أبو العباس النّاشي :

وَإِذَا مُبْلِيتٌ بِجَاهِلٍ مُتَحَامِلٍ يَحْدُ الْمُحَالَ مِنْ الْأُمُورِ صَوَابًا
أُولَيْتُهُ مِنِّي السُّكُوتَ وَرُبَّمَا كَانَ السُّكُوتُ عَلَى الْجَوَابِ جَوَابًا^(٤)

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٦ ، جامع بيان العلم ٢/٩٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٨ . حماسة البعري ٣٩٩
ونبها : أ كدام إني قد محضت نصحتي .

(٢) ١ : رجعت .

(٣) اطلع الأبيات في معجم الشعراء ٢ : ٤٠٢ ، البيان ٣/٣١٩ ، جامع بيان العلم ٢/١٠٠ .

(٤) البستان في وفیات الأعيان ٣/٥٣ .

باب المراء والخصومة والملاحاة^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيمُ بيت في أعلى الجنة ، وبيت في وسط الجنة ، وبيت في ربض^(٢) الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً ، ومن ترك الكذب وإن كان لاعباً ، ومن حسنفت مخالفته للناس » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لما أُسْرِى بى كان^(٣) أول ما أمرنى به ربه أن قال : إِيَّاكَ وَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ ، وَمَلَا حَاةَ الرِّجَالِ » .

قال قيسُ بنُ السائب : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شريكى فى الجاهلية ، فكان خيرَ شريك ، فكان لا يدارى ولا يمارى .

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : إِذَا كَانَ لَكَ أَخٌ فِي اللَّهِ فَلَا تَمَارِهِ ، وَلَا تَسَارِهِ الْحَدِيث .
قال لقمانُ لابنه : يَا بَنَى لَا تُمَارِينَ حَكِيماً ، وَلَا تَجَادِلِينَ لَجُوجاً ، وَلَا تَعَاشِرِينَ ظُلُوماً ، وَلَا تَصَاحِبِينَ مَتَهَمًا .

قال لقمانُ لابنه : يَا بَنَى مَنْ قَصَرَ فِي الْخِصَّةِ خُصِمَ ، وَمَنْ بَالَغَ فِيهَا أُثِمَ ، فَقُلِ الْحَقُّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تُبَالَ مِنْ غَضَبٍ .

وفى الحديث المرفوع : « احْذَرُوا جِدَالَ كُلِّ مَفْتُونٍ ، فَإِنَّهُ يُبَلِّغُ حُجَّتَهُ إِلَى انْقِطَاعِ مُدَّتِهِ » .

(١) المراء : الشك والجدل ، والملاحاة : النزاع واللؤم .
(٢) ب : ربه ، والربض من الجبل : ما يلى الأرض منه .
(٣) ساقطة من أ .

سب أعرابي أعرابيا ، فسكت . فقيل له : لِمَ سكتَ عنه ؟ فقال : ما لي علم
بما فيه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

ولمحمد بن زياد الحارثي :

وَأَرْفَعُ نَفْسِي عَنْ نَفُوسٍ وَرُبَّمَا تَذَلَّتْ فِي إِكْرَامِهَا لِنَفُوسٍ
وَإِنْ رَأَمَنِي يَوْمًا خَسِيسٌ بِجَهْلِهِ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَرْضَى بِعِرْضِ خَسِيسٍ^(١)

وقال حسان بن ثابت :

مَا أَبَالِي أَنْتَ بِالْحَزَنِ تَبْسُ أُمِّ لَحَانِي بظَهْرِ غَيْبِ كَيْسَمٍ^(٢)

وقال آخر :

وَقُلْ لِيَزِيدَ إِنْ شَتَمْتَ سَرَاتِنَا فَلَسْنَا بِشَتَائِمِينَ لِلْمُتَشَمِّ
وَلَكِنَّا نَأْبَى الْجَوَابِ وَنَقْتَضِي بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ غَشْمَشَمٍ^(٣)

قال الخليل : الغشمشم : الجريء الماضي ، قال الشاعر :

عَبِلُ الشَّوَى غَشْمَشَمًا غَاشِمًا ،

(١) ساقط في ب ، وهما في العقد الفريد ٢/٢٨٥ .

(٢) البيت في ديوانه ١٠٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، وبالنسبة : صاح عند الهياج .

(٣) البيتان والبيت الذي سيأتي في الصفحة التالية وهو : وتبطش أيدينا ... الخ ، لمحمد بن علقمة ، انظر حماسة أبي تمام ١/١٥٧ ، الأمالي للقال ١/١١٥ ، عيون الأخبار ١/١٩٨ . ورواية الحماسة : قل لزهير ، ونعتصم مكان تقتضي ، ومنها ما . تأخذ السيف وتضرب به مثل العصا ، وروى : مصمم ، بدل غشمشم ، وتجهل بدل تبطش .

(٤) عبِل الشوى : ضخم اليدين والرجلين ، والغشمشم : الجريء الماضي - كما ذكر الخليل ، والغاشم : العالم ، وانظر اللسان مادة « غشم » .

وقال آخر :

وَتَبْطُشُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأَيْنَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

وقال الأخطل :

أَنْبَشْتُ كَلْبًا تَنَى أَنَّ تُسَافِهِنَا وَطَالَمَا سَافَهُونَا ثُمَّ مَا ظَفِرُوا
قَدْ أَنْذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةُ الذِّكْرُ^(١)

وقال آخر :

فَإِن تَشْتُمُونَا عَلَى لُؤْمِكُمْ فَقَدْ تَقْرِضُ الْعُثُ مُلْسَ الْأُذُنِ

العث : دَوِيَّة صغيرة ليس بها قوة إلا أنها تقرض كل شيء .

وقال آخر :

هَلْ يَشْتُمَنِي لَا أَبَا لَكُمْ كَدِسُ الثِّيَابِ كَطَايُخِ الْقِدْرِ
جُعِلَ تَعَطَّى فِي غَنَائَتِهِ زَمِنُ الْمُرُوءَةِ نَاقِصُ الشَّبْرِ^(٢)

أعطى الحسن بن علي شاعراً ، فقليل له : تعطى من يقول البهتان ، ويعصي

(١) ديوانه ٢٠٨/٢ ، ٢٦٩ ، والبيت الثاني هذا ملق من بيتين ، والرواية في الديوان :

قد أندروا حية في رأس هضبتة وقد أنتم به الأخبار والنذر

هنالك قالوا أنام الاء حيتة وما يكاد ينام الحية الذكر

(٢) المجلد : دوسة مئة ، والغثاة : الإفراط أو الفج ، وزمن المروءة : مريضها ، ونافس الشبر :

القصير القبيح .

الرحمن ؟ فقال : إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابتغى الخير اتقى الشر . وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك في شاعر مدحه فأعطاه . وقد كان يقال : إعطاء الشاعر من بر الوالدین .

قال جرير :

وَمَا حَمَلْتُ أُمَّ امْرِئٍ فِي ضُلُوعِهَا أَعَقَّ مِنَ الْجَانِي عَلَيْهَا هِجَايَا^(١)

وقال آخر :

اصْحَبِ الْأَخْيَارَ وَأَرْغَبْ فِيهِمْ رَبِّ مَنْ صَاحَبَتْهُ مِثْلُ الْجَرَبِ
وَدَعْ النَّاسَ وَلَا تَشْتُمُهُمْ وَإِذَا شَاتَمْتَ فَاشْتُمْ ذَا حَسَبِ
إِنَّ مَنْ سَبَّ لَيْثِمًا كَالَّذِي يَبْدُلُ الصُّفْرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ^(٢)

وقال آخر :

مَالِي أَكْفَكِفُ مِنْ سَعْدٍ [وَتَشْتُمُنِي] وَلَوْ شَتَمْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا^(٣)

وقال آخر :

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ^(٤)

(١) البيت لفرزدق لا لجرير ، انظر شرح ديوان الفرزدق ٨٦٩ .

(٢) الصفر : الحاس ، وانظر الأبيات في الأمالي ٢٠٤/٢ ، لباب الآداب ٢٥ ، وفيه : إن من شاتم وغدا .. الخ .

(٣) وتشتمني ساقط من أ ، ب ، وفيه : لما سكتوا بدل لقد سكتوا .

(٤) في العقد : بخلا علينا وجبنا عن عدوك ، وقد نسب البيت في حماسة البجعي ٣٩٢ إلى ابن أم صاحب النطفاني ، ونسب في العقد ١٧٨/١ إلى كعب بن زهير .

قيل للشعبي : فلان يتنقصك ويشتمك . فتمثل بقول كثير :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخامرٍ لعزّةٍ من أعراضنا ما استحلّت
أسيئي بنا أو أحسنني لاملومةٍ لدينا ولا مقليةٍ إن تقلت^(١)

وقال قيس المجنون :

حلّالٌ لليلي شتمنا وانتقاصنا هنيئاً ومغفوراً لليلى ذنوبها

وقال آخر :

إذا ما شئت سبّك غير قوم^(٢) وإن كنت المهذب واللّباباً
يهابك كلُّ ذي حسَبٍ ودينٍ وأما في اللثام فأنّ ثباباً

وقال آخر :

مَنْ شاتَمَ النَّاسَ رَمَوْهُ بِمَا لَمْ يَكُ يَمْتَدُّ فِي الْحِسَابِ^(٣)

كأنه أخذه من قول كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ^(٤)

(١) ديوانه ٥٧ ، نهاية الأرب ٧٥/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، السكامل ٢٣٥/١ ، هذا وينسب

البيتان أيضاً لجرير بن عطية انظر ديوانه ٨٨ .

(٢) ب : مند .

(٣) نهاية الأرب ٦٨/٣ .

(٤) البيان ٣٣٩/٢ ، محاضرات الأدباء ١٨٩/١ ، نهاية الأرب ٦٨/٣ ، لباب الآداب ٣٦٠ ،

ولد سبق مع أبيات أخرى ص ٤٠١ .

وقال آخر :

وَلَسْتُ مُشَاتِمًا أَحَدًا لِأَنِّي رَأَيْتُ الشَّتْمَ مِنْ عِيِّ الرِّجَالِ
إِذَا جَعَلَ اللَّائِمُ أَبَاهُ نُصْبًا لَشَاتِمِهِ فَدَيْتُ أَبِي بِمَالِي

وقال آخر :

وَتَجَزَّعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ شَتْمِ مَرَّةٍ وَيُشْتَمُ أَلْفًا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَصْبِرُ^(١)

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبْلَغُ^(٢)

وقال آخر :

مَنْ يُخَبِّرُكَ بِشْتَمٍ عَنْ أَخٍ فَهُوَ الشَّائِمُ لَا مَنْ شَتَمَكَ
ذَلِكَ شَتْمٌ لَمْ يُوَاجِهَكَ بِهِ إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكَ^(٣)

وقال آخر :

أَبَا حَسَنِ يَكْفِيكَ مَا فِيكَ شَاتِمًا لِعِرْضِكَ مِنْ شَتْمِ الرِّجَالِ وَمِنْ شَتْمِي

وقال آخر :

وَمَا يَبْقَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمَثَلِ دَفْعِكَ جُهَالًا بِجُهَالٍ

(١) : ويشتم عشراً بعدها ثم يصبر .

(٢) البيت لعبد الصمد بن العذل ، انظر هيون الأخبار ٢/٢٢ ، نهاية الأرب ٣/٢٩٦ ، فصل المقال ٩٤ .

(٣) المستطرف ١/٦١ ، فصل المقال ٩٤ .

فَاقْعَسْ إِذَا حَدَبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا وَوَازِنْ الشَّرَّ مُثْقَالًا مُثْقَالٌ^(١)

وقال آخر :

ثَأَلْبَنِي عَمْرُو وَثَأَلَبْتُهُ فَقَدْ أَثِمَ الْمَثْلُوبُ وَالثَّالِبُ
قُلْتُ لَهُ خَيْرًا فَقَالَ الْخَنَا كُلٌّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبٌ^(٢)

(١) القعس : خروج الصدر ودخول الظهر ، والحذب ضده ، والمنصود المزوجة بين اللين والشدّة في معانيهم .

(٢) ثأله : لومه وعابه ، والثنا : الفحش ، والبيان لعلّ بن معاذ كما في البيان ١/٣٨٠ ، واسطرهما في محاضرات الأدباء ١/١٨٧ ، وفيات الأعيان ٦/٦٧ .

بَابُ الْكِبَرِ وَالْمُعْجَبِ وَالتَّيِّهِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حاكياً عن الله عزَّ وجلَّ : « الكبرياءُ رداً ، ^(١) والعظمةُ إزارى ^(٢) ، فمن نازعنى ^(٣) ^(١) واحداً منهما ^(١) أدخلته النار . »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله عزَّ وجلَّ إلى من جرَّ ثوبه خيلاً » ، وفي حديث آخر : « لا ينظر الله عزَّ وجلَّ إلى من جرَّ ثوبه بطراً » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الكبر أن يُسَفَّهَ الحقُّ ، ويُعَمَّضَ الناسُ » .

قال محمد بن علي بن حسين : يا عجيباً من المختال الفخور الذى خلق من نقطة ، ثم يصير جيفة ثم لا يدري بعد ذلك ما يفعل به .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : سمعتُ أحمد بن يوسف يوماً ، وذكر رجلاً كان يذهب بنفسه فى التيه ، فقال : يتيه ^(٢) فلان ، وما عنده فائدة ولا عائدة ولا رأى جميل .

(١) ساقط من ١ .

(٢) ١ : نازعته .

(٣) ب : تمه .

قال الشاعر :

يَا مُظْهِرَ الْكِبَرِ إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ أَبْصِرْ خَلَاءَكَ إِنَّ الْمَيْنَ تَثْرِيْبُ^(١)
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبَرُ^(٢) شُبَّانٌ وَلَا شَيْبُ^(٣)

قيل لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، فقال : طوبى لمن علمه الله كتابه ،
ولم يكن جباراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ فِي الشَّيْءِ
حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْعِبَارِينَ ، فَيَصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ » .

قال مالك بن دينار : كيف يتيه من أوله نطفة مَذْرَّة ، وآخره جيفة قَذْرَة ،
وهو فيما بين ذلك حاملٌ مَذْرَّة .

أخذه أبو العتاهية فقال :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نَظْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ
وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَا يُقْضَى وَمَا يُقَدَّرُ^(٤)

(١) : المرء تريب .

(٢) ب : الناس .

(٣) البيتان في عبون الأخبار ٢٧٢/١ ، ٢٧٣ وفيه : إن التين .. الخ .

(٤) ديوانه ١٠٢ ، الكامل ٢٣١/١ .

وقال منصور الفقيه :

تَتِيهُ وَجِسْمِكَ مِنْ نَظْفَةٍ وَأَنْتَ وَعَالَمٌ لَمْ تَعْلَمْ^(١)
وله أيضاً :

قُولُوا لَزُؤَارِ السُّكُنْفِ وَالْمُنْشَيْنِ مِنْ نُطْفِ
يَا جَرِيئًا مِنْ الْجَيْفِ مَا لَكُمْ وَلِلصِّلَفِ

كان يقال : لولا ثلاث سلم الناس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

قال جعفر بن محمد : علم الله عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من^(٢) العُجب ، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنوب .

قال بلال بن سميد : إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً فقد تمت خسارته .

قال بعض الحكماء : البلية التي لا يُؤجر عليها المبتلى بها : العُجب ، والنعمة التي لا يُحسد عليها : التواضع .

كان يقال : لا شيء أكلم للمحاسن من العُجب والتهيه .

قال نصر بن أحمد :

وَمَنْ أَمِنَ الْآفَاتِ مُعْجِبًا بِرَأْيِهِ
أَحَاطَتْ بِهِ الْآفَاتُ مِنْ حَيْثُ يَحْمَلُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٥ .

(٢) ساقطة من ١ .

وقال منصور الفقيه :

لَا تَحْلِفَنَّ إِبْنِيَّاهُ فَتَحْمِلَهُ عَلَى التَّزْيِيدِ . مِمَّا يُسْخِطُ اللَّهَ
وَاهْجُرُهُ اللَّهُ لَا لِلنَّاسِ مَبْتَغِيًا ثَوَابَ رَبِّكَ فِي هِجْرَانٍ مَنْ تَاهَا

وقال آخر :

إِنْ عَيْسَى أَنْفُ أَنْفِهِ أَنْفُهُ ضِعْفٌ لِيُضْعِفَهُ
لَوْ تَرَاهُ رَاكِبًا وَالتِّيَهُ قَدْ مَالَ بِعُطْفِهِ
لَرَأَيْتَ الْأَنْفَ فِي السَّرِّ جِ وَعَيْسَى مِثْلُ رَذْفِهِ

وقال ابن السَّلْمَانِي :

أَتِيَهُ عَلَى جَنِّ الْبِلَادِ وَإِنْسِيَا وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتِيَهُ فَلَا أَذْرِي مِنَ التِّيهِ مَنْ أَنَا سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جِنْسِي^(١)
فَإِنْ رَعَمُوا أَنَّى مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ^(٢) فَأَلِي عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ^(٣)

وقال خلف الأحمر :

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلَّعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَاءِ قَلِيلُ الصَّوَابِ
أَلِجْ لَجَاجًا مِنَ الْخُنْفَسَاءِ وَأَزْهِى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غُرَابٍ^(٤)

(١) ١ : ومن حسي .

(٢) ١ : خالص .

(٣) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٢٧١/١ .

(٤) انظر البيت في معجم الأدباء ١٤/١٦١ ، الحيوان ٣/٤٠٠ ، فصل المقال ٢٨٧ .

ولأبي المتاهية ، ويروى لمنصور الفقيه :

حَذَرْتُكَ الْكِبْرَ لَا يَغْلِقُكَ ^(١) مِيسْمُهُ فَإِنَّهُ مَلْبَسُ نَارَعُشِهِ اللَّهُ
يَا بُؤْسَ حَامِلِ رِجْسٍ لَيْسَ يَغْسِلُهُ بِالْمَاءِ عَنْهُ إِذَا كَلَّمْتَهُ تَاهَا
يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلاً وَمَنْزِلَةً إِنَّ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا
مُنْ ^(٢) عَلَى نَفْسِهِ رَاضٍ بِسِيرَتِهِ كَذَبْتَ يَا صَاحِبَ الدُّنْيَا وَمَوْلَاهَا ^(٣)

وقال منصور الفقيه :

قُلْتُ لِلْمُعْجِبِ لَمَّا قَالَ مِثْلِي لَا يُرَاجَعُ
يَا قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْمُخْ رَجِ لَمْ لَا تَتَوَاضَعُ ^(٤)

قال علي بن محمد : إنما أهلك الناس العجلة والمُعجب ، ولو ثبتوا ولم يعجلوا
لم يهلك منهم أحد .

قال ابن أبي ليلى : ما رأيتُ ذَا مُعْجِبٍ قَطَّ إِلَّا اعْتَرَانِي بَعْضُ دَائِهِ . يريد أنه
يبعثه على مكافأته بالتكبر عليه .

قال بعض الحكماء : من استطاع أن يمنع نفسه أربعاً كان جديراً ألا ينزل به
مكروه : العجلة ، واللجاجة ، والتواني ، والمُعجب .

(١) ب : لا يطفك .

(٢) ب : مبق .

(٣) لم أعثر على الأبيات في ديوان أبي المتاهية ، وإنما هي في ديوان أبي نواس ١٩٧ ، وفيه البيت الثاني :
يَابُؤْسَ جِلْدٍ عَلَى عَظَمٍ مَغْرَقَةٍ فِيهِ الْحَرُوقُ إِذَا كَلَّمْتَهُ تَاهَا .

(٤) ب : مما تواضع ، وانظرهما في معاضرات الأدباء ١/١٣١ .

ولإبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات :

أَبَا جَمْفَرٍ عَرَّجَ عَلَى خُلَطَائِكَ وَأَقْصَرَ قَلِيلًا عَنْ مَدَى غُلُوءَائِكَ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ بِالْأَمْسِ رِقْمَةً فَإِنَّ رَجَائِي فِي غَدٍ كَرَجَائِكَ^(١)

ولمنصور الفقيه :

قَدْ كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ مِثْلَكُمْ أَرَى الْهَلَالَ الْخَفِيَّ بِالْمَجَلَّةِ
لَوْ مَرَّ بِي تَائِهٌ عَلَى جَمَلٍ لَمْ أَرِهِ الْآنَ قَلَّةً^(٢) وَلَا جُمْلَةً

(١) معجم الأدباء ١/١٧٢ .

(٢) ب : قيله ، عبون الأخبار ١/٢٧٣ وفيها لأن كنت قد أعطيت في اليوم .

بابُ التَّوَاضُّعِ وَالْإِنْصَافِ

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم « ما تواضع عبدٌ لله ^(١) إلَّا رفعهُ الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تواضعُوا يرفعكم الله ، واعفوا يعزكم الله » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن تواضع من غير مَنَقَصَةٍ ، وذُلِّ نفسه من غير مسكنة ، وأُتفق مالاَّ جمعه من غير معصية ، طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وكرمت علانيته » .

انتسبَ رجلٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ عشر آباء ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : « لا حَسَبَ إلَّا في التواضع ، ولا نسبَ إلَّا بالتقوى ، ولا عملَ إلَّا بالنية ، ولا عبادةَ إلَّا باليقين » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « مَنْ دَظُمَتْ نِعْمَةُ الله عليه فليطلب ^(٢) بالتواضع شكرها ، فإنه لا يكون شكوراً حتى يكون متواضعاً » .

قال بعضُ الحكماء : رأسُ الحكمة طاعة الله ، وتقديمُ حُسْنِ النية ، وعِزُّها التواضعُ في الحقِّ ، والإنصافُ في المناظرة ، والإقرارُ بما يلزم من الحجة ، وثمرتها حفظ الثواب ، في العاجلة ، والنجاة في العاقبة ، وحقُّها العملُ بها ، وألَّا تُمنَعَ من مُسْتَحَقِّهَا ، وأن تُوقَّرَ أوعيتها لوقارها .

(١) ساقطة من أ .

(٢) أ : فليطلب .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : ما من أحدٍ إلّا وفي عنقه حكمةٌ موكلةٌ بها مَلَكٌ ، يقول الله به : إِنَّ تَوَاضَعَ عَبْدِي فَارْفَعَهُ ، وَإِنْ ارْتَفَعَ فَضَعَّهُ .

قال بكرُ بن عبد الله المزنى : ما أرى امرءًا إلّا رأيت له الفضلَ على ، لأننى ملن نفسى على يقين ، وأنا من الناس على شك .

قال عبد الله بن مسعود : إن من التواضع الرضا بالذون من شَرَفَ المجلس ، وأن تُسَلِّمَ على مَنْ لَقِيت .

قال عبدُ الله بن المبارك : التَّعَزُّزُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ تَوَاضِعٌ .

كان يقال : بالتواضع تَمُّ النعمة ، وبالتكبر تحقُّ النعمة^(١) .

كان سليمان عليه السلام يحىء إلى أوضاع مجالس بنى إسرائيل فيجلس معهم ، فيقول : مسكينٌ بين ظَهْرَانِي مساكين .

كان يقال : ثمرة القناعة الراحة ، وثمرَةُ التواضع المحبة .

قال لقمان لابنه : يا بنى تواضع للحق ، تكن أعقل الناس .

قال أَبُو الدَّرْدَاءِ : ليس الذى يقولُ الحق ويفعلُهُ بأفضل من الذى يسمعه^(٢) فيقبله .

قال بعضُ الحكماء : إِذَا نَسَكَ الشَّرِيفُ تَوَاضَعَ ، وَإِذَا نَسَكَ الْوَضِيعُ تَكَبَّرَ .

(١) ب : تحقُّ النعمة .

(٢) ١ : يرضاه •

ولدى الرُّمَّة الأَسَدِيّ :

إِذَا اصْطَحَبَ الْأَقْوَامُ كَانَ أَذْلُهُمْ لِأَصْحَابِهِ نَفْسًا أَبْرَ وَأَفْضَلًا
وما الفضلُ في أَنْ يُؤْتَرَ^(١) المرءُ نَفْسَهُ وَلَكِنَّ فَضْلَ الْمَرْءِ أَنْ يَتَفَضَّلَ^(٢)

قال سالم بن قتيبة : ما تكبر في ولايته^(٣) إلا من كبرت عنه ، ولا تواضع فيها
إلا من كبر عنها .

قال بعض الفلاسفة : أعظم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب
فيمن يبعده .

قال بُرْزَجْهَر : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أحمد من الكبر مع الأدب
والسخاء فَأَعْظَمَ بِحَسَنَةِ سَتَرْتِ مِنْ صَاحِبِهَا سَيِّئَتَيْنِ ، وَأَقْبَحَ بِسَبْئَةِ غَطَّتْ مِنْ
صَاحِبِهَا حَسَنَتَيْنِ .

قال عبدُ الملك بن مروان : أفضلُ النَّاسِ من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ،
وأنصف عن قوة .

كان يقال : من حقوق الشرف أن تتواضع لمن هو دونك ، وتنصف من هو
مثلك ، وتنبّل على من هو فوقك .

قال ابن السَّمَاكِ للرَّشِيد : تَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرَفِكَ .

(١) : ينم .

(٢) ورد البيتان في ديوان أبي العتاهية ٢١٢ ، ولم أعثر عليهما في ديوان ذي الرمة .

(٣) ب : ما تكبر في ولاية .

قال جعفر بن محمد : من أنصف الناس من نفسه قضى به حكماً لغيره .

قال معن بن أوس :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَنْقِلُ^(١)

قال مالك بن الرئب :

فَإِنْ تُنْصِفُونَا يَا لَ مَرْوَانَ تَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَاذْنُوبًا بِيَعَادِ
فِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أُوطِنْتَ كِبِلَادِي^(٢)

قال العباس بن عبد المطلب :

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يُنْصِفُونَا فَأَنْصَفْتِ قَوَاطِعُ فِي أَيْمَانِنَا تَقْطُرُ الدَّمَ
تَرْكَنَاهُمْ لَا يَسْتَحِيلُونَ بَعْدَهَا لَنِي رَحِمَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَحْرَمًا^(٣)

قال الحكم بن المنذر الجارود في الإنصاف :

بَنِي عَمَّنَا لَا تَجْزَعُوا مِنْ طَعْمَانِنَا^(٤) فَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَيْسَكِي وَجَزَعًا
وَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا مِنَ الْحَرْبِ إِنَّنَا نَرَى شَرَّ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ قَدْ تَضَعَضَعَ
وَنَادَى مَنَادٍ يَا لَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَنَادَى بَعِيدُ الْقَيْسِ نَادٍ فَأَسْمَعَا
فَمَا خَذَلْتَنَا الْأَزْدُ إِذْ دَارَتِ الرَّحَى وَلَكِنَّهُمْ يَحْمُونَ عِزًّا مُمْنَعًا

(١) معجم الشعراء ٤٠٠ ، عيون الأخبار ١٨/٣ ، حاسة أبي تمام ٤/٢ ، حاسة البحري ٢٨ .

(٢) سبق البيت في ص ٢٣٨

(٣) انظر البيتين في مجموعة المعاني ٥٢ ، عيون الأخبار ٧٨/١ ، حاسة البحري ٦٠ .

(٤) ب : من طعمانا .

خَلَطْنَا الْيَبُوتَ بِالْيَبُوتِ فَأَصْبَحُوا بَنِي عَمَّنَا مَنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعًا^(١)
وقال أبو الأسود الدؤلى :

إِذَا قُلْتُ أَنْصِفْنِي وَلَا تَظْلِمْنِي رَمَى كُلِّ حَقٍّ أَدْعِيهِ بِبَاصِلٍ
فَمَا ظَلَمْتُه حَتَّى ارْعَوْى وَهُوَ كَارِهٌ وَقَدْ يَرْعَوْى ذُو الشَّعْبِ عِنْدَ التَّجَادُلِ
وَإِنَّكَ لَمْ تَعْطِفْ إِلَى الْحَقِّ ظَالِمًا^(٢) بِمَثَلِ خَصِيمٍ عَاقِلٍ مُتَجَاهِلٍ
قالوا : ثلاثة من حقائق الإيمان : الاقتصاد فى الإنفاق ، [والابتداء]^(٣) بالسلام
والإنصاف من نفسك .

أُوفَى سَمَاعُ أَشْهَبَ ، قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ فِي الْإِنْسَانِ شَيْءٌ أَقْلُ
مِنَ الْإِنْصَافِ .

قال جعفر بن سعد : مَا أَقْلَ الْإِنْصَافِ ، وَمَا أَكْثَرَ الْخِلَافِ ، الْخِلَافُ^(٤)
مَوْكَلٌ بِكُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الْقَذَاةُ فِي رَأْسِ الْكَوْزِ ، فَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَشْرَبَ الْمَاءَ جَاءَتْ
إِلَى فَيْكِ ، وَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَصْبِ مِنْ رَأْسِ الْكَوْزِ لَتُخْرِجَ رَجَمَتَ .

قال الشاعر :

آخُ الْكِرَامِ الْمُتَعَصِّفِينَ وَصِلَهُمْ وَاقْطَعْ مَوَدَّةَ كُلِّ مَنْ لَا يُنْصِفُ^(٥)

(١) ب : فى حريمهم يذهبها معاً ، وقد ورد البيت الأخير فقط فى حماسة أبى تمام ١٥١/١ ، منسوبة إلى
الثلثم بن رباح بن طالم المرى .

(٢) ب : طالباً ، واظفر الأبيات فى ديوانه ١٩٠ .

(٣) زيادة من ب .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : ارج ، واظفر البيت فى البيان ٢١٩/٣ .

وقال أبو التاهية :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أُسَاتَ إِجَابَةً وَأُسَاتَ سَمْعًا^(١)

وقال أبو عثمان الشريشي :

لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدًا مُنْصِفٍ لَمَا تَمَنَّيْتُ بَأَنْ أَبْرَأَ

(١) ديوانه ١٥٨ ، عيون الأخبار ١٩/٣ .

بَابُ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هَدَاهُمُ اللَّهُ لِأَرْشَدِ أُمُورِهِمْ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَهْلِكَ أَمْرٌ عَنْ مَشُورَةٍ » .

قال صلى الله عليه وسلم : « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمِنٌ » .

قال الحسن : إن الله لم يأمر نبيه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ فَشَاوَرِ فِيهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ تَوَاضَعًا مِنْهُ عَزِمَ لَهُ عَلَى الرَّشَدِ » .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل .

قيل لرجل من بني عيس . ما أكثر صوابكم ؟ قال : نحن ألف وفينا حازم واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا ألف حازم .

قال عامر بن الظرب^(١) : الرأي نائم والهوى يقظان ، فذلك ينلب الهوى الرأي .

(١) العدواني : كان من حكام العرب في الجاهلية ، وعمر طويلا ، وهو الذى قيل فيه : إن المصاقرعت لذي الحلم ، وذلك أن أولاده خشوا زيفه عن الصواب لكبر سنه ، فكلّموه في ذلك فقال : اجعلوا لى أمانة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الصواب ، فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد أحد أبنائه من ورائه ، فإذا هنا قرع له الجفنة فانتبه ، وله شعر جيد وكلام مسدد .

كان يقال : يا جالة الفكرة يُستدّر الرأيُ المصيب .

كان علي بن أبي طالب يقول : رأيُ الشيخ خير من مشهد الغلام .

قال بُرزجر : حسبُ ذا الرأي ومن لا رأي له أن يستشير عالماً ويطيعه .

مرّ حارثة بن زيد بالأخنف بن قيس ، فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر . فقال : يا حارثة أجل ، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والمطشان حتى ينقع ، والأسير حتى يُطلق ، والمُضِلّ حتى يهد ، والراغب حتى ينصح ^(١) .

كان يقال : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحق ، فإن العاقل يتقى على رأيه الزلّ ، كما يتقى الورع على دينه الجرح .

قال ابن المقفع : ثلاثة لا آراء لهم : صاحبُ الخفّ الضيق ، وحاقنُ البول ^(٢) ، وصاحبُ المرأة السليطة .

قال بعض البلغاء : لا نتيجة لرأي إلا عن طاعة ونصيحة ، ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبة ومودة .

وقال بعضهم : لا تترك الأمر مُقبلاً ، وتطلبه مُدبراً ، فإن ذلك من ضعف العقل ^(٣) وقلة الرأي .

(١) سألط من ١ .

(٢) حاقن البول : محتبه .

(٣) ١ : العاقل .

كان يقال : لا تُدْخِلْ فِي رَأْيِكَ بِخَيْلًا فَيَقْصُرَ فِعْلُكَ ، ولا جَبَانًا فَيُخَوِّفَكَ مَا لَا تَخَافُ ، ولا حَرِيصًا فَيُعِدُّكَ مَا لَا يُرْجَى .

قال بعض الأعراب :

وَلَوْ أَنَّ قَوِيَّ أَكْرَمُونِي وَأَتَّقُوا سِجَالًا بِهَا أَسْقَى الَّذِينَ أُسَاجِلُ
كَفَفْتُ الْأَذَى مَا عَشْتُ عَنْ حُلَمَائِهِمْ وَنَاصَلْتُ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ مِنْ يُنَاضِلُ
وَلَكِنْ قَوِيَّ عَزَّيْتُهُمْ سَفَّهَؤُهُمْ عَلَى الرَّأْيِ حَتَّى لَيْسَ لِلرَّأْيِ حَامِلٌ^(١)

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحزم : في مُشَاوَرَةِ ذَوِي الرَّأْيِ وَطَاعَتِهِمْ » .

قال المهلب : إذا كان الرأي عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور .

قال الحكماء : إذا كنت مستشيرًا فتوخَّ ذا الرأي والنصيحة ، فإنه لا يكتفى برأى من لا ينصح ، ولا نصيحة لمن لا رأى له .

ولبشار بن برد ، وقيل إنها لعنترة^(٢) ، وقيل : إنها للعجاج الأسدي :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَلَسْتَعِزَّ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةٍ حَازِمٍ
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِ رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ
وَأَذْنُ مِنَ الْفُرْبَى الْمُتَقَدِّمِ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غَيْرَ كَاتِمٍ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْعُلَّ اخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يَوْتَدَ بِقَائِمٍ

(١) أُنَاقُوا : ملأوا ، والسجال : جمع سجل وهي الدلو العظيمة ، وأساجل : أفاخر وأبارى ، وعزم : غابهم : وانظر الآيات في أمالي القالي ٨٣/١ .
(٢) ب : لغيره .

فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ الْهَمَّ بِالْمَعْنَى وَلَا تَبْلُغُ الْعُلْيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ^(١)

أُنشِدْنِي الْأَعْرَابِي :

وَأَنْفَعُ مَنْ شَاوَرْتَ مَنْ كَانَ نَاصِحًا شَفِيقًا فَأَبْصِرْ بَعْدَهَا مَنْ تُشَاوِرُ
وَلَيْسَ بِشَافِيكَ الصَّدِيقُ^(٢) وَرَأْيُهُ غَرِيبٌ وَلَا ذُو الرَّأْيِ وَالصَّدْرُ وَاعِرُ

وقال بكر بن أذينة ،

وَلَا أَشِيرُ عَلَى مَنْ لَا يُشَاوِرُنِي إِذَا طَوَى ذَاتَ يَوْمٍ أَمْرُهُ دُونِي
قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْقٍ : الْمَشُورَةُ مَادَّةُ الرَّأْيِ .

قال ابن هبيرة لبعض ولده : ولا تشر على مستبد ، ولا على عدو ، ولا على متلون ، ولا على لجوج ، ولا تكوننَّ أوَّلَ مستشار ، ولا أوَّلَ مشير ، وإياك والرأي الفطير^(٣) ، وخف الله في المستشير ، فإن التماس موافقه لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

قال سليمان عليه السلام لابنه : يَا بَنِي لَا تَقْطَعْ أَمْرًا حَتَّى تُشَاوِرَ مُرْشِدًا
فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ تَنْدَمْ .

(١) يروى : ولا تجعل العمري ، و... فريش الخوافي تابع ، ويروى : وأذن من النوري الكتوم لسره ، ولم يؤيد مكان بوند ، ويروى : فإنك لا تستدرك الرأي بالمى .

وانظر الأبيات منسوبة لبشار في : المختار من شعر بشار ٢٠١ ، البيان والبيان ٢٧٠/٣ ، النخيل والمحاضرة ٧٤ ، مجموعة المعاني ١٧ ، زهر الآداب ٢٣٦/٣ ، الكامل ٢٨٧/٢ .

(٢) ١ : التميمي ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ٣٢/١ ، المختار من شعر بشار ٢٠٧ .

(٣) ١ : الخطير . والفطير : المجول ، وهو المعنى المناسب للسياق .

كان يقال : مَنْ اجتهد رأيه وشارور صديقه ، قَضَى ما عليه .

قال عمرو بن العاص : ما نزلت بي قطّ عظيمةٌ فأبرمتُها حتى أشاورَ عشرةً من قريش مرتين ^(١) فإنْ أصبتُ كان الخطأ لي دونهم ، وإنْ أخطأتُ لم أرجع على نفسي بلائعة .

قال بعضُ الأعراب :

خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ أَشِيرَا عَلَى الْيَوْمِ مَا تَرِيَانِ
أَأَرْكَبُ صِمْبَ الْأَمْرِ إِنَّ ذُلُولَهُ بَنَجْرَانَ لَا يُقْضَى بِحِينَ أَوَانِ ^(٢)

وأظن هذين البيتين من الأعرابي القائل :

لَقَدْ هَزَيْتُ مَنِّي بَنَجْرَانَ إِذْ رَأَيْتُ مَقَامِي فِي الْكَبْلَيْنِ أُمُّ أَبَانِ
كَأَنَّ لَمْ تَرَ قَبْلِي أُسِيرًا مَكْبَلًا وَلَا رَجُلًا يَرْمِي بِهِ الرَّجْوَانِ ^(٣)

وقد تمثل بهذا البيت عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته .

كان يقال : أَمْرَانِ جَلِيلَانِ لَا يَصْلُحُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْتَفَرُّدِ ، وَلَا يَصْلُحُ الْآخَرُ إِلَّا بِالْتَّعَاوُنِ ، الْمُلْكُ وَالرَّأْيُ ، فَإِنْ اسْتَقَامَ الْمُلْكُ بِالشَّرْكَاءِ اسْتَقَامَ الرَّأْيُ بِالْإِسْتِبدَادِ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا .

(١) ساقطة من ب .

(٢) الأبيات الأربعة لمطارد بن قران أحد بني صمصمة بن مالك ، انظر معجم الشعراء ٣٠٠ ، الأمل ٤٤/١ ، شرح حماسة أبي تمام ٧٥/١ ، ويرمى به الرجوان معناها لا يعبأ به ، وأصل الرجا الناحية ومنهاها الرجوان ، والشئ الذى يلقي في هذه الناحية ثم يلقي في الناحية الأخرى شئ لا يعبأ به .

قال صالح بن عبد القدوس :

وإن بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرْ لِيَبَا وَلَا تَغْصِبْهُ
وإن ناصحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا فَلَا تَنَأْ عَنْهُ وَلَا تُقْصِبْهُ^(١)

قال الأحنف : اضربوا الرأى بعضه ببعض يتولد منه الصواب ، وتجنبوا منه
شدة الحزم ، واتهموا عقولكم ، فإن فيها نتائج الخطأ ، وذم العاقبة .

كان يقال : خذ الأمر مقبلا ، فشر الرأى : الدبرى^(٢) .

قال الشاعر ، وهو القطامي :

وخيرُ الأمرِ ما استقبلتَ مِنْهُ وليسَ بآنٍ تَتَّبِعُهُ اتِّبَاعًا^(٣)

قال بعض العرب :

قَبْلَ الرَّمَى يُرَاشُ السَّهْمُ

وقال سابق :

وَقَبْلَ أَوَانِ الرَّمَى تُعْمَلُ الْكَنَائِنُ^(٤)

وقال الفارسي : بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة ، وأنشد :

تَذَارِكُ الْأَمْرَ قَبْلَ نَهْيِهِ أَبْلَغُ فِيمَا تُحِبُّ مِنْ دَرَكِهِ

(١) سبق البيتان في ص ٢٧٨

(٢) الرأى الدبرى : الذى يمنح بعد فوات الحاجة ، وكذلك الجواب الدبرى .

(٣) ديوانه ٤٠ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٥٢ ، وفيه : وقبل نزول الحرب ... الخ .

قال بعض الحكماء : حقيق أن يُوكَّل إلى نفسه ، من أعجب برأيه .

قال عبد الملك : اللحن هُجَنَةٌ^(١) الشريف ، والمُعْجَب آفة الرأي .

قال قتيبة بن مسلم : مَنْ أعجب برأيه ، لم يشاور كفيا ، ولم يوات نصيحاً .

قال بُزْرَجُ جَهْر : أفرُّ الدَّوَاب لا غنى به عن السَّوْط ، وأَعْفَى النساء لا غنى بها عن الزَّوْج ، وأَعْتَل الرجال لا غنى به عن المشورة .

قال عبدُ الملك بن مروان : لِأَن أَخْطِئَ وقد استشرتُ أحبَّ إليَّ من أن أصيب من غير مشورة .

قال قتيبة بن مُسْلِم : اخطأ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطئ ، والفرقة لا تصيب .

قال المأوون : ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشدهنَّ : مشاورةُ ناصح ، ومداواةُ حاسد ، والتَّحَبُّبُ إلى الناس .

كان عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يستشيرُ في الأمر ، حتى إن كان ربما استشار المرأة ، فأبصر في رأيها فضلاً .

كان يقال : ما من قوم عاثلوا على أمرهم ، ثم شاوروا امرأة إلا تَبَّرَ الله أمرهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة » .

كان يقال : من طلب الرُّخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند

(١) الهجنة : العيب والنقيصة .

الشبهة ، ومن الأطباء عند المرض ، أخطأ الرأي ، وحمل الوزر ، وازداد مرضاً .

قال الشاعر ، وأظنها لمنصور الفقيه :

إِذَا الْأَمْرُ أَشْكَلَ إِنْفَادُهُ وَلَمْ تَرَ مِنْهُ سَبِيلًا فَسِيحًا
فَشَاوِرْ بِأَمْرِكَ فِي سُبُورَةٍ أَخَاكَ اللَّيِّبَ الْمُحِبَّ النَّصِيحًا
فَرُبَّمَا فَرَجٌ^(١) النَّاصِحُونَ وَأَبْدُوا مِنَ الرَّأْيِ رَأْيًا صَحِيحًا
وَلَا يَلْبَثُ الْمُسْتَشِيرُ الرَّجَالَ إِذَا هُوَ شَاوِرٌ أَنْ يَسْتَرْجِحًا^(٢)

وقال آخر :

إِنَّ اللَّيِّبَ إِذَا تَفَرَّقَ أَمْرُهُ فَتَقَ الْأُمُورَ مُنَاطِرًا وَمُشَاوِرًا^(٣)
وَأَخُو الْجَهَالَةِ يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ فَتَرَاهُ يَعْتَسِفُ الْأُمُورَ مُخَاطِرًا^(٤)

وقال آخر :

وعاجزُ الرأيِ مضِياعُ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدْرًا^(٥)

وقال آخر :

أَنْتُمْ أَنْاسٌ عِظَامٌ لَا حُلُومَ لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَجَاءَ الرُّشْدِ أَمْ غَابَا

(١) : كفف .

(٢) الأبيات في لباب الآداب ٢٥ ، ولم تلصق لئانل .

(٣) زيادة من ب .

(٤) البيتان لمحمود الوراق ، انظر المستطرف ٩١/١ .

(٥) مجموعة المأثر ٢٥ ، العقد ٧٥/١ ، البيان ٢٩٩/٢ ، من غير نسبة ، واسب إلى يحيى بن زباد في مجمع

الشعر ٤٩٨ .

لَا تَبْصُرُونَ وَجُوهَ الرَّأْيِ مُقْبِلَةً وَتَبْصُرُونَ إِذَا وَلَيْنَ أَذْنَابًا^(١)

قال أبو عمر : الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورة محمودة عند غاية العلماء ، ولا أعلم أحداً رضى الاستبداد وحده ، إلا رجل واحد مفتون ، يخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أو رجل فائق ، مثال أحدهما قول عمر بن أبي ربيعة .
يخاطب من يخدعه .

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَتِ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ^(٢)

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العبدي الأعرابي^(٣) .

إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا^(٤)
سئل الحسن البصري ، عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستضيئوا
نار المشركين » . فقال : أراد لا تستشيروا المشركين في أموركم ولا تأخذوا برأيهم .

(١) البيتان في عيون الأخبار ١/٣٥ .

(٢) ديوانه ١/١١٥ .

(٣) ساقطة من ب .

(٤) مجموعة المعاني ٢٣ ، عيون الأخبار ١/١٨٨ ، حماسة أبي تمام ١/٢٥ ، الشعراء ٦٧٨ ، أمالي

الثمالي ١٧٥/٢ ، ونسبت في الثلاثة الأخيرة إلى سعد بن ناشب من بني مازن بن مالك بن عمر وبن تميم .

بابُ كتمانِ السِّرِّ وإفشاءه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَسَرَّ إِلَى أَخِيهِ سِرًّا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يُفْشِيَهُ عَلَيْهِ » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن عرض نفسه للثَّمة فلا يلومنَّ من أساء الظنَّ به .

قال عباسُ بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضى الله عنهما : يا بُنَيَّ إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْنِيكَ — يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ — فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا : لَا تَفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا يَطَّلِعَنَّ مِنْكَ عَلَى كَيْدٍ .

قال أكرمُ بن صيفي : إِنْ سِرَّكَ مِنْ دَمِكَ ، فَانْظُرْ أَيْنَ تُرِيْقُهُ .

كان يقال : احفظوا أسراركم كما تحفظون أبصاركم .

وكان يقال : أَكْثَرُ مَا نِيَمُ بِهِ الْإِنْدِيرُ الْكُتْمَانُ .

قال فَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :

أَجُودُ بِمَضْمُونِ الذَّلَالِ وَإِنِّي بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَأَلَنِي لَضَمِينُ
وَإِنْ ضَيَّعَ الْإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنِّي كَتُومٌ لِأَسْرَارِ الْخَلِيلِ أَمِينُ
يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا اسْتَمْنَتْهُ مَكَانُ بِسَوْدَاءِ الْفَوَادِ مَكِينُ

إِذَا جَاوَزَ الْإِنْسَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ بِنَشْرِ وَإِفْشَاءِ الْحَدِيثِ قَيْنٌ^(١)

وفي مثل هذا : إن السر لا يسمى سرًّا حتى يُسرّه رجلٌ [واحد]^(٢) إلى رجل آخر .

قال الصِّلَتَانِ الْعَبْدِي :

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الْثَلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ^(٣)

وقال سابق :

فَلَا تُخْبِرْ بِسِرِّكَ ، كُلُّ سِرٍّ إِذَا مَا جَاوَزَ الْإِنْسَيْنِ فَاشِيٌ^(٤)

وقال آخر :

إِسْكَلْ امْرِئٌ يَا أُمَّ تَمْيِرُ طَبِيعَهُ وَتَفْضِيلُ مَا بَيْنَ الرِّجَالِ الطَّبَائِعُ
فَلَا يَسْمَعُنْ سِرِّي وَسِرُّكَ ثَالِثٌ أَلَّا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ ضَائِعٌ^(٥)
وَكَيْفَ يُشِيعُ الْقَلْبُ سِرًّا وَفَوْقَهُ حِجَابٌ وَمَافُوقَ الْحِجَابِ الْأَصَالِعُ^(٦)

(١) يروى : يعضون ، ويمكنون ، والعشير بدل الحليل ، وما صنفته مكان ائتمه ، ومقر بدل مكان ، وكنين بدل مكين ، وتكنير بدل لإنشاء ، ونث مكان نشر .

النلاد : المال الموروث ، سوداء الفؤاد : حبة القلب ، وقين : حري خليق .
والأبيات في الديوان ٥٥ ، ماعدا الأول فهو في ذيل الديوان ص ٨٢ ، وانظرها في الأمل للقال ١٧٧/٢ ،
٢٠٢ ، لباب الآداب ٢٣ حماسة ابن الشجري ١٤٢ ، المستطرف ٢٤٤/١ ، والبيت الأخير في حماسة البحتري
٢٢٦ ، والكامل ١٧/٢ ، وقد لسه فيه إلى حيل العنري .

(٢) زيادة من ب .

(٣) يروى : وبين الثلاثة . وانظر البيت في عيون الأخبار ٣٩/١ ، حماسة أبي تمام ٥٢/٢ ، لباب الآداب
٢٤٠ ، حماسة البحتري ٢٢٦ ونسبها هناك إلى الأنشعر الجعفي .

(٤) عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤١ .

(٥) ١ : شائع .

(٦) زيادة من ب ، وقد سبت الأبيات في الكامل ١٦/٢ إلى جميل العنري ، ونسبت في معجم الشعراء
٣٢٥ إلى قيس بن حذافة المزاعي ، وفي حماسة أبي تمام ٢٢٦/١ سماع قيس بن مقلبة الحرابي .

وزهدت طائفة إلى أن السرَّ ما أسررتَه في نفسك ، ولم تبدِه إلى أحد .
قال عمرو بن العاص : ما استودعتُ رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته ، لأنني كنت به
أضيق صدرأ حين استودعته إياه .

وإلى هذا ذهب القائل حيث قال :

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَعَبْدُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ^(١)

وأنشد الأصمعي قال : أنشدني أعرابي :

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُبْهَأُ وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَقْتُلُنِي نَمًا
وإنَّ سَخِيفَ الرَّأْيِ مَنْ بَاتَ لَيْلُهُ حَرِيْبًا بِكُتْمَانٍ كَأَنَّ بِهِ حُمًى
وَفِي بَشْكَ الْأَسْرَارِ لِلْقَلْبِ رَاحَةٌ وَتَكْشِفُ بِالْإِفْشَاءِ عَنْ قَلْبِكَ الْهُمَا^(٢)
وَقَالَ سَجِيْمُ الْفَقْهَسِيِّ :

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَذِيْمُهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي
وإنَّ ضَعِيفَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلُهُ تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ^(٣)

ومثله قول الآخر :

لَا تُفْشِيَنَّ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

(١) الكامل ١٦/٢ ، المقد الفريد ٧٧/١ ، لباب الآداب ٧٤٠ ، المستطرف ١/٢٤٥ .

(٢) معاضرات الأدباء ٦٠/١ ، مجموعة المعاني ٧١ ، عيون الأخبار ١/٤١ .

(٣) يروى : لكن أنعمها ، ولا أترك الأسرار ، ويروى : وإن أحتق الناس بالسخط لأمرو . انظر
الكامل ١٨/٢ ، حباصة أبي تمام ٣٧١/٢ ، المستطرف ١/٢٤٦ .

فإني رأيتُ غَوَاةَ الرَّجَالِ لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا سَاحِيحًا^(١)

وقال رجل من بني سعد :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثِ فَأَفْشَيْتُهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ
إِذَا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الظُّلُومُ
وَإِنِّي حِينَ أَسْأَلُ حَمَلَ سِرِّي وَقَدْ ضَمَنْتُهُ صَدْرِي^(٢) سَوْوَمُ
وَلَسْتُ مَحْدَثًا سِرِّي خَلِيلًا وَلَا عِرْسِي إِذَا خَطَرْتُ هُمُومُ
وَأَطْوَى السَّرَّ دُونَ النَّاسِ إِنِّي لِمَا اسْتَوْدَعْتُ مِنْ سِرِّ كَثُومُ^(٣)

وقال المتنبي :

رِضَاكَ رِضَايَ^(١) الَّذِي أُورِئُ وَسِرِّكَ سِرِّي فَمَا أَظْهَرُ
كَفَّتَكَ الْمُرُوءَةُ مَا تَتَّقِي وَأَمْنَكَ الْوُدَّ مَا تَعْذَرُ
وَسِرُّكُمْ فِي الْحَشَا مَيِّتٌ إِذَا انْتَشَرَ السَّرُّ لَا يُنْشَرُ^(٢)

وقال حارثة بن بدر الغداني :

خَلِيلٌ لَوْ لَا حُبَّ زَيْنَبٍ لَمْ أَسَلْ أَفِي الْيَوْمِ لُقِيتُ الْمَنِيَّةَ أَمْ غَدَا

(١) انظر البيهقي في مجموعة المعاني ٧١ ، عيون الأخبار ٣٩/١ ، باب الآداب ٢٤٠ ، المقد الفريد ٧٦/١ ، الكامل ١٥/٢ ، حسانة البحري ١٠٦ .

(٢) ١ : سري .

(٣) عيون الأخبار ٣٩/١ ، باب الآداب ٢٤٣ ، ولسبه فيه إلى رجل من عبد شمس بن سعد .

(٤) ١ : رضائي .

(٥) ديوانه ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وفيه : إذا أُنْشِرَ السَّرُّ ، وقد نسبت أيضا إلى أبي الصَّامِيَةِ . ووردت في

ديوانه ٩١ .

خَلِيلِيَّ إِنِّ أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَيْكُمَا فَلَا تَجْعَلَا سِرِّي حَدِيثًا مُبَدَّدًا
فَإِنَّ أَتَمَّا أَفْشَيْتُمَاهُ فَلَا رَأَتْ عَيُونُكُمَا يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَمَّدًا

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَمِيرُكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ^(١)

وقال ابن ميادة واسمه الرَّمَّاح :

يَا خَلِيلِيَّ هَجَرَا كَيْ تَرَوْحَا^(٢) هِجْتُمَا لِلرَّوَّاحِ قَلْبًا قَرِيحًا
إِنْ تَرَوْحَا^(٣) لَتَعْلَمَا سِرَّ سَعْدِي تَجِدَانِي بِسِرِّ سَعْدِي شَحِيحًا
إِنَّ سَعْدِي كَمُنِيَّةٍ الْمُتَمَنِّي جَمَعْتُ عَفَّةً وَوَجْهًا صَدِيقًا
كَلَنِي وَذَاكَ مَا نَلْتُ مِنْهَا إِنَّ سَعْدِي تَرَى الْكَلَامَ رَيْحًا

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر^(٤) ؟ قال : أجحد المخبير . وأحلف
للمُستخبر .

أسر رجل إلى رجلٍ سرًّا ، فلما فرغ قال له : حفظت ؟ قال : (٤) لا . بل (٤) نسيت .

قال أبو محجن الثقفي :

قَدْ أَرْكَبُ الْهَوَلَ مَسْدُولا سَتَائِرُهُ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةَ الْعُنُقِ^(٥)

(١) عيون الأخبار ١/٤٠ ، لباب الاداب ٢٤٢ . حساسة البجري ٢٢٤ .

(٢) ١ : هجراني خروجاً .

(٣) ب : روحاً .

(٤) ساقطة من أ .

(٥) ساقط من م ، وهو في ديوانه ٢٦ ، وسدر البيت فيه : وقد أجود وما مالى بنى فنع ، والنعنم :

الفصل ، وفي المقدم ١/٧٨ : قد أطلعن الطغنة التجلاء عن عرس ، وانظروا في عيون الأخبار ١/٣٨ .

وقال مسكين الدرايم :

وَإِنِّي أَمْرُوؤٌ مِّنِي الْحَيَاءُ الَّذِي تَرَى أَعِيشُ بِأَخْلَاقٍ قَلِيلٍ خِدَاعُهَا
أَوْاخِي رِجَالًا لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا
يَظْلُونَ شَقِيًّا فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرُّجَالَ انْصِدَاعُهَا^(١)

وقال آخر :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا اشْتَمَلْتُ مِّنِي الضَّلُوعُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ
لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَائِرَهُ^(٢) إِذَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ^(٣)

قال أبو الشَّيْص :

صَنَعَ السِّرَّ فِي صَمَاءٍ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ صَلُودٍ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ
وَلَكِنَّهَا قَلْبُ امْرِئٍ ذِي حَفِيزَةٍ يَرَى ضَيْعَةً^(٤) الْأَسْرَارِ شَرًّا مِنَ الشَّرِّ
يَمُوتُ وَمَا مَاتَ كَرَامُ فَعَلِهِ فَيَبْلَى وَمَا يَبْلَى ثَنَاهُ عَلَى الدَّهْرِ

كان يقال : لا تطلعوا النساء على سِرِّكم ، يصلح لكم أمركم .

قال الشاعر :

خَتَمْتُ الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا كَخَتَمِ الصَّحِيفَةِ بِالْخَاتَمِ

(١) الأبيات في مجموعة المغانى ٧١ ، الأمل ١٧٦/٢ ، الحباشة ٤٧٣/١ ، وفيها البيت الثاني :
وفتيان صدق .

(٢) ب : ضائره .

(٣) لباب الآداب ٢٤١

(٤) ١ : شيعه ،

هَوَتْ بِي فِي حُبِّهَا نَظْرَةً هَوَى الْفَرَّاشَةَ فِي الْجَاحِمِ^(١)

وقال آخر :

فَإِنْ تَكُ لِيْلَى حَمَلْتَنِي أَمَانَةً فَلَا وَأَبَى لِيْلَى إِذَا لَا أُخُونُهَا

حَفِظْتُ لَهَا السِّرَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَلَا يَحْفَظُ الْأَسْرَارَ إِلَّا الْأُمِينُهَا^(٢)

كان يقال : كل شيء تكتمه عن عدوك ، فلا تظهر عليه صديقك .

وقال آخر :

إِذَا كَتَمَ الصَّدِيقُ أَخَاهُ سِرًّا فَمَا فَضْلُ الصَّدِيقِ عَلَى الْعَدُوِّ^(٣)

وقال آخر :

وَأَبْثَثْتُ عَمْرًا بَعْضَ مَا فِي جَوَانِحِي وَجَرَّعْتُهُ مِنْ مَرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ

وَلَا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي حَفِيزَةٍ إِذَا جَعَلْتُ أَسْرَارُ نَفْسِي تَطْلَعُ^(٤)

وقال أبو الشيص :

لَا تَأْمَنْنِ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْ طَى الْقَرَّاطِيسِ^(٥)

وقال ابن وكيع :

إِذَا كُنْتَ ذَا سِرٍّ تَخَافُ مِنَ الْعَدَا عَلَيْهِ ظُهُورًا فَاطْوِهِ دُونَ ذِي الْوُدِّ

(١) : الجاحم .

(٢) عيون الأخبار ٤٢/١ ، الأمل للقال ٧١ ، وفيه : فلا وأبى أعدائها لا أخونها .

(٣) البيان ٣٨٠/٣ .

(٤) انظر البيهقي في محاضرات الأدباء ٤٥/٢ ، البيان والتبيين ٣٨٠/٣ ، من غير نسبة ، وهما لبشار بن

برد ، كما في المختار من شعره ١٤٥ ، وفيه : وأودعت عمرا .

(٥) عيون الأخبار ٤٢/١ ، شرح المختار من شعر لبشار ١٥٧ .

فَيَأْرُبُ خِلٌّ حَالَ عَمَّا عَهْدَتُهُ فظَلُّ لِمَا قَدْ كُنْتُ أَوْدَعْتُهُ يُبْدِي
وقال شبيب بن البرصاء :

وَإِنِّي لَا كُفْمُ السَّرْعَدَى وَإِنِّي لَذَلِكَ مِنْ عَهْدِ الْأَمَانَةِ حِينَ^(١)
كُفْمُونَ النَّوَى لَا يَشْعُرُ النَّاسُ أَنَّهُ تَوَى فِي رُقَاتِ الْأَرْضِ وَهُوَ دَفِينُ
وقال آخر :

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضَيْقًا بِهِ وَتَبَغْيُ لِسِرِّكَ مَنْ يَكْتُمُ
وَكِتْمَانُكَ السَّرَّ مِمَّنْ تَخَافُ وَمَنْ لَا تَخَوْفُهُ أَحْزَمُ^(٢)

وقال آخر :

أُذَارِي خَلِيلِي مَا اسْتَقَامَ بُوْدُهُ وَأَمْنَحُهُ وَدِّي إِذَا يَتَحَبَّبُ
وَلَسْتُ بِبَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ وَلَا أَنَا مُبْدِي سِرِّهِ حِينَ أَغْضَبُ
ومما أنشده الرياشي رحمه الله :

بَدِيئَتُهُ قَبْلَ تَدْيِيرِهِ مَتَى رُمَّتْهُ فَهَوَ مُسْتَجْبِعُ
وَفِي كَفِّهِ لِلْفَنَى مَطْلَبُ وَلِلسَّرِّ فِي صَدْرِهِ مَوْضِعُ^(٣)

(١) : ! بين .

(٢) البيتان للحسين بن علي بن أحمد النقيي ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٣٠ ، وانظرهما في لباب الأدب

٢٤٢ ، محاضرات الأدباء ١/٥٩ .

(٣) البيتان لأشجع بن عمرو السلمي ، انظر الشعر والشعراء ٨٥٩ ، وفيه : بديئته مثل تدبيره .

بَابُ الْحَرْبِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْجَبِينِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَمْنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَادْبِئُوهَا » .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى كتابه إلى خالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة . أخذم الشاعر فقال :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ^(١)
ومن هذا قول الخنساء :

نُهِنُ النَّفُوسَ وَهَوْنُ النَّفْوِ سِ عِنْدَ الْكَرِيهَةِ أَوْقَى لَهَا^(٢)

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبعض بنى عيسى : كم كنتم فى يوم كذا ؟ قال : كنا مائة ، لم نكثر فقتلوا كل ونفشل ، ولم تقل فنذل . قال : فبم كنتم تظهرون على أعدائكم ، ولستم بأكثر منهم ؟ قال : كنا نصبر بعد الناس هنية .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لابنه الحسن ، وقد قيل لابنه محمد : يا بنى ! لا تدعون أحدا إلى البراز ، فإنه يبغي^(٣) ، ولا يدعو نك أحد إليه إلا أجبهته .

قدم وفد على عمر بن الخطاب بفتح ، فقال : متى لقيتم عدوكم ؟ قالوا : أول

(١) نسب البيت فى حساسة أبى تمام ٦٨/١ إلى الحسين بن حمام المرى ، ونسبه فى الأغاني مرة إلى الحسين ٢٦٢/١٢ ، ومرة إلى شبيب بن البرصاء ٢٨١/١٢ ، ونسب فى عيون الأخبار ١٢٥/١ إلى يزيد بن الملهب بن أبى صخرة .

(٢) الديوان ٢١٥ ، شرح الحماسة للرزوقي ١٣٥/١ ، محاضرات الأدباء ١٤٥/١ ، عيون الأخبار ١٢٥/١ .

(٣) ب : نهي ، وما أبتناه موافق لرواية القند ، وبهذا فيه : والباغي منصروع .

النهار . قال : فقتى انهزموا ؟ قالوا : آخر النهار ، فقال : إنا لله ! أو قام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره ١١ والله إن كان هذا إلا عن ذنب أحد ثمويه بعدى^(١) ، أو أحدثه بعدكم ، ولقد استعملت يُعَلَى بن أمية على اليمن أستنصر لكم بصلاحه .

قيل لعنرة : كم كنتم يوم الفروق^(٢) ؟ قال : كنا ألفاً مثل الذهب الخالص ، ليس فينا غيرنا ، لم نكثروفتوا كل^(٣) فنفسمل ، ولم تقل فنذل .

لم يكن قبيل في العرب^(٤) ألف فارس^(٥) إلا ثلاث قبائل : مرة وعبس وبنو الحارث بن كعب .

^(٦) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لعمر بن مَعْدَى كَرِب^(٧) : أخبرنى عن السّلاح . قال : سلّ عما شئت . قال : الرّمح ، قال : أخوك وربما خانك^(٨) . قال : التّبيل ؟ قال : منايا تخطى وتصيب . قال : الثّرس ، قال : ذلك المِجَنُّ وعليه تدور الدوائر . قال : الدّرع ، قال : مشملة^(٩) للرجال متعبة للفارس ، وإنها لحصن حصين . قال : السيف ؟ قال : قارعتك أمك على الشّكل . قال عمر : بل أمك . قال : أخبرنى عن الحرب ، قال : مرة المذاق ، إذا قلّصت عن ساق ، من صبر لها عرف ، ومن ضعف عنها تلف ، وهى كما قال الشاعر :

الحربُ أوّل ما تَكُونُ فِتْنَةً^(١٠) تَسْعَى بزینتها لكلّ جهّول

(١) ب : أجرة ثمويه .

(٢) الفروق : موضع بديار بى سعد ، كان فيه يوم من أيام حروب عبس وذبيان . وفى المقد ١/ ١١١ ، كننا مائة بدل ألف .

(٣) ساقط من ب .

(٤) فى المقد : وربما خانك فاقصف .

(٥) فى المقد : مثقلة ، وانظر هذه المحاورة فى عيون الأخبار ١/ ١٢٩ وفى المقد ١/ ١١١ حيث ساقها بصورة أخرى .

(٦) روى ابن الأثير المصرع الأول فى النهاية ١٢/ ٤١٢ . وضبط فتية بضم الفاء وفتح التاء ، على التصغير . قال : ورواه بعضهم بالفتح .

حَقَّى إِذَا اشْتَمَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خُلِيلٍ
شِمطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ^(١) مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ^(٢)

قال حذيفة بن اليمان : الفتنة تُلَقَّح بالعجوى ، وتُنْتَج بالشكوى . أخذ نصر بن
سيار^(٣) قول حذيفة هذا ، والله أعلم ، حين قال :

وإن الحرب أولها الكلام

وهي أبيات كتبها إلى مروان بن محمد :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْمُودِينَ تُذَكَّى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا الْكَلَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَأَيْقَاطُ أَمِيَّةٌ أَمْ نِيَامُ^(٤)

بلغ أبا الأغر^(٥) أن أصحابه ، وقع بينهم شر ، فوجه ابنه الأغر^(٦) ، وقال له :
يا بني كن يداً لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف ، فإنه ظل الموت ، واثق
الرمح ، فإنه رسالة المنية ، ولا تقرب السهام ، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها ،
قال : فبم أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر :

(١) : تنكرت .

(٢) : العقد ١/١٠٩ ، وفي هامشه أنها نسبت لامرئ القيس في العقد الثمين من دواوين الشعراء الستة
الجاهليين ، وانظرها في الشعر والشعراء ٣٣٣ ، عيون الأخبار ١/١٢٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٦ .

(٣) : ١ : سنان .

(٤) : العقد الفريد ١/١١٠ ، وفيات الأعيان ٢/٣٢٧ ، عيون الأخبار ١/٩٢٨ ، ونسبها لأعرابي يدعى أبا مهيم
في محاضرات الأدباء ٢/٧٥ .

(٥) : ب : الفر ، والمعجم ما أنبتناه كما في العقد وغيره .

(٦) : ب : الآخر .

جَلَامِيدُ أُمْلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رَعُوسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

وهذا الشعر هو :

تُغَطِّي مُنَمِّرٌ بِالْعَمَائِمِ لُؤْمَهَا وَكَيْفَ يُغَطِّي اللُّؤْمَ طَيُّ الْعَمَائِمِ
فَإِنْ تَضْرِبُونَا بِالسَّيَاطِ فَإِنَّا ضَرَبْنَاكُمْ بِالْعُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وَإِنْ تَحْلِقُوا مِنَّا الرُّعُوسَ فَإِنَّا حَلَقْنَا رَعُوسًا بِاللَّحَى وَالْعَلَاصِمِ
وَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَعِنْدَنَا سِلَاحٌ لَنَا^(١) لَا يُشْتَرَى بِالذَّرَاهِمِ
جَلَامِيدُ أُمْلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رَعُوسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في الصبر على الحرب قول نهشل بن حرّى بن ضمرة :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْمُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قِيَامٌ عَلَى الْجَمْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَقْضَى وَإِنَّمَا تَفَرَّجُ أَيَّامُ الْكَرِيهِتِ بِالصَّبْرِ^(٣)

ومثله قول الآخر :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الْمَوْتَ مُوقِنًا مُطِلًّا كَأَنَّ طَلَالَ السَّحَابِ إِذَا اكْتَفَهَرَّ
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا يَكُونُ غَدًا حَسَنُ الشَّاءِ^(٤) لِمَنْ صَبَرَ
فَمَا أُخِّرَ الْإِحْجَامُ يَوْمًا مُقَدِّمًا وَلَا عَجَّلَ الْإِفْدَامُ مَا أُخِّرَ الْقَدَرُ

(١) ساقطة من أ.

(٢) الأبيات لجبر ، ديوانه ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، البيان ١٢/٣ ، العقد الفريد ٢١٣/١ ، معاضرات الأدباء ٧١/٢ ، الكامل ٣٤٤/١ ، ونسبت في ذيل الأمالى ١١٦ ، ١١٧ ، إلى نافع بن خليفة الغنوي وانظر البيت الأخير في عيون الأخبار ١٣١/١ وفيها : إعلان بد أملاء .

(٣) يروي : وإن لم يكن له نار وقوف ، ويبوخ مكان تقضى . انظر البيتين في شرح الحماصة للبرزوقي

٣٦٣/١ ، عيون الأخبار ١٢٨/١ ، العقد ١٢٥/١ ، الشعر والشعراء ٦١٩ .

(٤) ب : إلينا ، والأبيات في عيون الأخبار ١٢٥/١ .

ومن أحسن ما قيل في النظم في الصبر على الحرب^(١) ، قول قطري بن الفجاءة
التميمي الخارجي :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يومٍ على الأجل الذي لك لم تطاعى
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيلُ الخلود بمُسْتَطَاعِ
ولا ثوبُ البقاء بثوبٍ عزٍّ فَيُطَوَّى عن أخى الخنوع اليراعِ
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حىٍّ وداعيه لأهل الأرضِ داعٍ
ومن لم يُعْبِطْ يهرمَ ويسقمُ وتُسَلِّمُه المنونُ إلى انقطاعِ^(٢)
وقال أصرم بن حميد :

حرَّامٌ عَلَى أُرْمَاحِنَا طَمَنٌ مُدْبِرٌ وَيَنْدَقُ قُدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
مُسَلِّمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِي فِي الْوَغَى وَدَامِيَةٌ لَبَّائِهَا وَنُجُورُهَا^(٣)

وقول الآخر :

وقد يلتقى الجمعان والموتُ فيهما فيُقْتَلُ من ولىّ ويسلَمُ مَنْ ثَبَّتْ
وقد ذكرتُ في « باب الاعتذار » أحسنَ ما قيل في النظم ، في الاعتذار
من الفرار .

(١) ب : في التعريض على القتال .

(٢) الخنوع : اللذ والخضوع ، والعراج : القصبة الفارغة تهتز من الريح يشبه بها الجنان ، ويعبُط : يمت شاباً من غير علة ، والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ٩٦/١ ، وفيها : يسأم ويهرم بدل يهرم ويسقم ، وانظر وثائق الأعيان ٢/٥٢٣ ، لباب الأدب ٢٤٤ ، عيون الأخبار ١/٢٠٦ حيث تختلف الرواية بعض الاختلاف .

(٣) يروى : وتفرق منها بدل يندق قدنا ، ويروى صدر البيت الثاني : حرمة أكفال خبلي على الفتا ، والبيتان في العقد القريد ١/١١٧ ، وقد نسبا في جموع المعاني ٣٧ إلى أبي تمام .

ومن أحسن ما قيل في الإنصاف في صفة الحرب ، واللقاء والصدق في ذلك ،
قول عبد الشارق بن عبد العزى الجهني :

تَنَادَوْا يَا لَ بَهْثَةَ يَوْمَ صَبْرٍ (١) قُتِلْنَا : أَحْسَنِي ضَرْبًا جُهَيْنِي
سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرٍ غَيْبٍ فَجَلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوْينَا
فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْخَنَا لِلْكَلَالِ فَارْتَمَيْنَا (٢)
وَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشِينَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا
تَلَأَلُوْا مُزْنَةً بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا جَاءُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا (٣)
شَدَدْنَا شِدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ فَتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا
وَشَدُّوا شِدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُؤَيْنَا
وَكَانَ أَخِي جُؤَيْنٌ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتَيَانِ زَيْنَا
فَأَبُوا بِالرِّمَاحِ مُكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ انْحَنَيْنَا
فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاحٌ وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا الْكَكَلَمَى سَرَيْنَا (٤)

(١) ق ، ا ، م : يا لهية قوم صبر ، وفي حماسة أبي تمام : يا لبهثة إذ رأونا ، ورواية حماسة البجزي :
يا لبهثة إذ لقونا ، وقالوا أحسنى .

(٢) ب : فارقيننا .

(٣) ا : وجينا .

(٤) آل بهثة : قبيلة العدو ، وارعونا : تراجعنا ، وردينا : سرنا بخطو فوق الحجلان ، ورواية حماسة
أبي تمام لهذه الشطرة : إذا حجلوا بأسياف ردينا ، فالججلان : تقارب الخلو كفى القيد ، والرديان : مشية
فوق الحجلان ، وقتلت قينا : أى فارسهم المدعو قين ، أو هو عبد من عبيدهم ، والأحاح : الغبط وحزاة لهم .
والكلمى : الجرحى . وانظر الأبيات في حماسة أبي تمام ١/١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، وقد نسبت في حماسة
البجزي ٦١ إلى سامة بن الحجاج .

وقال المَدِيلُ^(١) المَجْلَى :

إِذَا مَا سَحَلْنَا حَمَلَةً ثَبَتُوا لَنَا بِمُرْهَفَةٍ تَقْرَى السَّوَاعِدَ مِنْ مُبْعَدٍ
وَلِإِنْ نَحْنُ نَازَلْنَاهُمْ بِصَوَارِمٍ رَدَوْا فِي سَرَائِيلِ الْحَدِيدِ كَمَا نَزَدِي^(٢)
وقال آخر :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصَرْنَا بِحَطُونَا قُدَمَا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقِ^(٣)
وقال آخر :

إِنَّ الرِّمَاحَ نَصِيرَةٌ بِالْجَاسِرِ

وقال آخر :

وَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّمَا هُوَ عَامِرٌ فَلَا تَرْهَبِيهِ وَانْظُرِي أَيْنَ يَرْكَبُ^(٤)
قال قَطَرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ :

لَا يَرْكَبَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْإِخْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامٍ
فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةً مِنْ عَنِّ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي
حَتَّى خَضِبْتُ بِمَا تَحْدَرُ مِنْ دَمِي أَحْنَاءَ سَرَجِي بِلِ عِنَانٍ لِحَاجِي

(١) ب : المَذِيل ، وهو تحريف ، فهو المَدِيل بن الفَرخ المَجْلَى ، شاعر لإسلاوى أموى يلقب بالعباب من رَهط أبي النجم المَجْلَى ، انظر حماسة أبي تمام ٣١١/١ .

(٢) في الحماسة : مثلوا بدل ثَبَتُوا ، وتَنَزَّى مكان تَقْرَى ، وصعد بدل مُبْعَد ، ومعنى ردوا في سرايل الخ : هربوا لاينا كما نهولوا اليهم . وانظر البيتين في حماسة أبي تمام ٣١١/١ .

(٣) نسب البيت في حماسة أبي تمام ١٠٦/١ ، ١٢٤ إلى بشير بن عبد الرحمن بن كعب ، واسب في الأغاني ٣٠/١٥ ، الشر والشراء ٣٤٢ ، السكامل ٦٨/١ إلى كعب بن مالك الأنصاري ، وانظره في البيان ٢٣/٢ من نغم لهبية .

(٤) البيت لمركز بن حفص القرشي ، انظره في حماسة البعثرى ١٢ ، والرواية هناك : وانظري أى مركب .

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جَذَعَ البَصِيرَةَ قَارِحَ الإِقْدَامِ^(١)
قال عمر بن الخطاب : الجرأة والبجن غرائز يرضها الله حيث يشاء ، فالعجبان يفر
عن أهله وولده ، والجريء يقاتل عن لا يؤوب به إلى رحله .

ومن شعر لأبي ينعُوب الحرَّيمي :
يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عِرْسِ نَفْسِهِ وَيَحْمِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ
وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الْجَوَادِ عَدُوَّهُ وَيُحْرَمُ مَعْرُوفَ الْبَخِيلِ أَقَارِبُهُ^(٢)
وقال قَطَرِيَّ بن الفُجَاءَةِ :

يَا رَبُّ ظِلِّ عُقَابٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهَا مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالُ تَجَسَّدَ
وَرَبِّ بَوْمٍ حَمَى أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ خَيْلِي انْتِسَارًا وَأُطْرَافُ الْقَنَا قَصْدُ
وَيَوْمٍ لَمْ يَلْهُوْا لِأَهْلِ الْخَفَضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءَ الْوَعْيِ أَوْ نَارُهُ تَقْدُ
مُشْهَرًّا مَوْقِي وَالْحَرْبُ كَشَفَتْ عَنْهَا قِنَاعَ الْمَوْتِ مُطَرِّدُ
وَرَبِّ هَاجِرَةٍ تَعْلَى مَرَاجِلُهَا مَخْرَتُهَا بِعَطَايَا غَارَةٍ تَخْدُ
تَجْتَابُ أَوْدِيَةَ الْأَفْزَاعِ أَمْنَةً كَأَنَّهَا أَسْدٌ يَتَنَادَاهَا أَسْدُ
فَإِنْ أُمْتُ حَتَفَ أَنْفِي لَا أُمْتُ كَمَا عَلَى الطَّمَانِ وَقَصُرَ الْعَاجِزُ الْكَمْدُ^(٣)

(١) شرح الأبيات : الدريئة : الهدف ، أو الحلقة التي يتعلم عليها الطعن : والأخناء : الجوانب ، ويروى
بدلها الأكناف ، وجذع البصيرة : فني الاستبصار ، أي وأنا على بصيرتي الأولى ، وقارح الإقدام ، متناه في
الجرأة . والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٣٠ ، والحماسة طبعة بيروت ١/٤٤ ، الأملال للقال ٢/١٩٠ .
(٢) في عيون الأخبار ١/١٧٢ : عن أم رأسه ، وفي العقد الفريد ١/١٦٣ : عن أبيه وأمه ، وفي
مختصرات الأدباء ١/١٣١ ، ٥٧/٢ : عن أم نفسه .

(٣) العقاب : طائر ، وتجتلد : تتقاتل ، والقوة : شجر ، وقصد : قاطعة أو متكسرة من الطمان ،
مخرتها : قطعها ، ويروى مكان مخرتها : نجزتها . وتخذ : تسير سيراً حثيثاً ، وقصر : أي حسب .
والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٣٢ ، لباب الآداب ٢٢٥ ، الأملال ١/٢٦٥ .

وقالت الخنساء :

وَمَنْ ظَنَّ نَمْنًا يُلَاقِي الحُرُوبَ بِالْأَيِّ يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا^(١)

وقال حبيب الطائي :

وَدَنُونًا وَدَنُونًا حَتَّى إِذَا أَمَكْنَ الضَّرْبُ فَبِنِ شَاءَ ضَرَبُ
تَرَكَوا القَاعَ لَنَا إِذْ كَرِهُوا . غَمَرَاتِ المَوْتِ وَاخْتَارُوا الهَرَبَ^(٢)

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، ويقال : إنها لَعَمْرٍو بن مَعْدَى كَرِبَ :

أَعَاذُلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي رُكُوبِي فِي الصَّرِيخِ إِلَى المُنَادِي
مَعَ الفِتْيَانِ حَتَّى سُلَّ جِسْمِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَبْلُ النَّجَادِ^(٣)

وقال آخر :

قَوْمٌ إِذَا اشْتَجَرَ القَنَا جَعَلُوا القُلُوبَ لَهَا مَسَالِكَ
الْإِبْسَاسِ قُلُوبَهُمْ فَوْقَ الدَّرُوعِ لَدَفْعِ^(٤) ذَلِكَ^(٥)

وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ^(٦) الطَّعْنِ ، قول الحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ :

فَرَدَدْنَاَهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا يَخُ رُجٌّ مِنْ جَرِيَّةِ الزَّادِ المَاءِ
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَليمُ اللَّاءِ وَمَا إِنَّ الخَائِنِينَ ذِمَاءَ

(١) الديوان ١٤٦ .

(٢) الديوان ٢١١ .

(٣) ب : سل عظمي . والبيتان في عيون الأخبار ١/١٣٣ ، المقدم القريب ١/١٤٤ ، ١٤٢ ، وفيه : لإجابتي الصريح ، وانظر البيت الأول في معجم الشعراء ٢٠٩ .

(٤) ١ : لوقع .

(٥) البيتان في أمالي القائل ١/٦٥ .

(٦) ب : صحه .

وقال الفندُ الزُّمَانِي (١) :

وطمنِ كَفَمِ الزَّقِّ غَذَا وَالزَّقِّ مَلَانُ

وقال آخر :

وَمِثْلِكَ قَدْ كَسَرْتُ الرُّمُوحَ فِيهِ فَآبَ بِدَائِهِ وَشَفِيتُ دَائِي

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء (٢) :

وَقَالُوا : فَارِسُ الْهَيْجَاءِ ، قُلْنَا : كَذَاكَ الرُّمُوحُ يَكْلَفُ بِالْكَرِيمِ

وقال آخر :

ضَمَمْتُ إِلَيْهِ بِالْقَنَاءِ قَمِيصَهُ نَحَرَ صَرِيحًا لِلْيَدِينِ وَلَلْفَمِ (٣)

وقال عنتره :

فَشَكَّكْتُ بِالرُّمُوحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَاءِ بِمَحْرَمِ (٤)

وقال آخر :

صِرَاعِنَا طَرِيفًا بِأَرْمَاحِنَا وَلَا تَأْكُلِ الْحَرْبُ إِلَّا السَّمِينَا

(١) اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زهران الحنفي ، كان سيد بكر بنى وائل وقائدها وفارسها وسمى الفند لعظم خلقته ، تشبها بفند الجبل أى القطعة منه ، مات نحو سنة ٧٠ قبل الهجرة ، والبيت مع أبيات أخرى في حماسة أبي تمام ١٦/١ ، حماسة البجترى ٧٥ وفيها : « وهى » مكان غذا ، والأمل للقالى ٢٦٠/١ . والزق : وعاء الحمر ، وغذا : سال .

(٢) في الحماسة أن فائته هى بنت فروة بن مسعود من شعر فائته فى رثاء أبيها فروة وعمها قيس ابن مسعود وكانا قتلا مع المنذر ذى القرنين يوم عين أباغ ، والمنذر هو ابن امرئ القيس وأمه ماء السماء النمرية ، ورواية الحماسة للبيت : وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذاك ... الخ ، انظر حماسة أبي تمام ٢٧١/١ .

(٣) البيت لربيعة بن مكدم ، الكامل ١٧١/٢ .

(٤) ديوانه ٢٦ ، جمهرة أشعار العرب ٩٧ .

وقال علي بن محمد^(١) العلوي ، المعروف بالمُبرقع^(٢) ، صاحب الزنج :

يَنْتَنِي الصَّارِمُ الْمَهْدُ وَالرُّمُ حُ الرُّدَيْنِي وَالشُّجَاعُ الْجَرِي
 حَيْثُ لَا أَنْتَنِي وَلَا يَتَنَّنِي بِيَدِي صَارِمٌ وَلَا سَمَّهَرِي
 مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى مَشْرِفِيَا مَاضِيًا^(٣) فِي يَمِينِهِ مَشْرِفِي
 شَأْنِي الْفَارِسُ الْمُدَجَّجُ فِي النَّقْ عَ إِذَا نَازَلَ الْكَمِي الْكَمِي
 وَرَأَيْتُ الْفَضَاءَ أَضْيَقَ مَا يُسْ مَيَّ بِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَطْوِي
 يَا ابْنَةَ الْعَمِّ أَوْقَدِي أَنْارَ فِي اللَّيْلِ لِي فَإِنِّي لِكُلِّ آتٍ أَتِي^(٤)
 أَكْرِمُ الضَّيْفَ مَا اسْتَطَعْتُ لِأَنِّي مَطْعَمِي حَاضِرٌ وَكَأْسِي رَوِي
 كَيْفَ لَا تُرْهِقُ النُّفُوسُ لَشَخْصِي حِينَ أَغْشَى الْوُغَى^(٥) وَجَدْتِي عَلِي
 ذُو الثَّقَى وَالنُّبَلِ وَذُو الْعِلْمِ وَالْحِلْدِ مِ وَمِنْ خَيْرِ طِينَةٍ وَالْوَصِي
 وَالَّذِي قَالَ إِنَّهُ الْبَوْمَ وَيَنِي مِثْلُ هَارُونَ مِنْ أَخِيهِ النَّبِيِّ

وقال عبيدة بن هلال :

يَهْوِي وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ شَلُو تَنْشَبَ فِي مَخَالِبِ صَارِ

(١) في ١ : علي بن أحمد وهو خطأ ، فهو علي بن محمد الوزني العلوي ، الملقب بصاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي ، طهر في أيام المهدي بالله العباسي سنة ٢٥٥ هـ ، والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاها ، حتى بلغ جيشه ٣٠٠ ألف مقاتل ، وعجز عن قتاله الخلفاء حتى استطاع الموفق بالله في أيام المعتمد سنة ٢٧٠ هـ أن يقتله . انظر الطبري ١١/ ١٧٤ ، الأعلام ٥/ ١٤٠ .

(٢) زيادة في فقط ، وليس هذا لقب له بل هو لثائر آخر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ١ : آب أبي .

(٥) ساقطة من ب .

فُيْرَى صَرِيحًا وَالرَّيَّاحُ تَنُوشُهُ إِنْ السَّرَّاءَ قَصِيرَةَ الْأَعْمَارِ
وقال مهلهل :

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا وَتَزَلْنَا وَأَخُو الْحَرْبِ مَنْ أَطَاقَ التَّزُولَا^(١)
وقال^(٢) ابن مقروم^(٣) الضبي :

وَدَعَوْا تَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَّامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ
وقال أعشى همدان :

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَالِكَةَ أَنَّ الْكَتَائِبَ لَا يَهْزَمَنَّ بِالْكَتُبِ
إِنَّ الْوَعِيدَ بظَهْرِ الْغَيْبِ مَعْجَزَةٌ فَإِنْ أُرِدْتَ قِتَالَ الْقَوْمِ فَاقْتَرِبِ
من ها هنا والله أعلم أخذ حبيب :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ^(٤)
وقال آخر :

وَخَارَجَ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعِ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ
مَنْ كَانَ يَهْوَى أَهْلَهُ فَلَا رَجَعَ^(٥)

(١) ب : التزلا ، والبيت في محاضرات الأدباء ٥٧/٢ .

(٢) ساقط من ١ ، وابن مقروم هو ربيعة بن مقروم الضبي ، شاعر مخضرم شهد القادسية وجلولاء أيام عمر ، ويعد من شعراء مضرم الجيدين . والبيت في عيون الأخبار ١/١٢٦ ، حماسة أبي تمام ٢٣/١ ، ويروي : أركبها بدل أركبه .

(٣) البيت في ديوانه ٤٥ .

(٤) الشعر والشعراء ٧٥٣ ، المقدم القريد ١/١٦٩ ، عيون الأخبار ١/١٨٣ وفيه : من كان ينوى أهله...

الح .

قال السموءل بن عادياء اليهودى :

يَقْرَبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرُّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(١)

كان معاوية رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين :

كَأَنَّ الْجَبَانَ يَيْى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ

وَقَدْ تُذَرِّكُ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَاطِلُ^(٢)

أشعار الجبناء

قال أيمن بن خُرَيْم :

إِنَّ لِلْفَتَنِ مَيْلًا يَبِينُ فَرَوَيْدَ الْمَيْلِ مِنْهَا يَمْتَدِلُ

فَإِذَا كَانَ عَطَاءُ فَأَقِمَّ^(٣) وَإِذَا كَانَ قِتَالٌ فَاعْتَزِلْ

إِنَّمَا يُسْعِرُهَا جَهَالُهَا حَطَبَ النَّارِ فَدَعَهَا تَشْتَلِ^(٤)

وقال آخر :

أَضْحَتْ نَشَجْعُنِي هَنْدٌ وَقَدْ عَامَتْ أَنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ^(٥)

لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَصْلُ اللَّهِ سَعِيَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُّوا

(١) حاشية أبي تمام ٢٨/١ ، البيان ٢٨١/٢ .

(٢) عيون الأخبار ١٦٥/١ .

(٣) ب : فَأَتَمَّ .

(٤) الأبيات في العقد الفريد ١٦٧/١ ، نهاية الأرب ٧١/٣ ، عيون الأخبار ١٦٣/١ ، وفيها كلها : مِيطَا بَدَلْ

مِيطْلٌ وَهِيَ بَعْقٌ ، وَفِي الْعَقْدِ فَاتَحَزَّ بَدَلْ أَدَمٌ ، وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ فَأَتَمَّ ، وَهِيَ مُوَافَقَةٌ لِلنَّسْخَةِ ب .

(٥) ساقط من ١٠ وفي الميون فقلت لها إن الشجاعة ، وفيها : إِلَى حَوَائِثِهَا بَدَلْ نِيرَانِهَا .

وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أُبْنِي فَعَالَهُمْ لَا الْقَتْلَ يَعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ^(١)
 لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْفِرْدَوْسَ جَنَّتَهُ^(٢) مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهُ أَرْبُ^(٣)

وقال أبو الغمر المدني كاتب الحسن بن زيد :

قَدْ هَانَ عِنْدِي لِسَانُ الْعَارِ وَالْعَذْلِ فَلَسْتُ آأَفُ مِنْ جُبْنٍ وَلَا فَشَلٍ
 إِنِّي بَخَلْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِهَا وَلَسْتُ بِالْمَالِ أَفْدِيهَا مِنَ الْبَخْلِ
 هِيَهَاتَ تَأْتِي لِي التَّغْرِيرَ فَلَسَفَةُ تَرَى حُضُورَ الْوَعْيِ مِنْ أَكْثَرِ الزَّلَلِ
 مَتَى رَأَيْتَ شَجَاعًا مَاتَ بِالْأَجَلِ وَنَالَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا مَدَى الْأَمَلِ
 كَانَ آجَالُ شُجْعَانِ الْوَرَى خُلِقَتْ^(٤) فِي أَنْفُسِ الْبَيْضِ وَالْخَطْمَةِ الذُّبُلِ^(٥)

وقال أيضاً :

إِنِّي أَضِنُّ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الشَّرَفِ
 مَا أَبْعَدَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِ الْعِجَابِ وَمَا أَحَلَّهُ بِالْفَتَى الْعَامِي عَنِ الشَّرَفِ^(٦)

وقال أيمن بن خريم :

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ وَقَدْ رَأَيْتُ تَقْدَّمَ حِينَ جَدَّ بَنَا الْمِرَاسُ

(١) ب : لا المجد يعجبني منها ولا الامب .

(٢) في المقد : لا والذي منح الأبصار رؤيته ، وفي العميون : لا والذي حجت الأنصار كعبته .

(٣) الأبيات لأبي الغمر محمد بن أبي حمزة الطوسي ، انظرها في عيون الأخبار ١/١٦٤ ، العقد الفريد ١/١٦٦ ، مجموعة المأني ٤٤ ، معاضرات الأدباء ٢/٦٢ ، ٧٩ .

(٤) ب : جعلت .

(٥) المحاسن والمساوي ٢/٢٤٥ .

(٦) معجم الشعراء ٢٦٩ ، وفيه : إني بغات .. الخ .

فألى إن أطمعتك غير نفسي ومالى غير هذا الرأس^(١) رأس

وقال الهذلى يصف جباناً :

تَحُولُ قُشْعَرِيَّاتُهُ^(٢) دُونَ لَوْنِهِ فرائضه من خيفة الموت تُرْعَدُ^(٣)

وقال آخر :

وَكَتِيبَةٌ لَبَسَتْهَا بَكْتِيْبَةٌ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِي
فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُّ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْجَدِلٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ
مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ - وَقَتِلْتُ دُونَ رَجَالِهِمْ - لَا تَبْعَدُ^(٤)

وروي أن مروان بن الحكم، دعا أيمن بن خُرَيْم إلى القتال بـرج راهط، فقال له :
إن أبى وعمى شهداء بدر، وعهدا إلى ألا أقاتل مساماً، ثم أنشأ يقول :

وَلَسْتُ بِقَاتِلِ رَجُلًا يُصَلِّي عَلَى سُلْطَانٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ
لَهُ سُلْطَانُهُ وَعَلَى إِيْمِي مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفْهِ وَطَيْشٍ
أَقْتُلُ مُسْلِمًا فِي غَيْرِ جُرْمٍ فَلَسْتُ بِنَافِعِي مَا عَشْتُ عَيْشِي^(٥)

(١) في السكامل أنها لحبيب بن الهلب بن أبي صفرة، وقيل لهما للأعور الشئى، وقد وردا في حماسة أبي تمام ٣٦٥/٢ بغير نسبة، وفيها : بغير جرم مكان وقد رآني، ومن حياة مكان غير نفسى، وفي معاصرات الأدباء ٧٩/٢ : بغير نصح . وفي مجموعة المعاني ٤٣ : بغير علم .

(٢) ب : تشعير برأته .

(٣) البيت لساعدة بن جؤية الهذلى، ديوان الهذليين ٣١٨/٢ .

(٤) يروى : من بين منعقر الجبين ومسند، ومن بين مقتول، ويروى : هل كان بدل ما كانى، وهل ينفعنى أن يقول نساؤهم ... إلخ . ومعنى نفضت لها يدي أى أعرضت عنها، ونفس : تكسر، ومنجدل : مقتول . والأبيات للفرار السلمي (حيان بن الحكم) كما في حماسة أبي تمام ٦٥/١ ، عيون الأخبار ١٠٤/١ ، وانظرها أيضاً في حماسة الجعفرى ٥٠ ، العقد الفريد ١٦٤/١ ، محاصرات الأدباء ٧٩/٢ .

(٥) الشعر والشعراء ٥٢٧ .

وقد روى أن هذه القصة جرت لأين بن حُرَيْم مع عبد الملك بن مروان .

ولأبي النعمان كاتب الحسن بن زيد أمير المدينة :

لستُ غَدَاةَ الكَرِّ بالكِرَارِ ولا عَلَى الطَّعَانِ بالصَّبَّارِ
هانتُ عَلَى سَبَلَاتِ العَارِ وما أبالى قبلوا اعْتِدَارِي
أَوْ وَسَمُونِي سِمَةَ الغَدَارِ^(١) أنا طليق الرِّكْضِ والفِرَارِ
فديتُ نَفْسِي منه بالإضمارِ فَلَوْ تَرَانِي أَوْ تَرَى إِحْصَارِي^(٢)
لا أعرفُ اللَّيْلَ من النَّهَارِ خلّيتني عَجَلَانَ ذَا انْشِمَارِ^(٣)
طَرَفًا^(٤) نجا من وَخْزَةِ البِيطارِ أَحْكِمَ منه الصَّنْعُ في المِضْمَارِ
أَوْ عَدَوْ غَيْرِ غَيْرِ مَا عِثَارِ أَوْ كُنْجَاءِ النَّقِيقِ الطِّيَّارِ^(٥)

قيل لأسلم بن زُرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير
عبيد الله بن زياد فقال : لأن يغضب عليّ وأنا حيّ ، أحب إليّ من أن يرضى عني
وأنا ميت .

وأسلم بن زُرعة هذا هو القائل^(٦) ، وقد عبأ جيشاً عظيماً ليفزع به الخوارج ،

(١) ب : الفرار . (٢) ب : لإحصار .

(٣) ب : لإنسار . (٤) ب : طرباً .

(٥) شرح السكليات : السبلات : جمع سبل بالفتح ، وهو السب والشتم ، والإضمار : إعطاء الفرس
القوت بعد السمن لتهرل وتستطيع دخول السباق . والإحصار : ارتشاق الفرس في العدو ، وانشمر : مر جاداً في
عمله ، والطرف : الفرس الكريم ، والبيطار : معالج الدواب ، والمضمار : موضع إضمار الخيل ، والنقيق :
الطليم ، أو النافر أو الخفيف .

(٦) ب : يقول .

فلما رآهم لم يفزعوا ، وجعلوا يقبلون إليه ، قال لهم : عزمت^(١) خارا الله لنا ولكم ، ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم ، ولما هزمه مرداس قال شاعرهم — وكانوا أربعين — وأسلم بن زُرعة في ألفين :

أَلَفَّا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُهُمْ رَجَالٌ أَرْبَعُونَ
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكُمْ كَذَاكُمُ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمْ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ^(٢)

وجه أبو جعفر المنصور ، رُوِّحَ بن حاتم إلى قتال بعض الخوارج ، فلقيه أبو دلامة ، فقال له روح : يا أبا دلامة ! لو خرجت معنا في هذا الوجه ، فقاتلت فأبليت ، فذكرت بالشجاعة كما ذكرت بالشعر ، فضحك ، وقال : اسمع أبا خالد ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

إِنِّي أَعُوذُ بِرَوْحٍ أَنْ يَقْرَبَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَيَشْتَقِيَ بِي^(٣) بَنُو أَسَدٍ
إِنْ الدُّنُوْ مِنْ الْأَعْدَاءِ تَعْلَمُهُ مِمَّا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ^(٤)
قال : فضحك وأمر له ببجائزة .

وقال أبو العذر :

ظَلَّتْ كُنْشَجَعِي ضَلَّلاً بِتَضْلِيلِ^(٥) وَلِلشَّجَاعَةِ خَطْبٌ غَيْرُ مَجْهُولٍ

(١) ساطعة من أ .

(٢) الأبيات ليسى بن فانك الخطمي ، أحد بني نعيم الله بن ثعلبة ، كما في الكامل ١٨٥/٢ ، وفي المفرد الفريد ١٧٣/١ ورد البيت الأول : أَلَفَّا مؤمن لستم كذاكم ولكن الخوارج ... الخ ، وفيه : غير شك بدل قد علمتم . وانظر عيون الأخبار ١٦٣/١ وفيها : بأسك أربعونا .

(٣) ب : فيسقول .

(٤) البيتان في نهاية الأرب ٤٢/٤ ، وفيه : فتخزي بي بنو أسد ، وانظر معهم الأدباء ١٦٧/١١ :

(٥) ب : ضللا بتضليل تحريف ، وضلا بتضليل دعاء عليها بالضلال .

هل غير أنْ عَذَلُونِي أَنِّي فَشِلْتُ
 الحربُ تُعَقِّبُ مَنْ يَصَلِّي بِهَا حَزَنًا^(١)
 وَاللَّهِ لو أَنَّ جَبْرِيلًا تَكَفَّلَ لِي
 اللَّهُ خَلَّصَنِي مِنْهُمْ وَفَلَسَفَتِي
 فَكُلُّ هَذَا نَمٌّ فَاعْرِوْا بِتَعْدِيلِي
 يُتِمُّ الْبَيْنَ وَإِرْمَالِ^(٢) الْمَثَاكِيلِ
 بِالنَّصْرِ خَفْتُ عَلَى عِلْمِي بِجَبْرِيلِ
 حَتَّى تَخْلُصْتُ مَخْضُوبَ السَّرَاوِيلِ^(٣)
 وَلَهُ أَيْضًا:

لَسْتُ بِدَائِ الْحَرْبِ بِوَقَافٍ
 قَدْ أَمَّنَ اللَّهُ عَدُوِّي فَمَا
 إِذَا رَأَيْتُ الْحَرْبَ مِنْ فَرَسِيحٍ
 وَلَا عَلَى الْقِرْنِ بِعَطَافٍ
 يَخَافُ أَرْمَاحِي وَأَسْيَافِي
 خَذَرْتُ لِرَجُلِي أَيْ خِذْرَافٍ^(٤)

(١) ب : جربا .

(٢) ١ : آ.ال .

(٣) المحاسن والساوى ١٤٤/٢ ، ١٤٥ .

(٤) المفروق : السريم الجرى ، وانظر الأبيات في المحاسن والساوى ١١٠/٢ ،

باب الاعتذار

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَلَيْسَ بِبَلٍّ عَذْرُهُ ، مَا لَمْ يَعْلَمْ كَذِبُهُ » .

قال عمرُ بنُ الخطاب : لَا تَلْمُ أَخَاكَ عَلَى مَا يَكُونُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ .

قال الأحنفُ : إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ قَلَّمَا اعْتَذَرَ أَحَدٌ فَسَلِمَ مِنَ الْكَذِبِ .

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لو أنَّ رجلاً شتمني في أذني هذه ، واعتذر إلي في أذني هذه لقبلت عذره .

ومن النظم في معناه :

قِيلَ لِي قَدْ أَسَا إِلَيْكَ فَلَانَ وَقَعُودُ الْفَتَى عَلَى الضَّيِّمِ عَارٌ
قُلْتُ : قَدْ جَاءَنَا فَأُحْدِثْ عُذْرًا دِيَّةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الْاِعْتِذَارُ

وقال الأحنف : إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ ، فَلتَلْقَهُ بِالْبُشْرِ .

اعتذر إلى قتيبة بن مسلم رجل فقبل منه ، ثم قال : لَا يَدْعُونَكَ أَمْرٌ قَدْ تَخَلَّصْتَ مِنْهُ إِلَى الدُّخُولِ فِيمَا لَعَلَّكَ لَا تَتَخَلَّصُ مِنْهُ .

قال صالح بن أبي النجم :

وَلَرُبَّمَا جَاءَ الْفَتَى بِدِيَّةٍ وَوَرَاءَهَا عُذْرُهُ لَهُ لَمْ يُفْهَمِ .

وكان يقال : اعتذار بمنع خير من وعد بمطول .

وقال صالح بن عبد القدوس :

يَلُومُنِي النَّاسُ فِيمَا لَوْ أُخْبِرُهُمْ
بِالْعُذْرِ مِنِّي فِيهِ لَمْ يَلُومُونِي

قال البحري :

أَقْبَلَ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا
فَقَدْ أَطَاعَكَ مِنْ يَرْضِيكَ ظَاهِرُهُ
وَقَدْ أَجْلَكَ مِنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرًا^(١)

وله أيضًا :

إِذَا حَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا
عُدْتُ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟^(٢)

وقال محمود بن داود القياسي :

الْعُذْرُ يَلْحَقُهُ التَّخْوِيفُ^(٣) وَالْكَذِبُ
فَإِنْ أَسَأْتُ فَبِالنِّعَمِ الَّتِي سَلَفَتْ
وَلَيْسَ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِيكَ لِي أَرْبُ
لَمَّا مُنِيتُ بِعَفْوِ مَالِهِ سَبَبُ

وقال أبو علي البصير :

لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا فَإِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ
قَدْ تَطَرَّفُ الْكَفُّ عَيْنَ صَاحِبِهَا
جَنَيْتُ ذَنْبًا فَغَيْرُ مُعْتَمِدٍ
فَلَا يَزِي قَطْعُهَا مِنَ الرَّشْدِ^(٤)

(١) البيتان في ديوانه ٥٨/١ .

(٢) ديوانه ٦٣/١ .

(٣) ب : التصريف .

(٤) نهاية الأرب ١١٥/٢ .

وقال علي بن الجهم :

إِنَّ ذُلَّ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِذَارِ خَطَّةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ
لَيْسَ جَهْلًا بِهَا تَوَرَّطَهَا الْحُرُّ وَلَكِنْ سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ
ارْضَ لِلسَّائِلِ الْخُضُوعَ وَلِلْقَا رِفِ ذَنْبًا مِثْلَةَ الْإِعْتِذَارِ^(١)

وقال آخر :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تُرَى لِي زَلَّةٌ وَلَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ مَا عَنَّهُ
إِذَا عَظِرَ الْجَانِي مَعَا الْعُذْرُ ذَنْبُهُ وَكُلُّهُ أَمْرِي لَا يَقْبَلُ الْعُذْرَ مِثْلُ
كَانَ يُقَالُ : مَنْ وَفَّقَ لِحَسَنِ الْعِذَارِ خَرَجَ مِنَ الذَّنْبِ .

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله الوزير الكاتب^(٢) ، فأساء الاعتذار
أبو عبيد الله : ما رأيت اعتذاراً أشبه باستئناف ذنبٍ من هذا .

وللشافعي رضي الله عنه ، وقد قيل : إنما تمثّل بها :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفْرَقَهُ عَلَى الْمُقِلِّينَ مِنْ أَهْلِ الْمِ
إِنْ اعْتَذَرِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ عِنْدِي مِنْ إِحْدَى الْمِ

(١) ديوانه ١٤٩ ، العقد الفريد ٢٨٧/١ ، وفيه : إن بين السؤال ٠٠٠ الخ .

(٢) فصل المقال ٦٩ ، العقد الفريد ١٤٣/٢ .

(٣) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار ، وزير المهدي ، كان أوحّد الناس في عصره حقداً وخبرة مات سنة ٨١٧ ، انظر تاريخ بغداد ١٣/١٩٧ ، الوزراء والكتاب ١٤١ وما بعدها .

ومما يُنشد للفراء من قوله :

أردتُ لكَيْمًا لَا تُرَى لِي عُمْرَةٌ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ^(١)

وقال محمود الوراق :

أراني إذا ما زِدْتُ مَالًا وَرَفْعَةً وَخَيْرًا إِلَى خَيْرٍ تَزِيدْتُ فِي الشَّرِّ
فكيف بشكر الله إذ كنتُ إنما أقوم مقامَ الشكر لله بالكفر
بأى اعتذارٍ أم بأية حجةٍ يقول الذى يدرى من الأمر : ما أدرى ؟
إذا كان وجهُ المُذِرِ ليس بواضحٍ فَإِنَّ اطِّرَاحَ المُذِرِ خَيْرٌ مِنَ العُذْرِ^(٢)
قال أبو بكر الصولى ، أخبرنى أبو بكر بن عبد الله ، قال : سألتُ أبا سليمان
الشَّاشِيَّ حاجةً فاعتذرتُ بشغلٍ فى تأخيرها ، فكتب إلى :

سَكَنْتُ نَفْسِي لَمَّا أَلَيْتُ حَبْلِي بِحَبَالِكَ
إِنَّمَا أَطْلُبُ مِنْ جَاءَ هَكَ نَفْعًا لَا بِعَالِكَ
لَا تَصِيرَ شُغْلُكَ الْيَوْمَ مَ اعْتِذَارًا لِطَلَابِكَ^(٣)
لَوْ تَفَرَّغْتَ مِنَ الشُّغْلِ لَ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَسَالِكِ^(٤)

وهذا عندي مأخوذ من قول أبي العتاهية :

لَيْسَ ذَا الشُّغْلِ عَازِرٌ لَكَ عِنْدِي إِنَّمَا تُرْتَجَى إِذَا كَانَ شُغْلُ^(٥)

(١) ينسب البيت أيضاً لثروان العكلى ، انظر أمالى الغالى ٤٣/٢ .

(٢) الكامل ٣٣٨/١ ، زهر الآداب ٩٠/١ ، محاضرات الأدباء ١١٦/١ ، نهاية الأرب ٨٠/٣ .

(٣) ب . لا تصير ... لمطالك .

(٤) محاضرات الأدباء ٢٦٦/١ .

(٥) ديوانه ٢١٦ ،

وقال آخر :

ولا تعتذرْ بالشُّغلِ عَنَّا فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ
ولا ترتفع عَنَّا بِشَيْءٍ وَلَيْتَهُ كَمَا لَمْ يُصَغَّرْ عِندَنَا شَأْنُكَ الْعَزْلُ^(١)

وقال آخر :

وقد علمتُ لو أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِي أَنِّ انْطِلَاقِي إِلَى الْحَجَّاجِ تَغْرِيرُ
لئن رحلتُ إِلَى الْحَجَّاجِ مُعْتَذِرًا إِنِّي لِأَحْمَقُ مِنْ تَجَرِّي بِهِ الْعِيرِ^(٢)

وقال آخر :

لَا تَرْجُ تَوْبَةً مَذْنِبٍ خَلَطَ احْتِجَاجًا^(٣) بِاعْتِذَارِ

وقال ابن الدُّمَيْنَةِ :

بِنَفْسِي وَمَالِي مِنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ يَبْعُضُ الْأَذَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ
ولم يعتذرْ عُذْرَ الْبَرَىءِ وَلَمْ يَزَلْ بِهِ سَكْتَةً حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ^(٤)

وقال آخر :

فَلَا تَعْذِرَانِي^(٥) فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شِرَارُ الرِّجَالِ مِنْ مُسِيءٍ وَيُعْذَرُ^(٦)

(١) نسب البيتان في معجم الشعراء ٣١٤ إلى أبي علي البصير ، وانظرهما في زهر الآداب ٢٥٦/١ ، عيون الأخبار ٨٧/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٣ .

(٢) البيتان للأقيل الفيني ، كما في المؤلف والمختلف ٢٤ .

(٣) ب : الندامة ، والبيت لكتوم بن عمرو العتابي كما في الكامل ٣٢٨/٢ ، وانظره في المحاضرات ١١٢/٣ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

(٤) ديوانه ١٢ ، البيان ٢١٥/١ ، حساسة أبي تمام ١١٢/٢ ، الشعر والشعراء ٧١٠ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٥) ب : تعذلاني .

(٦) البيان ٢٠٥/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ ،

وقال آخر :

وما حَسَنُ أَنْ يَعْذِرَ المرءُ نَفْسَهُ وليس له من سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ^(١)

وقال آخر :

هي المقاديرُ فلمنى أو فذَر إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأَ القَدَرُ^(٢)

وقال آخر :

وعاجزُ الرأى مضياغٌ لفرصته حتى إذا فات أمرٌ عَاتَبَ القَدَرُ^(٣)

وقال آخر :

إذا عُمِرُوا قالوا مقاديرُ قد جَرَتْ وما العارُ إلَّا ما تَجَرُّهُ المَقَادِيرُ^(٤)

قال بعض الحكماء : إياك وما يَسْبِقُ للقلوب إنكارُهُ ، وإن كان عندك اعتذارُهُ .

قال محمود الوراق :

أَرَانِي مَعَ الْأَحْيَاءِ حَيًّا وَأَكْثَرِي على الدَّهْرِ مَيِّتٌ قَدْ تَخَوَّنَهُ^(٥) الدَّهْرُ
فَلَمْ يَمُتْ^(٦) مَنِّي لَمَّا مَاتَ مَيِّتٌ وبعضٌ لبعضٍ قَبْلَ قَبْرِ الْبَلَى قَبْرُ
فِيَا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ بَدْءًا وَعَوْدَةً إِلَى فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
فَن كَانَ ذَا عَذْرِ لَدَيْكَ وَحُجَّةً فَعُذْرِي إِقْرَارِي بَأَن لَيْسَ لِي عُذْرُ

(١) حماسة أبي تمام ١٥/٢ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، مجموعة المغانى ١٣ ، ٢٦ .

(٢) البيت من مزدوجة أبي العتاهية ، انظر ديوانه ٣٤٦ ، التمثيل والمحاضرة ٢٢٩ ، معجم الأدباء ١٢٧/٧ ،

عيون الأخبار ١٤١/٢ .

(٣) العقد ١/ ٧٥ ، البيان والتبيين ٣٩١/٢ ، معجم الشعراء ١٩٨ .

(٤) الأمل ١/ ٣١ ، عيون الأخبار ١٤١/٢ .

(٥) ١ : تخوفه .

(٦) ١ : هب .

وفي الأشعار في الاعتذار من الفرار

قال الأصمعي : أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار ، قول الحارث بن هشام

المخزومي :

اللهُ يَعْلَمُ ما تَرَكْتُ قِتَالَهمْ حَتَّى عَلَوْا مُهْرِي بِأَشَقَرِ مُزِيدِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلَ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يُحْزِنُ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهم وَالْأَحِبَّةُ فِيهمْ طَمَعًا لَهُم بِعَقَابِ يَوْمِ مُنْهَدِي^(١)

وقال خلف الأحمر : أحسن ما قيل في الاعتذار في الفرار ، قول هبيرة بن أبي

وهب المخزومي :

لَعَمْرُكَ ما وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جَبِينًا وَلَا خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَسَكُنِّي قَلْبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ لَسِيْفِي غَنَاءَ إِنْ ضَرَبْتُ وَلَا نَبِيْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّا خَفْتُ ضَيْعَةً مَوْفِي رَجَعْتُ لَعَوْدِ كَالْهَزْبِ أَيْ الشَّبْلِ^(٢)

فر ابن مطيع^(٣) يوم الحرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قاتل ابن الزبير ، جعل

يحتج به في القتال ، ويقول :

(١) يروي : علوا فرسي ، ولا يضرب عدوي ، ويوم مرصد أبي معلوم . وانظر الأبيات في حماسة أبي تمام ٦٤/١ ، عيون الأخبار ١٦٩/١ ، حماسة البحتري ٥٠ .

(٢) يروي : خشية بدل خيفة ، وغناء لسيفي ، ويروي البيت الثالث :

وقفت فلما لم أجِد لي مفعما صدحت كضرب غمام هزبر أبي الشبل

انظر حماسة البحتري ٥٠ ، محاضرات الأدباء ٧٨/٢ .

(٣) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي ، كان على قریش يوم الحرّة (حرّة واقم ، انظر في خبرها : معجم البلدان المجلد الثاني ٢٤٩) فلما انهزم أصحابه فر واختبأ ، ثم انضم إلى عبد الله بن الزبير ، ولم يزل معه حتى قتل سنة ٧٣ هـ ، انظر الإصابة ترجمة ٦١٨٧ ، تهذيب التهذيب ٣٦/١ . وتروى الشطرة الأخيرة فيما يلي : لأبأس بالسكرّة بعد القرّة ، وانظر البيهقي في العقد ١٧٥/١ ، وحماسة البحتري ٥٣ ، عدا الشطرة الأخيرة .

أَنَا الَّذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ وَالْحُرُّ لَا يَفْرُ إِلَّا مَرَّةً
فَالْيَوْمُ أَجْزَى فَرَّةً بِكَرِّهِ يَا حَبْذا الْكُرَّةُ بَعْدَ الْفَرَّةِ

وقال أوس بن حجر :

أَتَوْنَا فَرْدُوا حَافَتَيْنَا بِزَاعِقِ^(١) مِنْ الضَّرْبِ ضَرَمَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْيَبِسِ
وَمَا بِفَرَارِ الْيَوْمِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ^(٢)
قال الأحنف بن قيس : أسرعُ النَّاسِ إِلَى الْفِتْنَةِ ، أَقْلُهُمْ حَيَاءً مِنَ الْفِرَارِ .

وقال آخر^(٣) :

الْعَبْدُ يَذْنِبُ وَالْمَوْلَى يُقَوِّمُهُ وَالْعَبْدُ يَجْهَلُ وَالْمَوْلَى يُعَلِّمُهُ^(٤)
إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلَلٍ وَزَلَّةٌ أَرَاهُ يَتَجَوَّهَا تَنْدُمُهُ

(١) ب : براعن . والزاعق : الشديد الذي لا يهتمل .

(٢) نسب البيتان في شرح الحماسة للتبريزي ٢/٢٢ وفصل المقال ٢٥١ لأوس ، ونسبا في العقد ١/١٧٢ لعروة بن معدى كرب ، ونسبهما في محاضرات الراغب ٧٨/٢ إلى عبد الله بن غفلة .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ب : والموتى تعلمه .

بَابُ الْمَوَاعِيدِ

أثنى الله عز وجل على إسماعيل عليه السلام ، فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾^(١) ، قال كعب : كان لا يمدُّ أحداً إلا أنجزه ، وقال : انتظر رجلاً وعده سنة كاملة .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر رجلاً وعده في موضع من طلوع الشمس إلى غروبها .

وروى عنه عليه السلام : أنه انتظره ثلاثاً ، وَالْمُنْتَظَرُ عبد الله بن أبي الحَمَسَاءَ^(٢) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ما وعده ، ومن أوعده على عمل عقاباً فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » ، وعن ابن عباس مثله^(٣) .

وقال المثني بن حارثة الشيباني : لأن أموت عطشاً أحبّ إلى من أن أخلف موعداً .

قال بعض الحكماء : وعدُّ الكريم نقد ، ووعدُّ اللئيم تسويق .

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

(٢) عبد الله بن أبي الحَمَسَاءَ العامري ، له صحبة ، سكن البصرة ، وقيل مصر . انتظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٩٢/٥ -

(٣) ساقط من ب .

كان يحيى بن خالد يقول : المواعيدُ شِبَاكُ الكرامِ يصيدون بها محامد الإخوان ،
ألا ترامِ يقولون : فلانٌ ينجز الوعد ، ويفي بالضمان ، وَيَصْدُقُ في المقال ، ولولا
ما تقدم من حُسن موقع الوعد ، لبطل حُسن هذا المدح .

وكان يحيى بن خالد ، يقول : إِنَّ الحاجةَ إذا لم يتقدمها وعدٌ تنتظر نُجْحَه ، لم
تجأوب الأَنفس سُرورها ، فدَعِ الحاجةَ تختمرُ بالوعد ، ليكون لها عند المُصْطَنَعِ
حُسنُ موقعٍ ولطفٌ مُحَل .

ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضاً : (لا) الكريم أنجح من (نعم) اللئيم ،
لأنَّ (لا) الكريم ، ربما كانت في وقت غضب ، وإبان سامة ، (ونعم) اللئيم تصدر
عن تصنع وفساد نية وقبح مآل .

أُنشد أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صَوَلَتِي وَيَأْمَنُ مِنِّي صَوَلَةُ الْمُتَهَدِّدِ
وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لِمُخْلِيفِ إِيْعَادِي وَمِنْجَزِ مَوْعِدِي^(١)

وقال آخر :

لسانك أحلى من جَنَى النَّحْلِ وَعَدُّهُ وَكَفَّاكَ بِالْمَعْرُوفِ أَضِيقُ مِنْ نَعْلِ
تُمْنِي الَّذِي يَأْتِيكَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى أَمَلٍ نَاوَلْتَهُ طَارِفَ الْحَبْلِ^(٢)

- (١) معاضرات الأدباء ٢٧١/١ ، عيون الأخبار ٤٤/١ ، من غير نسبة ، ووردت منسوبة لعامر بن الطفيل
في العقد ٢٨٤/١ .

(٢) البيهقان لمصالح النعمي ، انظر المستطرف ٢٣٤/١ ، عيون الأخبار ١٤٨/٣ وفيهما : أضيق من نعل .

وقال زياد الأعجم :

للهِ دَرْكٌ مِنْ فَتَى لو كنتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ
لا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجَوَا دِرْجَبًا صِدْقُ الْبَخِيلِ^(١)

وقال آخر :

وإنْ جُمِعَ الْآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وشرُّهُ مِنْ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ^(٢)
قال ابن عيينة : وعد رجلُ ابنِ شُبْرمةَ عدةَ فطله بها ، فكتب إليه ابن شبرمة :
الخيرُ أنْفَعُهُ لِلنَّاسِ أَهْجَلُهُ وليسَ يَنْفَعُ خَيْرٌ فِيهِ تَطْوِيلُ

ومثل هذا قول سابق :

وتأخيرُ ما يُرْجَى بِلَا مَبَرِّحٍ وأفضلُ ما يُرْجَى مِنَ الْخَيْرِ حَاجِلُهُ
وقال كعبُ بن زهير :

كانتْ مَوَاعِيدُ عُرُقٍ لَهَا مَثَلًا وما مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(٣)

وقال الأشجعي :

وَعَدْتَ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَحِيحَةً مَوَاعِيدَ عُرُقٍ أَخَاهُ يَتَرَبِّ^(٤)
قال ابن مُنَبِّه : هكذا قرأته على البصريين يترب^(٥) بالتاء ، وفتح الراء .

(١) عيون الأخبار ٣/ ١٤٦ ، الشعر والشعراء ٣٩٩ ، العقد ١/ ٢٨٧ .

(٢) البيت لصالح بن جناح العبسي ؛ انظر مجموعة المعاني ٢١ .

(٣) ديوانه ٨٨ ، فصل المقال ١٠٣ ، حماسة البحتري ٨٣ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، عيون الأخبار ٣/ ١٤٧ ،
نهاية الأرب ٢/ ١٧٢ .

(٤) عيون الأخبار ٣/ ١٤٧ ، فصل المقال ١٠٢ .

(٥) ساقطة من ب .

قال ابن الكلبي ، عن أبيه : كان عُرقوبٌ رجلاً من العماليق ، فأُتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عُرقوب : إذا طَلَعَ نَحْلِي ^(١) ، فلما طلع أُتاه فقال له : إذا بَلَغَ ، فلما بلغ أُتاه ، فقال : إذا زَهَى ^(٢) ، فلما زهى أُتاه ، فقال : إذا أُرْطَبَ ، فلما أُرْطَبَ أُتاه ، فقال : إذا تَمِرَ ، فلما تمر جَدَّه ليلاً ، ولم يُعطه شيئاً ، فضربت به العربُ المثل في خلف الوعد .

وقال غيره : عُرقوب جبل مكلل بالسحاب أبداً ، ولا يمطر شيئاً .

قال الحكماء : من خاف الكذب ، أقلّ المواعيد .

وقالوا : أمران لا يسلمان من الكذب ، كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول : أنا والله منه في مواعيد تُهَيِّضُ العظم ^(٣) ، وخُلِفَ يذكر العدم ، ولكنه إذا وعد الحريص علق نفسه لديه وأتعب رجله ، وأنشد :

أَمَلْتُ مِنْكَ نَوَالاً لَسْتُ أَذْرِكُهُ مَتَى ^(٤) أَقُولُ الَّذِي أَمَلْتُ يَا تَيْدِي
أَفِي حَيَاتِي فَأَرْجُوهُ وَيَنْفَعَنِي أَمْ فِي مَمَاتِي فَإِنَّ الْمَوْتَ يُغْنِينِي ^(٥)
وقال الشاعر :

فَلَا تَعِدْ عِدَّةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا وَلَا تَكُنْ مُخْلِفًا يَوْمًا لَمَّا تَعِدْ

(١) طالع النحل : أول ما يبدو من ثمرته .

(٢) زهى : تلون بصره .

(٣) ١ : تهبط العظم .

(٤) ١ : من أن .

(٥) محاضرات الأدباء ١ / ٢٦٨ .

وأظن هذا من قول المثقب العبدى :

لا تقولنّ إذا ما لم ترّدي أن يتمّ الوعدُ فى شيء نعم
وإذا قلتَ نعم فاصبر لها بنجاح الوعدِ إنَّ الخلفَ ذمٌّ^(١)

وروى لعمار السكلي ، وأظن من شعره هذا :

قم لوجه الله بالحقّ وكُنْ صادقَ الوعدِ فمنّ يُخلفُ يُلَمّ
وقال آخر :

إذا قلتَ فى شيء نعم فأتيمه فإنّ نعمَ دينٍ على الحرِّ واجبٌ
وإلا فقلْ لا واسترخِ وأرخ بها لئلا يقول الناسُ إنَّكَ كاذبٌ^(٢)
وقال آخر :

إنَّ الكريمَ إذا حبَّاك بموعدٍ أعطاكهُ سلساً^(٣) بغير مطالٍ^(٤)
وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تعدُّ وشفّتْ أنفُسَنَا بما تجِدُّ
واستبدّتْ مرّةً واحدةً إنمّا العاجزُ من لا يستبدُّ^(٥)

(١) ورد البيتان للمثقب العبدى أيضاً فى حماسة البعترى ٢٢٢ ، وأوردما فى العقد الفريد ٢٨٤/١ لابن أبى حازم ، وانظرهما والبيت التالى الذى نسبته المصنف لعمار السكلي فى معاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .

(٢) معاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .

(٣) ١ : أعطاك سلسلة -

(٤) البيت لأبى العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، وفيه : إن الشريف ٠٠٠ الخ .

(٥) سبق البيتان فى ص ٤٥٧

وقال آخر :

تَمَنَيْتُ مَا أَرْجُوهُ مِنْ حُسْنٍ وَعَدَيْتُكُمْ
هَبُونِي لَمْ أَسْأَلِ الْعُرْفَ مِنْكُمْ

وقال عباس بن الأحنف :

مَا ضَرَّ مَنْ قَطَعَ الرَّجَاءَ يُخْلِلُهُ
لَوْ كَانَ عَلَّانِي بوعدي كاذب^(١)

وقال آخر :

إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ لَدَيْكَ لِمَا^(٢)
يَسْنِي الصَّبَابَةَ فَلْيَكُنْ وَعْدُ

وقال آخر :

فَإِنْ تَدْعِي^(٣) نَجْدًا أَدْعُهُ وَمَنْ بِهِ
وَإِنْ كَانَ يَوْمُ الْوَعْدِ يَوْمَ لِقَائِنَا
فَلَا تَعْذِلْنِي أَنْ أَقُولَ مَتَى الْوَعْدُ^(٤)

وقال محمد بن مُنَازِر :

أَنْزِلِ الْمَالَ وَلَا تَبْخَلْ بِهِ
لَا تَعِدْ شَرًّا وَعِدْ خَيْرًا وَلَا
فَإِذَا أَعْسَرْتَ بِالْمَالِ فَعِدْ
تُخْلِفِ الْوَعْدَ وَأَنْجِزْ مَا تَعِدْ

(١) ديوانه ٣٦ ، عيون الأخبار ٣/١٤٦ ، المقد الفريد ١/٢٨٥ ، وفيه . ماضر من شغل الفؤاد . . الخ .

(٢) ب : لنا .

(٣) ب : تلعني .

(٤) محاضرات الأدباء ١٦/٢ ، الكامل ١/٦٤ .

بابُ عُيُونٍ مِنَ الْمَدْحِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَقْوَاهُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ عُمَرُ ، وَأَصْدُقُهُمْ حَيَاءً عُمَانُ ، وَأَقْضَاهُمْ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ، وَأَقْرَأُهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، وَابْنُ كَعْبٍ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَمَا أَظَلَّتِ الْخُضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ » .

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصارَ ، فقال : « إِنَّكُمْ لَتَقْتُلُونَ عِنْدَ الطَّعَمِ ، وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ دُورُ بَنِي عُبَيْدِ الْأَشْهَلِ ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ » .

وقال عليه السلام : « إِنْ اللَّهُ اخْتَارَنِي ، وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا وَأَنْصَارًا ، وَجَعَلَ لِي مِنْهُمْ وَزَرَءًا وَأَصْهَارًا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ نَسْلِ رَكِبْنِ الْإِبِلِ نَسَاءُ قَرِيْشٍ ، أَحْنَاهُنَّ عَلَى وَلَدٍ فِي صَنْعِهِ ، وَأَرْعَاهُنَّ لِبَعْلٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » .

ذُكِرَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : كَانَ وَاللَّهِ بِالْمَسْلَمِ حَفِيًّا ، وَعَلَى الْكَافِرِ قَسِيًّا ، وَعَنِ اللَّذَّةِ سَلِيًّا ، يَتَوَاضَعُ حَيْثُ لَا تَوْهَنُ نُصْرَتُهُ^(١) ، وَيَعْلُو حِينَ

(١) ب : يُؤْمِنُ بِقَرْبِهِ .

لأخفاف سطوته ، القرآن قائده ، والموت إمامه ، لأن الأمر بين عينيه ، وعاقبته بين يديه ، رحمه الله وأحسن عنا مجازاته .

ذكر ابن عباس أبا بكر رضى الله عنهما ، فقال : كان ثانی اثنين إذ هما في النار ، وثانی اثنين في العریش ، وثانی اثنين في القبر .

قال الشعبي : لما مات علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفر الله لأبيه ، ثم قال : نِعَمَ أَخُو الْإِسْلَامِ كُنْتَ يَا أَبِی ، جَوَادًا بِالْحَقِّ ، بَخِيلًا بِالْبَاطِلِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، تَغْضِبُ حِينَ الْغَضَبِ ، وَتَرْضَى حِينَ الرِّضَا ، عَفِيفَ النَّظَرِ ، غَضِيفَ الطَّرْفِ ، لَمْ تَكُنْ مَدَاحًا وَلَا شَتَامًا ، تَجُودُ بِنَفْسِكَ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَبْخُلُ بِهَا الرِّجَالُ ، صَبُورًا عَلَى الضَّرَاءِ ، مُشَارِكًا فِي النِّعَمِ ، وَلِذَلِكَ ثَقُلْتُ عَلَى أَكْتافِ قَرِيشٍ .

ذكر علي بن أبي طالب عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : كان والله يُسْكِنُهُ الْحِلْمُ ، وَيُنْطِقُهُ الْعِلْمُ .

ذكر علي بن أبي طالب عند صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ ، فقال : هو بالله عليم ، والله في عينيه عظيم .

قال معاوية لِضِرَارِ الصُّدَّائِي : صف لي عليًا . قال : اعفني يا أمير المؤمنين . قال : لتصفته . قال : أَمَا إِذَا لَبَدَ مِنْ صَفْتِهِ ، فَكَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الدِّي ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ عَنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ ، وَكَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْهَبَةِ ،

ملوئيل الفكرة ، يقلب كفه ومحاسن نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن
العلم ما خشن ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ^(١) ، لا يطعم القوى في
باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، كان فينا كأحدنا ، يحيننا إذا سألناه ، وينبئنا
إذا استبأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد نكاه لهيئته ،
ولا نبتدئه لمظته ، وأشهد لقد رأيته في بعض مرافقه ، وقد أرخى الليل سدوله ،
وغارت نجومه ، وقد تمثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تملل السليم ^(٢) ،
ويبكي بكاء الحزين ، يقول : يا دنيا ! غرّيتي غيري ، أليّ تعرضت ؟ أم إلى تشوقت ؟
هيهات ، هيهات ، قد بايذتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها ، فممرك قصير ، وخطرك قليل ،
آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فبكي معاوية ، وقال : رحم الله أبا حسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك
عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح واحداً في حجرها .

سئل عبد الله بن عباس ، عن عليّ بن أبي طالب ، فقال : ما شئت من ضرس قاطع
في العلم بكتاب الله ، والفقّه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له
مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتبطن في المشيرة ، والنجدة في الحرب ،
والبذل للمعاون .

نظر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى زيد بن صوحان مقتولا ، فقال : والله
لقد كنت ما علمت : عظيم المعونة ، خفيف المؤونة .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : القيم ، والليم ، اللوغ وسمى بذلك تبنا بشفائه .

وقف على قبر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما ، فقال :

وما تَذَرِي إِذَا أْزَمَمْتَ أَمْرًا بِأَيِّ الْأَرْضِ يُذَرِّكَ التَّقِيلُ^(١)
ثم قال :

فَتَى كَانَ يُذْنِبُهُ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَفْنَى وَيُبْهِدُهُ الْفَقْرُ^(٢)

وقال أبو خراش في الذي ألقى على أبيه رداءه^(٣) :

وَلَمْ أَذَرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مُخَضَّرِ
ولأعرابي في يحيى بن خالد :

سَأَلْتُ التَّدَى هَلْ أَنْتَ حُفٌّ فَقَالَ لَا وَلَكِنِّي عَبْدٌ لِيَجِيَّ بِنِ خَالِدٍ
فَقُلْتُ : شَرَاءٌ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ وَرَاثَةٌ تَوَارَثَهَا عَنْ وَالِدٍ بَعْدَ وَالِدٍ^(٤)

وقال آخر :

إِنَّ لِلنَّاسِ غَايَةً فِي أَلْمَعَالِي وَقَفُّوا عِنْدَهَا وَأَنْتَ تَرْيَدُ
قَدْ تَنَاهَيْتَ فِي الْمَكَارِمِ وَالْمَجْ دِ وَحَزَّتِ الْعُلَى فَأَيْنَ تُرِيدُ

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح ، انظر مجموعة المعاني ٦ ، حماسة البجترى ١٨٦ .

(٢) البيت لسلمة بن يزيد الجعفي ، في رثاء أخيه قيس بن يزيد ، حماسة أبي تمام ٤٠٥/١ ، أمالي الفاي ٧/٢ ، وقال في الكامل ١٣٦/١ ما نصه : يقول بعضهم : إنه للأبيورد الرياحي . وهذا وورد البيت في حماسة البجترى مرتين ٩٨ ، ١٣٢ ، ونسبه في الأولى لسلمة بن يزيد ، وفي الثانية لليلى بنت سلمة ترضى أخاها ، وانظره في عبون الأخبار ٦٧/٢ .

(٣) أبو خراش : خويلد بن مرة الهذلي ، وقد ذكر المصنف ما هنا أنه قال البيت في رثاء أبيه ، وذكر أبو تمام في الحماسة أن المقتول أخوه عروة بن مرة وانظر ديوان الهذليين ١٥٨/٢ ، الحماسة ٣٣٣/١ ، وفيه : على أنه بدل لكنه ، وانظر البيت أيضاً في معجم الأدباء ٢٥٨/٣ ، زهر الآداب ١٥٨/٣ .

(٤) المستطرف ١٩٣/١ ، المعقد الفريد ٣١١/١ .

ولحبيب ويروى لإسحاق الموصلي :

إِنْ يَكُنْ شَيْءٌ جَمِيلٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
عُقِدَتْ أَلْسُنُهُمْ عَنْ قَوْلٍ لَا فَبِي لَا ^(١) تُحْسِنُ إِلَّا هُوَ لَكَ

ومن عيون ما قيل في المدح نظماً ، قول حسان بن ثابت في بني جفنة :

يُنْغَشُونَ حَتَّى وَاتَرَهُمْ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بِضْءِ الْوُجُوهِ أَغْفَةُ أَحْسَابِهِمْ شِمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ^(٢)

قال جبلة بن الأهم لحسان بن ثابت : أين أنا من النعمان ؟ فقال : والله إسمالك
أندى من عينه ، وقفك أحسن من وجهه ، ولأملك أكرم من أبيه .

وقول الأعرابي في عمر بن عبد العزيز كأنه ^(٣) مأخوذ من قول حسان هذا ،
وذلك قوله حين دخل عليه ، وهو خليفة ، فقال :

وَأَنْتَ الَّذِي كَلَّمَا يَدِيكَ مُفِيدَةٌ شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ
بَلَغْتَ مَدَى الْجَارِيْنَ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا وَلَمْ يَبْلُغِ الْجَارُونَ بَعْدُ مَدَاكَ ^(٤)
فَجَدَاكَ لَا جَدَّيْنِ أَكْرَمَ مِنْهُمَا هُنَاكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ ثُمَّ هُنَاكَ

(١) ساقط من ب ، وجهه لأبي تمام كما في ديوانه ١١٨ : يدح أبا موسى الحسن بن عبد الملك ، والرواية
هناك للشطر الأول : إن يكن في الأرض شيء حسن ، وفيه لا تعرف مكان لا تحسن .

(٢) ديوانه ١٥٦ ، العواد - للقال ١١٧ ، نهاية الأرب ١٨٩/٤ ، المستطرف ٣٠/٢ ، زهر الآداب
٢١٥/٤ .

(٣) ب : كله .

(٤) ساقط من ب .

وَقَالَ لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ :^(١)

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدُهُ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَارَ كَوْكَبُ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبُهُ

وَقَالَ طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ :

نَجُومُ ظَلَامٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبُ بَدَا سَاطِعًا فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ كَوْكَبُ
وَقَالَ آخَرُ :

دَرَارِي نَجُومٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبُ بَدَا كَوْكَبٌ تَرَفَضُ^(٢) عَنْهُ الْكَوَاكِبُ

وَقَالَ الْخُرَيْمِيُّ يَمْدَحُ بَنِي خُبَيْرٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ بْنِ حَارِثَةَ :

بَقِيَّةُ أَقْوَامٍ مِنَ الْغُرِّ لَوْ خَبَّتْ لَظَلَّتْ مَعْدُ فِي الْعَمَلِ^(٣) تَسْكَعُ
إِذَا قَمَرُهُ مِنْهَا تَغَوَّرَ أَوْ كَبَا بَدَا قَمَرُهُ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

وَمَدَحَ بَعْضُ بَنِي عَمْرِو إِخْوَتَهُ فَقَالَ^(٤) :

خَبِرْتُ نَمَاءَ بَنِي عَمْرِو فَإِنَّهُمْ أَوَّلُو فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ^(٥) وَأَخْطَارِ

(١) الصحيح أن الأبيات لأبي الطمجان القيني (حنظلة بن الشرقى) ، انظر الكامل ٣٩/١ ، وفيه : ولئن من القوم الذين هم هم ، وانظر الشعر والشعراء ٣٤٨ ، وفيات الأعيان ٤٣/١ ، المستطرف ١٥٧/١ ، وانظر البيت الأخير في حماسة أبي تمام ٢٥٨/٢ ، لباب الآداب ٣٦٧ .

(٢) ترفض : تتوارى أو تتكسر .

(٣) ١ : الدجى .

(٤) قبل الأول البيت في الكامل ٤٨/١ قوله :

بل أيها الراكب المقي بشيئته

يكي على ذات خلخال وأسوار

(٥) ب : وأنفال .

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جَهِدُوا فَالْجَهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارٍ
 هَيِّنُونَ لَيُّنُونَ أَيْسَارُ بَنُو يُسْرِ سَوَاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ إِيسَارٍ
 مَنْ تَنَاقَ مِنْهُمْ فَقَدْ لَاقَيْتَ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يُهْدَى بِهَا السَّارِي
 لَا يَنْطُتُونَ عَنِ الْعَمِيَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُعَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارٍ^(١)
 وقد قيل : إن هذا الشعر لبعض بني كلاب^(٢) يمدح بهض بنى غني ، وكان
 أبو عبيدة ينكر هذا ، ويقول : محال يمدح كلابي غنويًا^(٣)

قالت الخنساء :

أَشْمُ أَبْلَجُ يَأْتُمُّ اللَّهُ دَاةً بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
 وقال آخر :

إِذَا قِيلَ أَيْ فَتَى تَعْلَمُونَ أَهْشُ إِلَى الطَّعْنِ بِالذَّائِلِ

(١) يروى : بنو كرم ، و .. نقل لافيت ، ويسرى مكان يهدى ، وعن الفحشاء بدل عن العمياء ، ويروى البيت الثاني :

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جَهِدُوا كَشَفَتْ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرَ أَغْمَارِ
 والمعنى : الأيسار جمع يسر من الميسر بالفتح ، والعرب تمدح بذلك باعتباره من علامات البذل والكرم ،
 وسواس مكرمة : يروضون المكرم ويلون أمرها ، والمارة : اليوم والعيب .
 والأبيات بنامها في السكامل ٤٨/١ ، وورد بعضها في معجم الشعراء ٣٠٦ ، زهر الآداب ٦٧/٤ .
 (٢) هو العرنس السكالي كما في الأمالى وزهر الآداب ومعجم الشعراء ، أو ابنه عبيد بن العرنس كما
 في السكامل ، يمدح به عمرو الفنويين .

(٣) أما السبب في هذا كما ذكره أبو عبيد البكري في التنبيه على أوهام القائل في الأمالى صفحة ٧٣ ، فهو أن
 فرارذ كانت قد أوقعت بني بكر بن كلاب وجيرانهم من عارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ،
 وحدث بعد ذلك أن قتلت طليء قيس الندي الفنوي ، وقتلت عيسى صريم بن سنان الفزوي أيضا ، فاستغاثت
 غنى بني بكر وبني عارب ليكافئهم بيدهم عندهم ، فقدموا عنهم ولم يجيبوهم . فلم يزالوا متدابرين .

وهذا هو ما استند إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى في استعماله نسبة البيت إلى كلابي ولكن ما الذي يمنع من
 أنه قالها قبل أن يحدث التدابر بين القبيلتين ؟ خاصة وأنني لم أجدها اختلافا بين الرواة في تسميتها .

(٤) الديوان ٨٠ ، التمهيد والمحاضرة ٢٥٣ .

وَأَضْرَبُ لِلْقَرْنِ فِي مَفْرِقٍ^(١) وَأَعْلَمُ فِي الزَّيْنِ الْمَاحِلِ
أَشَارَتِ إِلَيْكَ أَكْفُ الْوَرَى إِشَارَةٌ غَرَّتْنِي إِلَى سَاحِلِ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في المدح أيضاً في النظم ، قول أبي الجهم المدوي في معاوية
رضي الله عنه :

تَقْلِبُهُ . لَتَخْبِرَ حَالَتِيهِ فَتَخْبِرَ مِنْهَا كَرَمًا وَلِينًا
تَمِيلُ عَلَى جَوَانِيهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْدِيْنَا^(٣)

وفي هذا الشأن قول زهير في هرم بن سنان :

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
أَغْرَأُ أَيْضُ فَيَاضُ يُفَكِّكُ عَنْ أَيْدِي الْعُقَاةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا الرِّبْعَا^(٤)

وقوله أيضاً :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تَذْهَبُ الْخُمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهَبُ الْمَالُ نَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَمَلِّلًا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(٥)

(١) ١ : مضيق .

(٢) الآيات لابن هرمة ، البيان ٣/٢٢٧ ، العقد ١/٢٦٤ .

(٣) يروى : إِذَا مَلْنَا نَمِيلُ ، البيان ٢/٢٢٣ ، العقد الفريد ١/٦٩ ، مجموعة المعاني ٤٥ ، معجم الأدباء ٣٢٧/١ ، وفي الأمل للقال ١/٢٣٧ ما نصه : قَالَ أَبُو الْجَهْمِ بْنُ حَزِيْفَةَ لِمَاوِيَةَ : نَحْنُ عِنْدَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ عَبْدُ الْمَسِيحِ لَابْنِ عَبْدِ كَلَالٍ : تَمِيلُ عَلَى جَوَانِيهِ .. الخ .

(٤) ديوانه ١٩ وفيه : أَشْمُ بَدَلُ أَغْرَ ، والنماتة : الأسرى واحدها عان ، والرهنى : حبل من ليف يوضع في عنق الأسير .

(٥) ديوانه ١٣٢ ، الشعر والشعراء ١٠٩١ .

وقوله أيضاً :

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل^(١)

وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(٢)

وقول القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقفي :

قوم إذا نزل الغريب بدارهم ردؤه رب صواهل وقيان
وإذا دعوتهم ليوم كريهة سدوا شعاع الشمس بالقرسان
لا يتقرون الأرض عند سواهم لنطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فتري لهم عند اللقاء^(٣) كأحسن الألوان^(٤)

والجيد من النظم لا يحصى كثرة ، وحسبنا أن نأتي منه بما يقرب حفظه
للمذاكرة ، ويقوم بنهاء مورده في المجالسة .

قال عمرو بن أمية الضمري^(٥) للنجاشي ، حين وجهه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيتها الملك ! كأنك في الرأفة علينا منا ، لم نرُجك قط لأمر إلا نلناه ، ولم نخفك قط على أمر إلا أمناه .

(١) ديوانه ١١٥ ، زهر الآداب ٢١٧/٤ .

(٢) الديوان ٩٨ ، زهر الآداب ٢١٤/٤ .

(٣) ١ : طلب العلاء .

(٤) لباب الآداب ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ٤٣٣ ، والبيت الأول في العقد الفريد ١٢٦/١ .

(٥) ١ : عمر بن الخطاب ، وهو خطأ واضح ، انظر العاجري ٢٢٩/٢ ،

ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطفيل ، فقال : كان والله لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يبطش البعير ، ولا يهاب حتى يهاب السيل .
مدح أعرابي رجلا فقال : كان يننى في طلب المكارم غير ضال في مصالح طريقها
ولا متشاغل عنها بنيرها .

وذكر أعرابي جلد أخيه ، فقال : ما بعثته في سواد إلا جلاله ومحاه ، ولا في
بياض إلا أزكاه وأضاءه .

وصف أبو مهديّة الأعرابي قوما ، فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجربة ،
ولم تفرهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس
به مسافة آجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإيجاز ، فأحسنوا
المقال وشفعوه بالفعال .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كالمسك إن تركته عبق ، وإن خبّأته عبق .
قال محمد بن زياد الحرثي :

وخرُسا عن الفخشاء عند التفاجر	تخالهم للحلم صما عن الخنا
وعند الحفاظ كاللّيوث الكواسر	ومرضى إذا لا قوا حياء وعفة
يهم ولهم ذلت رقاب العشائر	لهم ذل أنصاف ولين تواضع
وما وصمهم إلا اتقاء المعايير ^(٢)	كان بهم وصما يخافون عاره ^(١)

(١) : غارة .

(٢) الأبلت في أمالي القالي ٢٣٨/١ ، العقد الفريد ١٨٥/٢ ، وفيه : الخواذر مكان الكواسر ، وما ذاك إلا لاقاء مكان وما يصحهم إلا اتقاء .

وقال آخر :

لو قيل لابن محمد : يا ذا الندى قل لا ، وأنت مُخَلَّدٌ ما قالها
إن المكارم لم تزل معقولة حتى حلت براحتيك عقابها^(١)

مدح أعرابي رجلا ، فقال : كان إذا خرست الألسن عن الرأي حذق بالصواب
كما يحذق الأريب .

أثنى عمرو بن زياد التتسكي على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان
فقال : يا أمير المؤمنين ! هو سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ،
وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم . وكان الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه .

قال ابن شهاب : قال لي سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .

ومن أحسن ما قيل في المدح نظماً ، وإن كان الحسن منه كثيراً جداً ، ما ذكره
أبو علي البندادي رواية عن شيوخه : أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
راه هشام بن عبد الملك وهو خليفة في حجة حجها ، وعلي يطوف بالبيت والناس
يفرجون له عند الحجر تعظيماً له ، وينظرون إليه مبجلين له ، فناظ ذلك هشاماً ،
فقال : من هذا ؟ كأنه لم يعرفه ، فقال الفرزدق منكرًا لقول هشام ، ومادحًا
لعلي بن حسين :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

(١) البتان لربيعة بن ثابت الرقي في مدح العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، انظر مدحهم
الأدباء ١٣٥/١١ ، وانظر معاضرات الأدباء ٢٧٩/١ ، ٢٨٧ .

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمْ
 إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا
 يَنْمِي ^(٢) إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
 يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِزْفَانٌ رَاحَتِهِ
 يُغْنِي حَيَاءٌ وَيُغْنِي مِنْ مَهَابَتِهِ
 بَكَفِهِ خِيزْرَانٌ رِيحُهَا عَبِقُ
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبْعَتُهُ
 يَنْجَابُ ثَوْبُ الدُّجَى ^(٥) عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ
 حَمَلُ أَقْصَالِ أَقْوَامٍ إِذَا قُرِحُوا ^(٧)
 هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ
 فَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ
 اللهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَّفَهُ
 مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
 مُصَدِّقُ الْوَعْدِ ^(١٠) مِيْمُونٌ تَقِيَّتُهُ

هَذَا النَّبِيُّ النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
 إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَمِي ^(١) الْكَرَمُ
 عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
 رُكْنُ الْحَظِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
 فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حَيْثُ يَنْتَسِمُ
 مِنْ كَفِّ ^(٢) أَرْوَعٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ
 طَابَتْ عُنَاصِرُهُ وَالْحَلِيمُ ^(٤) وَالشَّيْمُ
 كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ ^(٦)
 حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحَلُّو عِنْدَهُ نَعْمُ
 بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا
 الْعَرَبُ تُعْرِفُهُنَّ ^(٨) أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
 جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
 تَزِينُهُ خَلَّتَانِ الْحِلْمُ ^(٩) وَالْكَرَمُ
 رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيبُ حَيْنَ يَعْتَزُّمُ

- (١) ب : ينتهي .
 (٢) ا : في كف .
 (٣) ب : الهدي .
 (٤) ا : مدحوا .
 (٥) ا : الغلق .
 (٦) ب : ينهي .
 (٧) ا : والجسم .
 (٨) ب : القم .
 (٩) ب : ما .
 (١٠) ا : الخلق أيضا .

أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةِ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمْ
مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوَّلِيَّةَ ذَا فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

وفيهما أبيات لم أذكرها لأنني أظنها مضافة مفتعلة ، وقد أنشد بعض هذا الشعر حبيب في الحماسة^(١) للحجر بن عبد الله الليثي^(٢) في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . هذا و ذكر الفاكهي في أخبار مكة^(٣) ، قال : حدثني أبو سعيد عبد الله بن شبيب ، قال حدثني ابن عائشة ، قال : أخبرني أبي ، قال : دخل الفرزدق مكة ، فإذا هو بعلي بن عبيد الله بن جعفر يطوف بالكعبة في حُلَّةٍ وهو محرم ، فقال : ويحكم يا معشر أهل مكة ، من هذا الرجل الذي يطوف بالبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من وجهه ، ولا من حُلَّته ، فقالوا : هذا علي بن عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولفاطمة^(٤) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأ يقول هذه الأبيات^(٥) التي ينشدها الناس^(٥) .

(١) ورد في الحماسة ٢/٢٦٩ ، الأبيات : الأول والثالث والخامس والسادس والسابع وما قبل الأخير ، مع اختلاف في الترتيب .

(٢) في ١ : السبق ، وهو تحريف ، ولم أعر على هذا الاسم المثلث في النص في الحماسة أو غيرها ، فالأبيات منسوبة في الحماسة إلى العزيز السكاني ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك أحد بني عبد مناة بن كنانة وهو ليثي أيضاً كما في الباب ٢/٥٣ ، وكذلك نسب للعزيز البيتان السادس والسابع في الأعزني ١٤/٧٤ ، والآمدي ٨٩ ، والبيان ١/٣٤٨ ، ونسب البيان في باب الآداب ١٠٨ إلى المتوكل بن عبد الله الليثي في مدح عبد العزيز بن مروان ، ويبدو أن الاسم قد تداخل والتبس على الناسخ فأثبت منهما : الحر بن عبد الله الليثي ، ولكن ما دام المصنف يذكر ما ورد في الحماسة فيجب أن تكون صحة الاسم : الحر بن عبيد السكاني الليثي ، وتصرف فيه الناسخ إلى ما ترى .

(٣) الفاكهي : أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ، كتب سنة ٨٢٢ / ٨٨٥ م تاريخ مكة ، نشر المشرق فستنفذ منتخبات من الجزء الثاني منه مع تاريخ مكة المشرقة للأزرقي في ليبرج سنة ١٨٥٩ ، انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم الجار ٣/٢٣ .

(٤) ب : و فاطمة .

(٥) ساقطة من ١ .

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَأَّتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
فذكر هذه الأبيات ولم يتمها ، قال الفاكهي : ويقال إن الرجل الذي قال فيه
الفرزدق هذا هو محمد بن علي بن حسين ، قال : وحدثني أبو سعيد ، قال :
(١) حدثني الزبير ، قال (١) : قيل هذا الشعر في قثم بن العباس ، قاله بعض شعراء
أهل المدينة (٢) ، وزاد في الشعر بيتين أو ثلاثة منها قوله :

كَمْ صَارِخٍ بِكَ مَكْرُوبٍ وَصَارِخَةٍ يَدْعُوكَ يَا قُثْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُثْمَ
وأما قوله في الخبر الأول : وللفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن
علي بن عبد الله أمه زينب بنت علي بن أبي طالب ، وأمها فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وقول من قال : إن هذا الشعر قيل في علي بن عبيد الله بن
جعفر ، أو في محمد بن علي بن حسين أصح عندي من قول من قال : إنه في علي بن
حسين ، لأن علي بن حسين توفي سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، وهشام بن عبد الملك
إنما ولي الخلافة سنة خمس ومائة ، وعاش خليفة عشرين سنة ، وبجائز أن يكون الشعر
للحر بن عبد الله (٣) في محمد بن علي بن حسين ، وممكن أن يكون للفرزدق في محمد
ابن علي بن حسين بن أبي جعفر — وإن كان له في أبيه علي بن حسين — فلم يكن
هشام يومئذ خليفة كما قال أبو علي في روايته ، وأما قول الزبير : إنه قيل في قثم
ابن العباس ، فليس بشيء ، وإنما ذاك شعر قيل في قثم على قافية هذا الشعر وعروضه
ليس هو (٤) هذا .

(١) ساقط من أ .

(٢) هو داود بن سلم ، أو خالد بن يزيد مولى قثم ، وقد ورد البيت في البيان ٢٤٨/١ :

كَمْ صَارِخٍ بِكَ مِنْ رَاجٍ وَرَاجِيَةٍ فِي النَّاسِ ، يَا قُثْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُثْمَ

(٣) انظر التعليق رقم ٢ في الصفحة السابقة .

(٤) ساقطة من ب .

قال عبدة بن الطيب في قيس بن عاصم المنقري :

عليك سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصِمٍ ورحمتهُ ما شاءَ أن يترحمَا
تحيّةٌ من أوليتهِ منك. نعمةٌ إذا زار عن شحطِ مزاركِ^(١) سلّما
فما كان قيسُ هلكهُ هلكُ واحدٍ ولكنهُ بُنيانُ قومٍ تهَدّما^(٢)

وقال آخر :

كريمٌ يفضّ الطرفَ فضلُ حيّائه^(٣) ويدنو وأطرافُ الرّماحِ دوانٍ
وكالسيفِ إن لا يئتهُ لأنّ مثنهُ وحدهُ إن خاشنتهُ خشان^(٤)

والخريمي :

مِلّامُ أبُو الفضلِ في جودهٍ وهل يقدّرُ البحرُ ألا يفيضاً^(٥)

وقال أبو جعفر محمد بن منذر :

أثانا بنو الأملاكِ من آلِ برمكٍ فيا طيبَ أخبارٍ ويا حُسنَ منظرٍ
لهم رحلةٌ في كلِّ عامٍ إلى العدى وأخرى إلى البيتِ الحرامِ المُستَرِ^(٦)
إذا نزلوا بطحاءِ مكّةِ أشرقت ييجي وبالفضلِ بن يحيى وجعفر

(١) بلادك .

(٢) نسبت الأبيات في وفيات الأعيان ١٢٦/١ إلى أبي تمام ، وهو خطأ ، انظر الحماسة لأبي تمام ٣٣٤/١ ، البيان ٣٩٤/٢ ، نهاية الأرب ٢١٥/٤ ، الشعر والشعراء ٧٠٧ .

(٣) ١ : في كل حالة .

(٤) في حماسة البحتري ١٦٢ : لأن مسه ، وانظرهما في حماسة أبي تمام ٢٠/٢ ، البيان ١٩٤/٢ ،

التمثيل والمحاضرة ٢٦ ، لباب الآداب ٧٥ .

(٥) مجازات الأدباء ١٠٧/٢ .

(٦) ١ : العتيق المطهر .

فَتُظْلِمُ بِغَدَاةٍ وَيَجْلُو لَنَا الدُّجَى
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لَجُودٍ أَكْثَرُكُمْ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ
بِمَكَّةَ مَا حَجُّوا مَلَائِكَةً أَقْمَرِ
وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مِنْـسَبَرِ
وَنَاهِيكَ مِنْ رَاحٍ لَهُ وَمُدَبَّرِ
غَرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصْرَصِرِ^(١)

وقال آخر في ابن شُبْرَمَةَ القاضي :

إِذَا سَأَلْتَ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرُمَةِ
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْمُحْكَمَةِ
وَالْعِزُّ وَالْجُرْئُومَةُ الْمُقَدَّمَةُ
تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شُبْرَمَةَ^(٢)
وقال آخر :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودٍ فَضْلٍ بِنِ يَحْيَى
صَيَّرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعْرَاءَ^(٣)
أُنْشِدِ الْأَصْمَى :

كُلُّ يَوْمٍ كَأَنَّهُ يَوْمٌ أَضْحَى
عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَوْ يَوْمٍ فِطْرٍ

وهذا عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وله يقول نصيب :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ نَعْمٌ غَامِرَةٌ

(١) الفرانقي جمع غرنوق بكسر أوله أو ضمّه وهو طائر مائي أسود وقيل أبيض ، والبازي : ضرب من الصقور ، ومصصر أي يصبح صياحاً شديداً . انظر الأبيات ٣ ، ٤ ، ٥ في معجم الأدباء ٥٧/١٩ ، وكلها ما عدا الأخيرين في وفيات الأعيان ٢٦٩/٥ .

(٢) البيتان ليحيى بن زوفل كما في البيان ٢٤٠/١ .

(٣) البيت لنصيب الأصغر ، أبو الحجاج مولى المهدي ، انظره في الوزراء والكتّاب ١٩٥ ، معجم الأدباء ٢١٦/٧ ، وفيات الأعيان ٢٠٤٣ .

فَبَابُكَ^(١) أَلَيْنَ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَةٌ
 وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنْ الْأُمِّ بِالْإِبْنَةِ الزَّائِرَةِ
 وَكُنُفُكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِيهِ^(٢) أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ^(٣) الْمَاطِرَةِ
 فَنِكَ الْعَطَاءُ وَمَنَى الثَّنَاءُ بِكُلِّ مُحِبَّةٍ سَائِرَةٍ^(٤)

وذكر رجل عند الحسن ، فقال : كان له خشوع الصابرين^(٥) وبهاء الملوك .

ومن المدح :

لَهُ خُلُقَانٌ لَمْ يَدْعَا لَهُ مَالًا وَلَا نَشَبًا
 سِوَاهُ لَيْسَ يَمْلِكُهُ وَحِلْمٌ يَمْلِكُ الْعَضْبَا

وقال آخر^(٦) :

فَلَوْ كُنْتَ يَوْمًا كُنْتَ يَوْمَ سَعَادَةٍ تَرَى شَمْسَهُ وَالْأَزْنَ تَهْضِبُ بِالْقَطْرِ
 وَلَوْ كُنْتَ لَيْلًا كُنْتَ لَيْلَةَ صَيْبٍ^(٧) مِنَ الْمُشْرِقَاتِ^(٨) الْبَيْضِ فِي وَسْطِ الشَّهْرِ

وقال آخر :

بِدِيهْتُهُ وَفِكْرَتُهُ سَوَاءٌ إِذَا مَا نَابَهُ الْحَدَثُ الْكَبِيرُ

(١) : مبانك .

(٢) : معتافاً فأندى .

(٣) : القيلة .

(٤) : انظر الأبيات في معجم الأدباء ٢٢٩/١٩ ، الشعر والغمراء ٣٧٤ ، الأغاني ٣٢٣/١ .

(٥) : ساقط من ب .

(٦) : العابدين .

(٨) : المشرقات .

(٧) : ب : صيف .

وَأَحْزَمَ مَا يَكُونُ الدَّهْرُ رَأْيًا إِذَا عَمِيَ ^(١) الْمَشَاوِرُ وَالْمُشِيرُ
وَصَدْرُهُ فِيهِ لِلْهَمِّ اتَّسَاعُ إِذَا ضَاقَتْ عَنِ الْهَمِّ الصُّدُورُ ^(٢)

وقال حمزة بن يعض في فخلد بن يزيد بن المهلب :

بَلَّغْتَ لِعَشْرِ مَضَتْ مِنْ سِنِيَّكَ مَا يَبْلُغُ السَّيِّدُ الْأَشْيَابُ
نَهْمَكَ فِيهَا جَسِيمُ الْأُمُورِ وَهُمْ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا ^(٣)

وقال ذو الرمة :

عَطَاءُ فَنَى بَنَى وَبَنَى أَبُوهُ فَأَعْرَضَ فِي السَّكَارِمِ وَاسْتَطَالَ ^(٤)

قال أبو اليقظان : ولّى الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد بن
الحكم الثقفى ، قتال الأكراد فأبادهم ، ثم ولاء السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن
سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرَّةَ وَالنَّدَى لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
قَادَ الْجِيُوشَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ حَجَّةً يَا قُرْبَ سَوْرَةِ سُوءِدٍ مِنْ مَوْلِدٍ ^(٥)

قال أبو اليقظان : وهو الذى جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاية فارس .

(١) : غنى .

(٢) : أبيات لسم الحاسر أو أنى نواس ، انظر مجموعة المعاني ١٧ ، الوزراء والكتاب ٢٠٣ .

(٣) : نسب البيتان أيضا إلى السكيت بن زيد الأسدى ، البيان والتبيين ١١٠/٢ .

(٤) : ديوانه ٢٤٧ ، الشعر والشعراء ١٩٢ .

(٥) : الشعر لزياد الأعجم ، انظره في محاضرات الأدباء ٧٦/١ ، عيون الأخبار ٢٢٩/١ ، السطرف

٢٧/٢١ ، وسورة السؤدد ، علامته أو ارتفاعه .

قال الحطيئة :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
أقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكم
من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا^(١)

وقال أبو النُؤل الطموي يمدح قومه :

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقوا فيهم ظنوني
معاشر لا يملؤن المنايا إذا دارت رحى الحرب الزبون
ولا يجزون من حسن بشر ولا يجزون من غلظ بليين
ولا تبلى بسائتهم وإن هم صلوأ بالحرب حيناً بعد حين
هم ممنعوا حمى الوقي بضرب يؤلف بين أشات المنون
فكعب عنهم ظلم الأعدى ودأوا بالجنون من الجنون^(٢)

وقال آخر :

بديهة مثل تديره متى رمته فهو مستجمع
وفي كفه للغي مطلب وللسر في صدره مومئع^(٣)

(١) ديوانه ١٤٠ ، التثيل والمخاضرة ٦٣ ، أمالي الفال ١١٨/٢ ، نهاية الأرب ٦٩/٣ .

(٢) يروي : فوارس مكان معاشر ، وبسبب مكان بشر في البيت الثالث .
والزبون في الأصل الناقة التي تزين (تدفع) حالها ، شبهت بها الحرب لأنها تدفع الرجال أشدة هولها .
والوقي : ماء لبنى مالك بن مازن على طريق المدينة من ناحية البصرة .
انظر الأبيات في حاسة أبي تمام ١٧/١ ، ١٨ ، أمالي الفال ٢٦٠/١ .

(٣) سبق البيتان في ص ٤٦٥ .

وباب المديح أوسع^(١) الأبواب ، لا يحيط به كتاب ، والاختصار أولى بنا فيه
على ما شرطنا من الإكثار .

قال عبد الله بن مسعود : لا تمجلن بمدح أحد ولا بزمه ، فإنه رب من يسرك
اليوم يسوءك غدا .

قال النجاشي الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو الحارثي ،^(٢) من بني الحارث
ابن كعب^(٣) .

إِنِّي أَمْرٌ قَلَّ مَا أَثْنِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَرَى بَعْضَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُّ
لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى تَجُوبَهُ وَلَا تَذَمَّنْ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ الْخُبْرُ^(٤)

قال علي بن حسين : إذا قال فيك رجل ما لا يعلم من الخير ، أو شك أن يقول
فيك ما يعلم من الشر .

(٢) ساقط من ١ .

(١) ب : واسع .

(٣) حاشية البهقي ٢٣٣ ، الشعر والشعراء ١٩٠ ، والثاني في عيون الأخبار ٢/ ١٧٠ .

باب عيُون من الذَّمِّ

قالت عائشة رضي الله عنها : استأذن رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا معه في البيت : فقال : « ائذنوا له فبئس ابنُ العشيرة ، أو قال : بئس أخو العشيرة ، ثم قال : إنَّ من شرارِ النَّاسِ من اتَّقاهُ النَّاسُ لشرِّه ، أو تركه النَّاسُ لشرِّه » . هذا حديث ابن عينة ، عن المنكدر ، عن عروة ، عن عائشة ، وليس بلفظ حديث مالك المرسَل .

قال الحسن : ذمَّ الرجل نفسه في العلانية مدحٌ لها في السرِّ .

كان يقال : من أظهرَ عيبَ نفسه فقد زكَّاهَا .

ذمَّ بعضُ البلغاء رجلاً ، فقال : ما الحجامُ على الإصرار^(١) ، والدَّيْنُ على الإقتار ، وشدة السُّقم^(٢) في الأسفار ، بآلم^(٣) من فلان^(٤) .

قيل لأعرابيٍّ : ما تنقم من أميرك ؟ قال : يقضى بالَعَشْوَة^(٥) ، ويأكل الرُّشْوَة ، ويطيل النَّشْوَة .

قال ثعلبٌ : النَّشْوَة بالفتح : الشُّكْر ، والنَّشْوَة بالكسر : الريح .

(١) ب : الأصرار .

(٢) أ : السقم .

(٣) ب : بالأم .

(٤) وردت العبارة في الأمال ١٠٦/٢ قريبة مما أثبتناه ونصها هناك : ما الحمام على الإصرار ، وحلول الدين على الإقتار ، وطول السقم في الأسفار بآلم من لقائه .

(٥) ب : بالعشيرة ، ويقضى بالعشيرة أي يتخبط في قضائه ويحكم علي غيره هدي .

ذم رجلٌ رجلاً ، فقال : كان والله سيء الروية ، قليل التقية ، شديد السعاية ،
ضعيف النكاية .

ذم خالد بن صفوان شبيب بن شعبة ، فقال : ليس له^(١) صديق في السر ،
ولا عدو في العلانية .

وذم أعرابي رجلاً ، فقال : أنت والله ممن إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سؤف ،
وإذا حدث حلف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظراً حسوداً ، وتعرض إعراضاً
حقوداً .

قال حسان بن ثابت :

أَبُوكَ أَبُوكَ وَأَنْتَ ابْنُهُ فَمَنْسَ النَّبِيِّ وَمَنْسَ الْأَبِ
وَأُمُّكَ سَوْدَاءُ نَوِيَّةٌ كَأَنَّ أُنَامِلَهَا أَلْمُنْظَبُ
يَبِيتُ أَبُوكَ بِهَا مُعْرِسًا كَمَا سَاوَرَ الْمُهْرَةَ الثَّلَبُ^(٢)

وقال أعرابي :

أَكْثَرُ مَا يَأْنِي عَلَى فِيهِ الْكَذِبُ وَإِنَّمَا الشَّاعِرُ مَجْنُونٌ كَلِبُ
حَيَّاكُمْ اللَّهُ فَإِنِّي مَنْقَلَبُ^(٣)

مر سفيان الثوري رضي الله عنه ، بقوم في السوق ، أو غيرها ، فقال لمن معه

(١) ١ : لا صديق ...

(٢) ساقط من ب ، والأبيات في ديوانه ١٤ . والمنقلب : ذكر الجراد أو الأمهر منه .

(٣) ورد البيتان الأولان من هذا الرجز والثاني قبل الأول في عبون الأخبار ٢٧/٢ .

أما ترون النعمة عند غير أهلها ، كأنها مسخوطة عليها ، أخذه الشاعر فقال :

يا حجة الله في الأزواقِ والنِّمِّ يا محنة لدوي الأخطارِ والهيمِ
ما نراك أصبحت في نغماء ظاهري إلا وربك غضبانٌ على النِّمِّ^(١)

قال بعض البلغاء : كفاني سقوط فلان إسقاطه^(٢) .

ذم رجل رجلا فقال : ذلك أعيما ما يكون عند جلسائه ، أبلغ ما يكون عند نفسه .

لعمر بن سليمان البجلي ، في إسماعيل بن عبد الله أخى خالد بن عبد الله القسري :

لو كنت ماء كنت ماء أسنا أو كنت مرعى لم يردك الورد
أو كنت من شجر لكنت إلاءة أو كنت من ورق نفاك الناقدة^(٣)

قال الحرمازي :

فبيحتم آل فقيهم عدا لو كنتم قولا كنتم قندا
أو كنتم ماء كنتم زيدا أو كنتم شيئا كنتم نقدا
أو كنتم لحما كنتم عدا^(٤)

النقد : الممز ، وفي المثل : لهو أذل من النقد .

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٤٥ .

(٢) ساقطة من ١ .

(٣) الألاء : شجر مر ، والورق : الذهب والفضة ، والناقذ : مميز الدراهم .

(٤) النقند : الخطأ في القول والكذب ، والفدة : كل عقدة في الجسم أطاف بها شحم ، وكل قطعة

صلبة بين العصب .

قال أبو عثمان العروضي :

لو كان حَرْفًا كان لا مَعْنَى له أو كان ظَرْفًا لم يَكُنْ إِلَّا مَتَى^(١)

وقال آخر :

لو كنتَ ماءً كنتَ غَيْرَ عَذْبٍ . أو كنتَ سَيْفًا كُنتَ غَيْرَ عَضْبٍ
أو كنتَ لَحْمًا كُنتَ لَمْ كَلْبٍ أو كنتَ عَيْرًا كُنتَ غَيْرَ نَدْبٍ^(٢)

وقال آخر :

لو كنتَ بَرْدًا كُنتَ زَمْهَرِيرًا أو كنتَ رِيحًا كَانَتِ الدُّبُورَا
أو كنتَ غِيَاً لم تَكُنْ مَطِيرًا أو كنتَ ماءً لم تَكُنْ طَهُورًا
أو كنتَ مَخًّا كُنتَ مُخَارِيرًا^(٣)

ومما أنشده ثعلب :

لِلَّهِ دَرَكٌ أَيْمًا رَجُلٍ يَبْنِي أَبُوكَ وَشَأْنُكَ الْهَدْمُ
لو كنتَ تَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَمَا تَنْحَطُّ قَصْرَ دُونِكَ النَّجْمُ

مرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بقوم يَتَّبِعُونَ رجلاً قد أخذ في ريبة ، فقال :

لا^(٤) مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر .

(١) ا : (شئ) ، ب : فيه شيء بدلا من لا متى

(٢) وردت البيت الأول في الكامل ٥٧/٢ : لو كنت ماء لم تكن بعذب ، وانظر الأبيات أيضاً

في محاضرات الأدباء ١٥٤/١ .

(٣) الأبيات في محاضرات الراغب ١٥٤/١ ، الكامل ٥٧/٢ ، وتأتي الشطرة الأولى فيه في آخرها ،

والنخ الرير : الذائب أو الرقيق .

(٤) ساقطة من ب .

قال القطامي :

أَلَا إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا اشْتَوَوْا لِبَطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحَبَابِ^(١)
 يقال : نَارُ الْحَبَابِ ، وَنَارُ أَبِي الْحَبَابِ ، لِكُلِّ نَارٍ تَرَاهَا الْعَيْنُ وَلَا حَقِيقَةَ لَهَا
 قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

يَا آلَ سَفِيَانَ مَا بَالِي وَبَالِكُمْ أَأَنْتُمْ كَثِيرٌ وَفِي الْأَحْلَامِ عُصْفُورُ
 وَخَيْرٌ مِنْ هَذَا ، قَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ يَذِمُّ قَوْمًا :

لَا عَيْبَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ عِظَمٍ جَسَمُ الْبَغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ^(٢)
 وَقَالَ آخَرُ :

قَبِجَتْ مَنَاظِرُهُمْ فَمِنْ خَبَرْتُهُمْ حَسَنْتَ مَنَاظِرُهُمْ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ^(٣)
 وَقَالَ آخَرُ :

لَهُ صُورَةٌ تُعْنِي الْعُيُونَ سَمَاجَةً وَإِنْ تَخْتَبِرَ يَوْمًا فَأَقْبِحُ مَخْبَرِ
 وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِرٍ ، فِي خَالِدِ بْنِ طَلِيْقٍ قَاضِي الْبَصْرَةِ :

جَعَلَ الْحَاكِمَ يَا لِلنَّاسِ مِنْ آلِ طَلِيْقٍ
 حَاكِمٌ يَحْكُمُ فِي النَّاسِ بِحُكْمِ الْجَائِلِيْقِ

(١) البيت في ديوانه ٩ ، زهر الآداب ٧٢/٣ .

(٢) ديوانه ٤٦ .

(٣) المحاسن والساوي ١٩٢/١ .

يَدْعُ الْحَقَّ وَيَهْوِي فِي ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ
 أَيُّ قَاضٍ أَنْتَ لِلنَّهْصِ وَتَعْمِيلِ الْحُقُوقِ
 يَا أَبَا الْهَيْثَمِ مَا أَتَتْ لِهَذَا بِخَلِيقِ
 «لَا وَلَا أَنْتَ بِمَا حُمِّلْتَ مِنْهُ بِمُطِيقِ
 حَبْلِهِ حَبْلُ غُرُورٍ عَقْدُهُ غَيْرُ وَثِيقِ»^(١)

وله فيه أيضاً :

قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي فِي هَاشِمٍ سِرُّهَا وَاللِّبَابِ
 إِنْ كُنْتَ لِلسُّخْطَةِ عَاقِبَتَنَا بِخَالِدٍ فَهُوَ أَشَدُّ الْعِقَابِ
 أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَقَدْ ضَرَبَ النَّوْكَُ عَلَيْهِ الْحِجَابِ
 كَانَ قَضَاءُ اللَّهِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَهَذَا عَذَابِ
 يَا عَجَبًا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ^(٢)
 قال أبو العتاهية :

وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ مَنْ لَا يُبَالِي أَاْخَطَا فِي الْحُكُومَةِ أَمْ أَصَابَا^(٣)
 وقال آخر :

فَإِنْ تُصِيبُكَ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ لَمْ تَنْبِكْ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ^(٤)

(١) ساقط من ب ، وانظر الأبيات في البيان ٢/٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ ، وما عدا الآخرين في

الشعر والشعراء ٨٤٦ .

والجائليق : كبير النصاري في بلد الإسلام ، أو هو صاحب رتبة دينية تقل عن البطريرك .

(٢) الأبيات الخمسة ساقطة من ب ، وانظرها كلها في عيون الأخبار ١/٦٣ ، ٦٤ .

(٣) ديوانه ١٤ .

(٤) البيت لأبي وجرة مولى عبد الله بن الزبير ، انظر العقد الفريد ١/١٧٦ .

وقال آخر :

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي عَامِرٍ لَقِيتَ جَفَاءً وَنَوْكًَا كَثِيرًا
نَعَامٌ تَجُودُ^(١) بِأَعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا نَوْكَُهَا أَنْ تَطِيرَا

وقال آخر :

وإِنَّكَ إِنْ حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِمُخِيزَةٍ وَتَرَكَتَ عَارًا^(٢)

وقال آخر :

خَنَازِيرُ نَامُوا عَنِ الْمَكْرُمَاتِ فَتَبَّهَهُمْ^(٣) قَدَرُهُ لَمْ يَنْمُ
فِيَا قُبْحَهُمْ فِي الَّذِي خُوُّلُوا وَيَا حُسْنَهُمْ فِي زَوَالِ النِّعَمِ^(٤)

وقال آخر :

فَخَيْرُ مَنْكَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَخَيْرُ مَنْ زِيَارَتِكَ الْقُعُودُ

وقال آخر :

وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَةٍ^(٥)

وقال آخر :

كَأَنَّ رِيحَهُمْ مِنْ قُبْحِ فِعْلِهِمْ رِيحُ الْكِلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

(١) ب : تجر

(٢) البيت لجرير ، ديوانه ٢٨١ .

(٣) ب : فتبهم .

(٤) البيت لجرير ، ديوانه ٥٦٥ ، ونسبنا في محاضرات الأدباء ٨٦/١ إلى محمود الوراق .

(٥) البيت في التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، محاضرات الأدباء ١٦٢/١ من غير نسبة .

وقال خلف الأحمر :

إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرَّعْ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَكِنَّ الْفِعَالِ فِعَالٌ عُسْكَلٍ^(١)

وقال أبو علي البصير :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا افْشَعَرَتْ^(٢) وَصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعَى الْهَشِيمِ^(٣)
وَاللَّحْطِيَّةُ فِي أُمِّهِ ، لَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ :

تَنْحَى فَاقْعُدِي مَنَى بَعِيداً أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَا
أَلَمْ أُوضِّحْ لِكَ الْبُغْضَاءِ مَنَى وَلَكِنْ لَا إِخَالِكَ تَعْقِلِينَا
أَغْرِبَالَا إِذَا اسْتُودِعْتَ سِرّاً وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّمِينَا
جِزَاكَ اللَّهُ سِرّاً مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينَا^(٤)

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر :

وَاصِلَتْ فِي شُرْبِ الشَّمُولِ^(٥) سَفَاهَةٌ حَتَّى غَدَوْتَ كَأَنَّ أَنْفَكَ دُمْلُ
قَالَ أَعْرَابِيٌّ : أَتَيْتُ بَغْدَادَ فَإِذَا ثِيَابُ أَجَوَادٍ عَلَى الْأَمْرِ أَجْسَادُ ، إِقْبَالُ
حَظِّهِمْ إِدْبَارُ حَظْوِظِ الْكَرَامِ ، شَجَرُهُ فُرُوعُهُ عِنْدَ أَصُولِهِ ، شَغْلُهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ
رَغْبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .

(١) سبق البيت مع أبيات أخرى في باب الهدية .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ٨٩/٣ ، التثيل والمحاضرة ٩١ ، نهاية الأرب ٨٦/٣ ، معجم الشعراء

٣١٤ ، السكائل ٢٨٧/٢ ، واقشعرت البلاد : أجذبت ، وصوح النبات : يهس وتشتق .

(٣) ديوانه ٢٧٧ .

(٤) الشمول : الخمر ، أو الباردة منها .

قال أبو العتاهية :

أَذُمُّ بَعْدَادَ وَالْمُقَامَ بِهَا مِنْ بَعْدِ مَا خَبِرَ وَتَجَرِبِ
 مَا عِنْدَ أُمْلَاكِهَا لِمُرْتَعِبِ^(١) رَفْدُ وَلَا فُرْجَةُ لِمَكْرُوبِ
 خَلَّوْا سَبِيلَ الْمَلَا لِغَيْرِهِمْ وَنَازِعُوا فِي الْفُسُوقِ وَالْحُوبِ
 يَحْتَاجُ رَاجِي النَّوَالِ عِنْدَهُمْ إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبِ
 كَنُوزِ قَارُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ وَعَمْرِ نَوْجٍ وَصَبْرِ أَيُّوبِ^(٢)

وقال آخر :

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهَّاتَكَ كَانَ^(٣) عِلْمًا إِذَا لَنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
 وَمَالِكَ فِي الْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ^(٤)

وقال الناشئ :

لَوْ كَمَا تَجْهَلُ تَدْرِي كُنْتَ لِلَّهِ^(٥) رَسُولًا

وقال حماد بن الزبرقان^(٦) في حماد عَجَرَدَ :

نَعَمْ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
 هَدَلْتُ^(٧) مَسَافِرَهُ الشَّمُولُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْتَهَا الْحَدَّادُ

(١) ب : لمرتبب .

(٢) لم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه المطبوع .

(٣) ١ : عاد .

(٤) البيان لأبي تمام ديوانه ٢٧ .

(٥) ب : والله .

(٦) ب : الزبير .

(٧) ب : هزلت . والأبيات في الشعر والشعراء ٧٥٤ . وفيه : الدنان مكان الشمول .

وابيضَّ من شُرْبِ المدامةِ وجهه فبياضه يومَ الحسابِ سوادُ

وقال رافعُ بن إبراهيمَ اليربوعي :

ألستم أقلَّ الناسِ تحتَ لوائهم وأكثَرهم عندَ الذبيحةِ والقدرِ

وأُمساهُ بالشئِ المحقَّرِ بينهم وأعجزهم عندَ الجسيمِ من الأمرِ^(١)

وقال أعرابي :

العبدُ يَحْتَنِبُ الهِجَاءَ لَشَيْنِهِ ولك الهِجَاءُ إذا هُجِّيتَ جَمَالُ

لم يبقَ عارٌ في البريةِ كلِّها إلا وأخبتُ منه فيك يُقالُ

وقال أبو عيينة^(٢) :

خالدٌ لولا أبوه كان والكَلْبُ سَوَاءُ

لو كما يَنْقُصُ يَزُ دَادُ إذا نَالَ السَّمَاءُ

^(٣) أنا ما عِشْتُ عَلَيْهِ أَسْوَأُ النَّاسِ ثَنَاءُ

إِنْ مَنْ كَانَ مُسِيئًا لِحَقِيقٍ أَنْ يُسَاءَ^(٤)

وله أيضاً :

داودُ محمودٌ وأنتَ مُذَمَّمٌ عَجَبًا لَذاكَ وَأَنْتَ مِنْ عُودِ

(١) ورد البيت الأول في حاشية أبي تمام ٢٢٦/٢ منسوباً إلى عوف القوافي .

(٢) هو أبو عيينة بن المهلب بن أبي صفرة كان من أطيب الناس وأقربهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تكلفاً ، انظر ترجمته في الشعر والشعراء ١٥٨ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٣) ساقط من ب ، والأبيات في الشعر والشعراء ٨٥٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ ، والأولان في غاضرات الأدباء ١/١٦٣ ، والثاني في المثل والمحاضرة ٨٠ ، والأبيات قلها في هجاء ابن عمه خالد بن يزيد والي جرجان .

ولربُّ عودٍ قد يُشَقَّ لمسجدٍ نصفًا وسائرُه لحشٌّ يهودٍ^(١)
وقال الفرزدق :

أترجو^(٢) كَلَيْبًا أنْ تَجِيءَ صِغَارَهَا بِخَيْرٍ وقد أَعْيَا عَلَيْكَ كِبَارُهَا^(٣)
وقال أبو نواس :

لأبي نوحٍ رَغِيفٌ أبدأ في حجرٍ دَائِه
بَرَّةٌ تَمْسَحُهُ الدَّهْرُ بِكُمْ وَوَقَايَه^(٤)
وله كاتبٌ سُوءٌ خَطٌّ فِيهِ بَعَائِيَه
فسيَكْفِيكُمُ اللّٰهُ هُ إِلَى آخِرِ آيَاهِ^(٥)

وقال فيه أيضاً :

أبو نوحٍ دخلتُ عليه يوماً فندَّاني برائحةٍ الطَّمَامِ
فكان كمن مَنَى الظَّمآنَ آلاَ وكنتُ كمن تغدَى في المَنَامِ^(٦)
قال رجل خياط أعور لبعض الشعراء : والله لأخيطن لك قِبَاءً لا تَدْرِي أَقْبَاءُ

(١) الحش : المسلح والمخرج الذي يقضون فيه حوائجهم . وانظر البيهقي في معاضرات الأدباء ١/٦٢ الشعر والشعراء ٨٥٤ ، المستطرف ١/٣٨ ، ٢/٣ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٢) ب : ترجى .

(٣) نهاية الأرب ٢/٧٢ ، التمثيل والمحاضرة ٦٩ وفيه : ترجى ربيع .

(٤) ب : وقاية .

(٥) ديوانه ٢١٢ ، المحاسن والمساوي للبيهقي ١/٢٠٢ .

(٦) الآل : السراب ، وانظر البيهقي في ديوانه ٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ .

هو أم دُؤاج^(١) ، فقال له : وأنا والله أقول فيك شعراً ، لا تدري أمدح هو أم هجاء ، فلما خاطبه له قال فيه :

خاط لي عمرو قباء ليت عَيْنِيهِ سَوَاءُ

^(٢) قل لمن يسمع هذا أمدح أم هجاء^(٣)

فلم يدروا ما أراد : صحة عينيه أم عماه .

ولرجل من بني تميم :

أَمِنْ عَوَزِ الرِّجَالِ وَهُمْ كَثِيرٌ حَبَا نَصْرُ بَايَرْتِهِ^(٣) عَقِيلًا

فلو بكت المنابر من لثيم سَمِعْتَ لَعُودَ مَنْبَرِهِ عَوِيلًا

وقال آخر :

من دون سَيْبِكَ لَوْ لَيْلٍ مُظْلِمٍ وَحَفِيفُ رَائِحَةٍ وَكَلْبٌ مُرْصَدٌ

والضيفُ عندك مثلُ أَسْوَدَ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحَبُّهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ^(٤)

وقال آخر :

ورثنا المجدَ عن آباءِ صَدِيقٍ أَسَانَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيْعَا

إِذَا الْحَسْبُ الرِّفِيعُ تَعَاوَرَتْهُ بُنَاةُ السُّوءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيْعَا^(٥)

(١) القباء : ثوب يشبه العباءة ، والدواج : المعطى الثقيل .

(٢) ساقط من ب . وقد نسب البيتان في المقد ٤١٠/٥ إلى بشار بن برد ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ٣١٨/٢ .

(٣) ب . بامرأته .

(٤) في عيون الأخبار ٣٢/٢ : نافذة مكان رائحة ، وموسد بدل مرصد ، وهي مأخوذة من أوسد الكلب بالصيد أى أغراه ، والأسود السالغ : الأفعى ، ووصف بالسالغ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(٥) الكامل ٦٧/٢ ، عيون الأخبار ١١٢/٢ .

وأحسنُ من هذا :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرُمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَسْكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا^(١)

وقال آخر :

إِنْ تَلَقَّ رَيْبَ الْمَنَايَا أَوْ تَرَدَّفَهَا^(٢) لَمْ نَبْكِ مِنْكَ عَلَى دِينٍ وَلَا حَسَبٍ

وقال آخر :

وَإِنْ تُصِيبَكَ مِنَ الْأَيَّامِ فَارِغَةٌ لَمْ أَبْكِ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينٍ^(٣)

قيل لمسامة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : الفرزدق يبنى ، وجرير يخرب ،
وليس بقوم الخراب شئ .

قال أعرابي في سعيد بن مسلم^(٤) :

مَدَحْتُ ابْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْزَةٌ فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابُ
لِكُلِّ أَخِي مَدِيحٌ ثَوَابٌ يُعِيْدُهُ وَلَيْسَ لِمَدِيحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ^(٥)

(١) في ١ : نسير كما كانت أوائلنا تسير ، والرواية للشطرنج الأولى في نواذر القالي ١١٧ : لسنا وإن كرمت أوائلنا ، وقد نسب البيتان في السكامل ٩٤/١ إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ونسبا في حاشية أبي تمام ٣٣٨/٢ إلى المتوكل الليثي ، وانظرهما في زهر الآداب ٧٩/١ .

(٢) ب : تردفنا ، أ : تردفنا .

(٣) سبقته نسبة في العقد ١٧٦/٦ لأبي وجرة مولى عبد الله بن الزبير انظر ص ٥٢٢ ، وانظره بدون نسبة في المصون لأبي أحمد العسكري ٢١ ، وفيه : بانهمة بدل قارعة .

(٤) ب : مسلم .

(٥) محاضرات الأدباء ١٨٤/١ ، السكامل ٢٣/٢ ، عيون الأخبار ٣٢/٢ ، مع تقديم الثاني على الأول ، العقد الفريد ٣١١/١ .

قال أبو بكر السَّامري :

يا شاعراً يَهْتِكُ من عَقْلِهِ أضْعافُ ما يَهْتِكُ من عِرْضِي
إذا هَجَانِي جاءَنِي شِعْرُهُ وبعضُهُ يَضْحَكُ من بَعْضِ

وهذا الباب أكثر من الحصى والتراب .

بابُ الْعَقْلِ وَالْحَقِّ

أما العقلُ فقد أوردتُ في معناه واشتقاقه والدلالةِ عليه ، وما جاء في ذلك من النثر والنَّظم كتاباً كافياً ، ونوردها هنا من صفات العاقلِ والأحق ما تحسَّن به المذاكرة ، ويجمل إirاده في المجالسة إن شاء الله تعالى .

ومن حديث ابن عمر ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم : « لا يُعْجِبُكُمْ إيمانُ الرجلِ حتى تعلموا ما عقدةُ عقله »

وروى عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « حقٌّ على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يناجى فيها ربَّه ، وساعة يُفَضِّى فيها إلى إخوانه الذين يُخبرونه بميوِّبه ، وَيَصْدُقُونَهُ عن نفسه ، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلُّ ويجمل ، فإن هذه الساعة عونٌ له على هذه الساعات ، وإجمام^(١) للقلوب . وحقٌّ على العاقل ألا يظمن^(٢) إلا في إحدى ثلاث : زاد لمعاده ، ومرة لمعاشه ، أو لذة في غير محرم . وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مالكاً للسانه ، مقبلاً على شأنه » .

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أتدرى لم رزقتُ^(٣) الأحق ؟ قال : لا . قال : ليعلمَ العاقلُ أن الرزقَ ليس باحتيال .

(١) : أحكام .

(٢) : بظافر .

(٣) : خلقت .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من حُرْمَةٍ فقد حُرِمَ خيرَ الدنيا والآخرة : عقلٌ يدارى به الناس ، وحِلْمٌ يردُّ به السفیه ، وورعٌ يحجزُه من المحارم » .

افتخر رجلان عند علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : أفتفخران بأجساد بالية ، وأرواح فى النار ؟ إن يكن لكما عقلٌ فلكما أصل ، وإن لم يكن لكما خلقٌ فلكما شرف ، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم ، وإلا فالمار خير منكما ، ولستما خيرًا من أحد .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : العاقلُ من لم يَحْرَمْهُ نصيبُه من الدنيا حظُّه من الآخرة .

قال علي بن أبي طالب فى وصيته لابنه : لا مالَ أَعُوذُ^(١) من العقل ، ولا فقر أشدَّ من الجهل ، ولا وِحدةٌ أَوْحَشُ من العُجب ، ولا مَظَاهِرَةٌ كالْمِشاوَرَةِ ، ولا حَسَبٌ كحَسَنِ الخلق .

كان يقالُ : إذا كان علم الرجل أكثرَ من عقله ، كان قينًا أن يضرَّه علمه .

قال عمرو بن العاص : ليس العاقلُ الذى يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذى يعرف خير^(٢) الشرين .

قال العُتْبَى : العقلُ نومانٌ ، فأحدهما ما تقرّد الله بصنعتِه ، والآخر ما يستفيدُه

(١) ١ : أعدد .

(٢) ١ : شر .

المرء بأدبه وتجربته ، ولا سبيلَ إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركب ، فإنهما إذا اجتمعا قَوَّى كلُّ منهما صاحبه ، كما أن النار في الظلمة نور للبصر ، وأنشد :
إذا لم يكن للمرء عقلٌ يزيِّنه مع الناس لَمْ يَجْعَلْ له مُشْفِقٌ عَقْلًا^(١)

وقال آخر :

ولا خيرَ في حُسْنِ الجُسُومِ وطَوَّلِهَا إذا لم يَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ^(٢)

وقال أردشير بن بابك : نعوذُ بالعقلِ بالعلم .

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رضى الله عنه ، إلى بعض عماله : أمَّا بعد ، فإنَّ العقلَ المُفْرَدَ لا يُقَوَّى به على أمر العامة ، ولا يُكْتَفَى به في أمر الخاصة ، فأخِي عقلك بعلم العلماء والأشرافِ من أهل التجارب والمروءات ، والسلام .

قال أيوبُ بنُ القُرَيْبِ : الناسُ ثلاثة : عاقلٌ ، وأحمقٌ ، وفاجرٌ ، فالعاقل : الدينُ شريعته ، والحلمُ طبيعته ، والرأى الحسنُ سَجِيَّته ، إن نطقَ أصاب ، وإن سمع وعى ، وإن كُلمَ أجاب . والأحمق : إن تكلمَ تجمل ، وإن حدثَ وهل ، وإن استنزلَ عن رأيه نزل . وأما الفاجرُ : فإن ائتمنته خانك ، وإن صحبته شاك .

قال مُطَرِّفُ بنُ الشَّخِيرِ : عُقُولُ كلِّ قومٍ على قَدَرِ زمانهم .

(١) م : فليجعل له مشفقاً عقلاً

(٢) يروى ونيلها مكان ماولها ، وقد نسب البيت في البيان والتبيين ٢/٢٣٩ إلى مالك بن حمار الهذلي الفزارى ، وفي هاشم أسالى القالى ١/٣٩ أنه لحذيل بن ميسر الفزارى ، وورد في حاشية أبي تمام ١٤/٢ لرجل من بني فزارة ولم يمينه ، ونسب في معجم الأديباء ١٨/٦ ، ٣ إلى أبي العيناء .

كان يقال : ستّ خصال تُعرّف في الجاهل : الغضبُ في غير شيء ، والكلامُ في غير نفع ، والعطيةُ في غير موضعها ، وإفشاء السرّ ، والثقةُ بكلِّ أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه .

قيل لابن شبرمة : ما حدّ الحق ؟ قال : لا حدّ له .

سئل بعضُ الحكماء عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظنون ، ومعرفةُ ما لم يكن بما قد كان .

كان يحيى بن خالد ، يقول : ثلاثةُ أشياء تدلّ على عقول أربابها : الكتابُ على مقدار عقل كاتبه ، والرسولُ على مقدار عقل مُرسِله ، والهديةُ على مقدار عقل مُهديها .

قال ابن الأعرابي : ممّي الرجلُ أحمق ، لأنه لا يميز كلامه من رعوته .

قال : والحمق أيضاً الكساد ، يقال : انْحَمَقَتِ^(١) الشوق إذا كسدت ، ومنه الرجلُ الأحمق لأنه كاسدُ العقل لا يمتنع برأيه ولا بعزمه . والحمق أيضاً : الغرور ، يقال : سرنا في ليالٍ مُحَمَّقات ، إذا كان القمر فيهن يَسْتَتِرُ بغيره أبيض رقيق ، فيعتثر الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتّى يملوا .

قال : ومنه أخذ اسم الأحمق لأنه يترك في أوّل مجاسه ببعائه ، فإذا انتهى إلى آخر كلامه تَبَيَّنَ مُحَمَّقُهُ .

(١) ب : حقت ، وكلامها وارد صحيح .

وقيل للرجلة البقلة الحقاء ، لأنها تنبت في مسيل الماء ، وفي طريق الإبل ،
فهي أبداً مدوسة .

وفي الخبر المرفوع : « للعاقل خصال يُعرف بها : يحلّم عن ظلمه ، ويتواضع
لمن هو مثله ، ويسابق بالبر من هو فوقه ، وإذا رأى بابَ فرصةٍ انتهزها ، لا يفارقه
الخوف ، ولا يصحبه العنف^(١) ، يتدبّر ثم يتكلم ، فإن تكلم غيماً ، وإن سكت
سليماً ، وإن عرضت له فتنة ، اعتصم بالله ثم تنكّبها ، وللجاهل خصال يُعرف بها :
يظلم من خالطه ، ويتكلم بغير تدبّر فيندم ، فإن تكلم أثم ، وإن سكت سها ،
وإن عرضت له فتنة أردته ، وإن رأى بابَ فضيلةٍ أعرض عنها .

ذكر المنيرة بن شعبه يوماً عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : كان والله
أفضل من أن يخدع ، وأعقل من أن يخدع .

في كتاب « كلیلة ودمنة » : رأس العقل التمييز بين الكائن والمتنع .

قال الحجاج يوماً : العاقل من يعرف عيب نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبك ؟
قال : أنا حسودٌ حقود ، قال عبد الملك : ما في إبليس شرٌّ من هاتين .

قال الحسن البصري : صلة^(٢) العاقل إقامةُ لدين الله ، وهجران الأحمق قرينة إلى
الله ، وإكرامُ المؤمن خدمةً لله وتواضعٌ له .

(١) ب : التعنيف .

(٢) ١ : صلة .

قال عبد الله بن الحسين ^(١) : مُتَّقُ الرجل يفسد دينه ^(٢) ، ولا دين لمن لا عقل له . وكان لا يجيز شهادة الأحمق العفيف ، فكُلِّم في ذلك ، فقال : سأريكم . ودعا بحاجبه فقال : يا ممدود ^٣ ، انظر لي ما الرِّيح ؟ فخرج ثم رجع ، فقال : هي شمالٌ يَشُوها شيءٌ من الجنوب . فقال : أَتَرَوْنَ أن أجيزَ شهادة مثل هذا ؟

فقال أردشير : رضاء المرء عن نفسه دليل على عقله .

قال أنوشروان : ثقة الرجل برأيه ، وإقراره بتوفير عقله ، دليل على عقله .

قيل :

هل ينتهي من أول الزَّجر أحمقُ

كان يقال : إذا تمَّ العقلُ نقصَ الكلام .

قال علي بن أبي طالب : لا تؤاخذ الأحمق ، ولا الفاجر ، أمّا الأحمقُ فدخله
وَنَخْرَجُهُ شَيْنٌ عَلَيْكَ ، وأمّا الفاجرُ : فَيَزِينُ لَكَ فَعْلَهُ ، ويودُّ أنك مثله .

(١) كذا بالأصول ، وقد ورد في عيون الأخبار ١٧/١ أنه عبيد الله بن الحسن المنبري .

(٢) ساقطة من أ .

(٣) ١ : مرود ، وحماد في عيون الأخبار : أبا مودود .

قال سابق :

المرء يجمع والزَّمانُ يُفَرِّقُ ويظلّ يرقعُ والحطوب تمزقُ
ولئن يُعَادِي عاقلاً خيراً له من أن يكون له صديقٌ أحمقُ

وقال آخر :

عدوك ذو العقل أبقى عليك من الصَّاحِبِ الجاهِلِ الأحمقِ^(١)
وذو العقل يأتي حسانَ الأمور ويعمد للأرشدِ الأوفقِ

وقال دعل بن علي الخزاعي :

عداوةُ العاقلِ خيرٌ إذا حصَّلتها من خُلةِ الأحمقِ
لأنَّ ذا العقلِ إذا لم يَرعِ^(٢) عن ظلمك استعيا فلم يخرقِ
ولن ترى الأحمقَ يُبقي على دينٍ ولا وُدٍّ ولا يثقي

وقال آخر :

عداوةُ العاقلِ خيرٌ لمن عاداهُ من وُدِّ امرئٍ جاهلٍ
بوائقُ الجاهلِ مَبْثُوتَةٌ وليس تحشأها من العاقلِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

ألا إنما الإنسانُ غمدٌ لعقله ولا خيرَ في غمدٍ إذا لم يسكن نصلُ

(١) التنزيل والمحاضرة ٣٠٦ ، فصل للقال ١٦٠ .

(٢) أي يفتي ويحفظ ، مضارع ورع ، وفي الديوان ١٥٧ : إذا لم يزع عن حله

فإن كان للإنسان عقلٌ فإنه هو النّصلُ والإنسان من بعده فضلٌ

وقال أيضاً :

وما المرء إلا اثنان عقلٌ ومنطقٌ فمن فاتته هذا وذاك فقد دمرُ
ولا سيما إن كانَ ممن نصيبُهُ من الدّينِ والدُّنيا قليلٌ إذا حَضَرُ

وقال ابن الرومي :

وليس عتابُ المرء للمرء نافعاً إذا لم يكن المرء عقلٌ يعاتبه^(١)

وقال آخر :

زعمت أبا سهلٍ بأنك جامعٌ فنونا من الآداب يجمعها الكهلُ
فهبك تقولُ الحقَّ أيُّ فضيلةٍ تكون لذي علمٍ وليس له عقلُ^(٢)

وقال آخر :

لكلّ امرئٍ شكلٌ من الناسٍ مثلهُ فأكثرُهُم شكلاً أقلُّهُم عقلاً
لأنَّ صحيحَ العقلِ ليس بواجِدٍ له في طريقٍ حينَ يسلكها مثلاً
ولا خيرة في طولِ السَّبالِ^(٣) وعرضها إذا الله لم يجعل لصاحبها عقلاً

(١) البيت في المختار من شعر بشار ٩٢ بغير نسبة .

(٢) البيتان لأبي العباس الناشي في أبي سهل بن نوحخت ، رهر الآداب ١٨٨/٣ .

(٣) السبال : مقدم الحجية ، وانظر الأبيات في السكامل ٣١٥/١ ، وفيه . وما الفضل في جلول .. إلخ

وقال آخر :

قد عرفناك باختيارك إذ كآ ن دليلاً على اللبيب اختياره^(١)

وقال بشار بن برد :

وما أنا إلا كالزّمان إذا صحّا صحوّت وإن ماق الزّمان أموق^(٢)

وقال آخر :

وأنزاني طول النوى^(٣) دار غربة إذا شئت لاقيت امرءاً لا أشاكه
تحامقته حتى يُقال سجيّة ولو كان ذا عقلٍ لكنت أعاقلة^(٤)

وقال آخر :

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
فإني رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يسعد^(٥) بالعقل

وقال أبو يزيد^(٦) البسطامي رحمه الله :

يا ذا الذي ليس له والد يسعى على الأرض ولا والد

(١) المقدم الفريد ٣/١

(٢) المختار من شعر بشار ٢١١ البين والبيين ١/٩٨٩ .

(٣) ١ : الشقا .

(٤) سبق البيت الأول وفي ص ٢٣٤ انظر نسبه ومراجعته هناك ، وانظرهما أيضاً في محاضرات الأدباء ١٣٦/١ ، عبون الأخبار ٣/٢٦ .

(٥) ب : يسود . والبيتان لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، انظر معجم الأدباء ١٩/٢٤٧ .

(٦) ١ : دريد ، تحريف . فهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة في الزهد ، وأقوال في الحكمة والتمصوف ، مات سنة ٢٦١ هـ . انظر في ترجمته وفيات الأعيان ٢/٢١٣ .

قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهِمْ آدَمُ فَأَيُّ تَفْسٍ بِمَدَّةِ خَالِدَةٍ
 إِنْ جِئْتَ أَرْضًا أَهْلُهَا كُلُّهُمْ عَوْرُ فَنَعْمُضُ عَيْنِكَ الْوَاحِدَةَ^(١)

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يكنى أبا العُمَيْرَيْنِ ، فقال : لو كان لك عقل
 كفالك أحدهما .

قال الحسن : هجرة الأحمق قربة إلى الله تعالى .

قال منصور الفقيه :

أَجَالِسُ كَلًّا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا أَحَبُّ سِوَى الْأَمَوقِ
 فَإِنِّي أَجَالِسُهُ مَرَّةً وَأَنْهَضُ عَنْهُ فَلَا نَلْتَقِي
 فَا نِعْمَةٌ بَعْدَ تَقْوَى الْإِلَهِ بِأَفْضَلٍ مِنْ هِجْرَةِ الْأَحْمَقِ

قال بعض الحكماء : ينبغي للعاقل أَنْ يَتَمَسَّكَ بِسِتِّ خِصَالٍ : أَنْ يَحْفَظَ^(٢)

دينه ، ويصون عرضه ، ويصل رحمه ، ويحفظ جاره ، ويرعى حقَّ إخوانه ، ويحزن
 عن البذاء لسانه .

كان الحسن البصري إذا أُخبر عن أحد بصلاح ، قال : كيف عقله ؟ ثم يقول :
 ما يتم دين امرئ حتى يتم عقله .

روى أنه لما أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض ، أتاه جبريل ، فقال : يا آدم !

(١) فصل المقال ١٩٨ .

(٢) ١ : يحوط .

إن الله تعالى قد أحضر ك ثلاث خصالٍ لتختارَ منهنَّ واحدةً ، وبُخِّلَ عن اثنتين .
 قال : وما هنَّ ؟ قال : الحياءُ والدينُ والعقلُ : قال آدم : إني اخترتُ العقلَ .
 قال جبريل للحياء والدين : ارتفعوا فقد اختارَ العقل ، قالوا : لا ترتفع . قال :
 ولم عصيتما ؟ قالوا : لا ، ولكننا أُمِرْنَا ألاَّ نفارقَ العقلَ حيثُ كان .
 كان يقال : لا تعتدَّ بمن ليس له عُقْدَةٌ من عقل .

قال بعض الحكماء : وَكَلَّ الحِرْمَانُ بالعقل ، والرِّزْقُ بِالْجَهْلِ ، ليعتبرَ العاقلُ
 فيعلم أنَّ الرِّزْقَ ليس عن حيلة .

قيل لزُرْعَةَ بنِ ضَمْرَةَ : متى عَقَلْتَ ؟ قال : يومَ وُلِدْتُ . قيل : وكيف ذلك ؟
 قال : مُنِعْتُ الشَّدَى فبَكَيْتُ ، وأُعْطِيْتُهَا فسَكَتُ .

قال الصَّحَّانُ : لَأَنَا للعَاقِلِ المُدْبِرُ ، أَرْجَى مِنِّي للأحمقِ المُتَقَبِّلِ .
 قال الأوزاعي : قيل لعيسى عليه السلام يَارُوحَ الله ! أنت تَبْرِيءُ الأَكْمَهَ
 والأَبْرَصَ وتُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ الله ، فما دَوَاءُ الأَحْمَقِ ؟ قال : ذلك أَعْيَانِي .

قال قيس بن الخطيم :

وبعضُ الدَّاءِ ملتمسٌ دَوَاءَهُ وداءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ^(١)

(١) انظر ديوانه ٧٧ ، وفيه : ملتمس شفاء . ليس له شفاء ... حماسة أبي تمام ٤٠/٢ .

وقال آخر :

جنونك مجنونٌ ولستَ بواجِدٍ طيبًا يَدَاوِي من جُنُونِ جُنُونٍ^(١)

وقال آخر :

قالوا جُنُنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَدَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
الْحُبُّ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ

كان يقال : الأحمقُ بشأنه أعلمُ من العاقلِ بشأن غيره^(٢) .

قال زيدُ بنُ أسلمَ ، قال لقمان لابنه : يا بني لَنْ تُقْصِيكَ^(٣) الحكيمُ خيرٌ من أن
يُدْنِيكَ^(٤) الأحمقُ .

قال صرُّ بنُ عبد العزيز : خُصِمَتَانِ لَا تَعْدِمُكَ [إحداهما]^(٥) من الأحمق ، أو
قال من الجاهل : كثرة الالتفاتِ ، وسرعةُ الجوابِ .

كانوا يُعَبَّرُونَ عن الأحمق بالجاهل ، ومن ثم قالوا : غضب كسرى على عاقل فسجنه
مع جاهل . يريدون سجنه مع أحمق ، ويُعَبَّرُونَ أَيْضًا عن العاقل بالحليم ،
قال الشاعر :

(١) عيون الأخبار ٤٧/٢ .

(٢) وردت هذه العبارة في عيون الأخبار : الأحمق أعلم من العاقل إلخ ، وصححها في الماش كما ورد هنا .

(٣) ب : يضربك .

(٤) ب : يدهنك .

(٥) زيادة يستقيم بها المعنى .

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرَدَى حَلِيمًا حِينَ وَآخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءَ^(١)

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان ،
والغيران^(٢) ، والسكران . قيل : فما تقول في المنعظ ؟ قال :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمِّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تُصْبِحُنَا

قال تمام بجيح : إذا قام ذكر الرجل ، ذهب ثلثا عقله .

قال محمود الوراق ، وقد نسب إلى ابن الزيات :

لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا يَدْبُرُهُ الْعَا قَلٌّ إِلَّا وَفِيهِ شَيْءٌ يُرِيْبُهُ
فَأَخُو الْعَقْلِ مُتَمَسِّكٌ يَتَوَقَّى وَيَخَافُ الدُّخُولَ فِيمَا يَعْصِيْبُهُ
وَأَخُو الْجَهْلِ لَا يَقْدُرُ فِي الْأَمْرِ وَإِنْ أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ ضُرُوبُهُ
رَاكِبٌ رَدْعُهُ كَحَاطِبٍ^(٣) لَيْلٍ يَخْطِئُ الْأَمْرَ كُلَّهُ أَوْ يُصِيبُهُ
تَتَأَنَّى لَهُ الْأُمُورُ عَلَى الْجَهْلِ لِي إِذَا مَا أَرَادَهَا وَتُجِيبُهُ

(١) عيون الأخبار ٧٦/٣ ، ورد البيت الثالث فيها أيضا ٨/٣ ضمن أبيات منسوبة إلى أبي العتاهية .

(٢) ب : والعريان .

(٣) ب : كعاطب . وراكب الردع : من يعصى في حاجته فيرجع خائبا ، وحاطب الليل : الخلط الذي يصيب مرة ويخطئ أخرى .

وأخو العقل بعد يَنْتَسِجُ الرَّأْيَ فَيَرْضَى وَمَرَّةً (١) يَسْتَرِيه
 وإذا صَيَّرَ البعيدَ قَرِيبًا عَادَ فِيهِ فَازْدَادَ بُعْدًا قَرِيبُهُ
 فهو الذَّهْرَ شَاخَصُ الْقَلْبِ فَكْرًا مَا تَقْضَى هُمُومُهُ وَكُرُوبُهُ

وقال آخر:

ألا إنَّ عقلَ المرءِ عَيْنًا فُؤَادِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْكُنْ عَقْلُهُ فَلَنْ يُبْصِرَ الْقَلْبُ
 (٢) وقال آخر:

أرى زمنا نَوَكَاهُ أَسْعَدُ أَهْلِهِ وَلَكِنَّا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ
 مشى فوقه رجلاه والرأسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الْأَعَالَى بَارْتِفَاعِ الْأَسَافِلِ (٣)
 وقال آخر:

عَذَّلُونِي عَلَى الْحَمَاقَةِ جَهْلًا وَهِيَ مِنْ عَقْلِهِمْ أَلَدُّ وَأَخْلَى
 لو لَقُوا مَا لَقِيتُ مِنْ حِرْفَةِ الْعَقْلِ لِي لَسَارُوا إِلَى الْحَمَاقَةِ رِسَالًا
 مُحِقِّي قَائِمٌ (٣١) بِقُوْتِ عِيَالِي وَيَمُوتُونَ إِنْ تَمَاقَلْتُ هُزْلًا

قال هشام بن عبد الملك: يُعْرِفُ حَقُّ الرَّجُلِ بِأَرْبَعٍ: بِطَوْلِ لِحْيَتِهِ، وَشَنَاعَةِ
 كُنْيَتِهِ وَنَقْشِ خَاتَمِهِ، وَإِفْرَاطِ شَهْوَتِهِ. فدخل عليه ذات يوم رجلٌ طويل

(١) ساقطة من ١.

(٢) ساقط من ١. وانظر البيت الثاني في البيان والتبيين ١/٢٤٦.

(٣) ب: فائما.

المُشْتُون ، فقال هشام : أما هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين الثلاث ؟ قالوا : ما كنتك ؟ قال : أنا أبو الياقوتِ الأحمر . قالوا : فما نقشُ خاتمك ؟ قال : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ^(١) .

وفي خبر آخر : أن معاويةَ جرت له مثل هذه الحكاية ، إلا أن في خبر معاوية ، قيل له : فما كنتك ؟ قال : أنا أبو الكوكب الدرّي . قيل له : فما نقش خاتمك ؟ قال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ^(٢)

قال يحيى بن الحكم الغزالي :

يَعْرِفُ عَقْلُ الْمَرْءِ فِي أَرْبَعٍ مِشْيَتُهُ أَوَّلُهَا وَالْحَرَكَ
وَدَوْرُ عَيْنِهِ وَالْفَاطَةُ بَعْدُ عَلَيْهِنَّ يَدْوَرُ الْفَلَكَ ^(٣)

وقال آخر :

طَلَبْتُ الرِّزْقَ بِالْعَقْلِ مِنْ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ
فَلَمْ يُكْسِبْنِي الْعَقْلُ سِوَى الْبَعْدِ مِنَ الرِّزْقِ
فَادْبَرْتُ عَنِ الْعَقْلِ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْخُفْقِ
فَلَمْ أَتَعْبُ وَلَمْ أَنْصَبْ وَلَمْ أَضْرَعْ إِلَى الْخَلْقِ

قال بعض الحكماء : من الحق التماس الإخوان بنير وفاء ، والتماس الآخرة

(١) سورة يوسف الآية ١٨ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٥ .

(٣) العقد الفريد ٢/٢٤٣ .

بالرياء^(١) . وأتماس مودة النساء بالنظرة ، وأتماس العلم والفضل بالدعة والخفض .

سمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبلى أُمِدِّحْتُ أم هجيت . فقال : استرحت من حيث تعب الكرام .

قالت العرب : استراح من لا عقل له .

وقالت الفرس : مات من لا عقل له .

أنشدني بعض شيوخي رحمه الله :

كم كافر بالله أمواله	ترداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم	يزداد إيماناً على فقره
لا خير فيمن لم يكن عاقلاً	يمد رجله على قدره

وقال آخر^(٢) :

ما إن يزال يبنّاد يزاحمنا ^(٣)	على البراذين أشباه البراذين
أعطاهم الله أموالاً منزلة	من الملوك بلا عقل ولا دين
ما شئت من بغلة شقراء ناجية	أو من أتانٍ وقولٍ غير موزون ^(٤)

(١) ب : بالزنا .

(٢) هو عارق بن أدهال الطائي ، كافي البيان ٢٣١/١ .

(٣) ١ : نرى جثنا .

(٤) ١ : ومن أتانٍ وقولٍ غير مأمون ، والبغلة الناجية : السريعة ، انظر الآيات في البيان والتبيين

٢٣١/١ ، ٢٣٢ ، ٢١٨/٣ .

بابٌ من أجوبة الحمقى

ومراجعة السخفاء ، وألفاظ النوكى والجهلاء

استعمل معاوية رجلاً من كلب ، فذكر المجوس يوماً ، فقال : لعن الله المجوسَ
ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ، ما نكحتُ أمي . فبلغ
ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله أترونه لو زيد فعل ١١٩

قال أبو عبيدة : أجزيت الخيل فطلع منها فرسٌ سابق ، فإذا رجلٌ من النظارة
يكرّ ويشب من الفرح ، فقال له رجل إلى جنبه : يا فتى ! هذا الفرسُ فرسُك ؟ قال :
لا ، ولكنّ اللجام لجامي .

أرسل رجلٌ من بني عجل بن لجيم فرساً في الحلبة ، فجاء سابقاً ، فقال لابنه :
يا بني ! بأي شيء أسميه ؟ فقال : يا أبت افقأ عينه وسمه الأعور . قال الشاعر :

رَمَتْنِي بَنُو عِجْلٍ بِدَاءِ أَيْهِمْ وَأَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَنْوَكُ مِنْ عِجْلٍ
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنِ جَوَادِهِ فَأُضْحَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ بِالْجَهْلِ^(١)

قال أبو كعب القاصّ في قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كبد حمزة
ما علمتم ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة .

(١) انظر البيتين في وفيات الأعيان ٢٨٦/١ ، المحاسن والمساوى للبيهقي ٢٢٦/٢ .

وقال أيضاً في قصصه : إن اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا ، قالوا له : فإن يوسف لم يأكله الذئب ، قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

وتلا في قصصه يوماً قول الله عز وجل : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكْادُ يُسِيغُهُ ﴾ ^(١) ، فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسیغه .

قيل لبرذعة الموسوسر : أيما أفضل غيلان أم مُعَلَّى ؟ قال : مُعَلَّى ، قالوا : ومن أين ؟ قال : لأنه لما مات غيلان ، ذهب مُعَلَّى إلى جنازته ، فلما مات مُعَلَّى لم يذهب غيلان إلى جنازته .

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنه يتزندق ، فسأله الوالى عن قوله الذى نسب به إلى الزندقة ، فقال : هو مُرْجِيٌّ قَدْرِيٌّ نَاصِبِيٌّ رَافِضِيٌّ ، من الخوارج ، يبينضُ معاويةَ بن الخطَّاب الذى قتل على بن العاص . فقال له ذلك الوالى : ما أدري على أى شيء أَحْسُـدُك ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب .

كان قوم من أهل العلم يتناظرون في أمر معاوية وعلى ، ويذكرون أبا بكر وعمر ، وكان قريباً منهم رجل من العامة ، ينسب إلى أنه من أعقلهم ، وكان ذا سَبَلَةٍ ^(٢) طويلة ،

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧ .

(٢) السلة بالتحريك : ١٠ على الشارب من الشر ، أو ما على الذن من لى طرف اللحية .

فقال لهم : كم تطنبون في أمر عليٍّ ومعاوية وفلان وفلان ! فقال له أحد القوم :
وتعرف أنت من عليٍّ (١) ومعاوية وفلان وفلان (٢) ؟ قال : نعم ! أوليس هو
أبو فاطمة ؟ قال : ومن كانت فاطمة ؟ قال : امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بنت
نُثْشَة أخت معاوية . قال : فما كان قصة عليٍّ ؟ قال : قتل في غزاة حنين مع النبي صلى
الله عليه وسلم .

دخل رجلٌ من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم ، فقال :
أصالح الله الشيخ ، لقد سمعتُ في السوق الساعة شيئاً منكراً ، ولا ينكره أحد
قال : وما سمعت ؟ قال : سمعتهم يشتمون الأنبياء ! قال : ومن المشتوم من الأنبياء ؟
قال : سمعتهم يشتمون معاوية . قال : يا أخي ليس معاوية بنبيٍّ . قال : فبِهِ نصف
نبيٍّ لم يشتم .

قال عمرو بن بحر : ذكر لي شيخٌ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يوماً
فغضب وشتهم ، وأنكر ذلك عليهم إنكاراً شديداً . قال : فأتيته يوماً فسألته
عن سبب إنكاره على الشيعة ولعنهم لهم فقال : لمكان الشين في أول الكلمة ،
لأنني لم أجِد ذلك قط إلا في مَسْخُوط ، مثل سُومٍ وَشَرٍّ وَشَيْطَانٍ وَشَيْصٍ وَشَحٍّ
وَشَغَبٍ وَشَغَبٍ وَشَرِّكَ وَشَتْمٍ وَشِقَاقٍ وَشَطْرَنْجٍ وَشَيْنٍ وَشَانِيٍ وَشَحْطٍ وَشَوْصَةٍ
وَشَوْلٍ وَشَكْوَى وَشَنَانٍ . فقلت له : إن هذا كثير ، ما أظنُّ أن (٢) القوم يقيم
الله لهم علماً مع هذا أبداً .

كان عندنا رجل شاهدناه ، وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة ، وكان إذا سلم من صلاته في جماعة أو وحده ، يقول : السَّلَامُ على الملكين الكاتبين لأبي بكر وعمر ، وكان أُلْتُغَ يجعل مكان الكاف تاء .

اشترى باقل ، وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزاً بأحد عشر درهماً ، فقالوا له : بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه ، وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهماً ، فلما يَرَوْه ، قال :

يلومون في مُحَقِّهِ بِأَقْلًا كَانُ الْحَمَاقَةِ لَمْ تُخْلَقِ
فَلَا تُكْثِرُوا الْعَذْلَ فِي عِيِهِ فَلَمِئْتُ أَجْمَلُ بِالْأَنَحَقِ^(١)
خَرُوجُ اللِّسَانِ وَفَتْحُ الْبَنَانِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْمُنْطِقِ^(٢)

ذكر الصَّوْلِي عن ابن الجوهري ضروباً من العيب والحماقة والجهل ، وكان له تسبيح ظريف يسبحه بإثر كل صلاة : سبحانك يا عالمين ، والحمد لله الأكرمين ، ولا إله إلا الله الطيبين ، والصلاة على النبي المباركين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، ونسأل الله خير عوائق الأمور .

رأى معاوية بن مروان بن الحكم حمارة طاحونة في عنقه جُلْجُلٌ في حانوت طحان ، فقال له : ما بال هذا الحمار في عنقه جلجل ؟ فقال : أنا مشغول في علاجي وطلب

(١) : بالهموز .

(٢) الأبيات في المحاسن والسيوف ، ٢٢٧/٢ .

معبشقي خارج الخانوت ، وبحركة الجلجل أعرف وقوف الحمار فأحرّكه للمشى ، فقال له معاوية : أَرَأَيْتَ إِنْ وَقَفَ الْحِمَارُ وَحَرَكَ رَأْسَهُ فَتَحَرَكَ الْجُلْجُلُ ؟ قال الطحان : وَمَنْ لِحِمَارِي بِثَلِّ عَقْلِ الْأَمِيرِ ؟ !

ومعاويةُ هذا هو الذي أمر بخلق بابِ المدينةِ إذ انقلت له البازي .

قال طحطاح^(١) لابنه يوماً : ما الذي تشتهي ؟ قال : رَأْسِي كَبْشٍ . فقال له أبوه : لا يكون للكبش رأسان ، قال : فرأس كبشين ، فضحك منه .

قيل لمخنت : ما لكم تحلقون لحاكم ؟ فقال : إِنْ الْبُرْدَ^(٢) لَا تَعْرِفُ إِلَّا بِحَذْفِ أَذْنَابِهَا .

دخل راكب البريد يوماً عَلَى الْمَأْمُونِ ، فقال له : متى خرجت ، أو متى قدمت ؟ فقال له : بعد غد يا أمير المؤمنين . فقال له المأمون : فَإِذَا أَتَيْتَنَا^(٣) وَبَيْنَا وَبَيْنَكَ مَرِحَلَتَانِ .

مَرِضَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَعَادَهُ جَارُهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَا تَجِدُ ؟ قَالَ : أَشْكُو دُمْلًا أَهْلَكَنِي ، وَزَكَامًا أَضْرَنِي . قَالَ لَهُ : فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنْ إِبْلِيسَ لَا يَحْسُدُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ إِلَّا عَلَى هَاتَيْنِ الْعَاتَيْنِ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْأَجْرِ وَالْمَنْفَعَةِ . فَأَنْشَأَ الْأَمْرَابِي يَقُولُ :

(١) ب : سلفاح .

(٢) الرد : خيل البريد ، وكانت تقس أذناها لتعرف فسهل مهبتها .

(٣) ساقطة من ب ،

أَيْحَسَدُنِي إِبْلِيسُ دَائِمًا أَصْبَحَا بِرَأْسِي وَإِسْتِي دُمْلًا وَزَكَمَا
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةً زُبًّا لَا يَطِيقُ قِيَامًا^(١)

وقال أبو نواس :

قَدْ أَضَرَّتْ بِي^(٢) دَمَامِي لِي عَلَى الظَّهْرِ مُلِحَّةٌ
لَيْتَهَا فِي عَيْنِي مَنْ يَعِدُ سَبَّهَا مَالًا وَصِحَّةً^(٣)

سلم فزارة صاحب المظالم بالبصرة على يساره في الصلاة ، فقبل له في ذلك ،
فقال : كان على يميني إنسان لا أكله .

وقال فزارة يوماً في مجلسه : لو غسلت يدي مائة مرة ما تنظفت ، أو أغسلها
مرتين . وفيه يقول ابن المعتدل :

وَمِنَ الْمَظَالِمِ أَنْ تَكُونَ عَلَى الْمَظَالِمِ يَا فَزَارَةَ^(٤)

تقدم رجل مع خصمه إلى قاض ، فقال : أصالح الله القاضى ، لى عند هذا الزانى
ابن الزانية كذا وكذا . فقال القاضى لخصمه : ما تقول فيما سمعت من دعوى
خصمك ؟ فقال : لا أعرف شيئاً فيما يقول ، وأنا منكراً لما يدعيه . فقال للمدعى :
هات بينة إن كان لك . فأتاه برجلين فجلسا بين يديه ، فقال لهما : بم تشهدان ؟

(١) البيان لأعرابي يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الأدباء ٢٠٦/١ .

(٢) ب : به .

(٣) ديوانه ١٣٤ .

(٤) البيت في بنية الدهر ٢/٢٣٤ ، وفيها : ومن المظالم أن قدمت . . الخ

قالا : نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا لدعوى خصمه .
فقال لهما : قد قبلتكما . قم يا زاني ابن الزانية فأدّ ما شهدا به . فقال المشهود عليه :
أيها القاضي ! إن كان هؤلاء استحلوا قذفي^(١) وقذف أمي بجهلهم ، فما الذي
استحللت به أنت ذلك مني ؟ فقال : والله يا ابن أخي^(٢) ما حسبت إلا أنه اسمك
واسم أمك ، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا على شاهديه .

مر قاضٍ بواسط أو بمحصر على السوق في يوم رمضان ، فرأى رجلاً قد صنع
معزفاً ، فوقف عليه وقال : أيها الفاسق ! في هذا الشهر المبارك تعمل آلاتِ اللهو
وظروف الشرِّ فقال : أصلح الله القاضي ، إنما هي مِقلّة . قال : لعن الله الشيطان !
ما حسبتها إلا معزفاً ، فهض شيئاً ثم عاد إليه ، فقال له : يا فاسق ! وكيف تكون
مِقلّة من خشب ؟ هذا محال . فقال له : يا قاضي ! إني أطيها بالقار ، فلا تؤثر
فيها النار . قال : صدقت ، ثم انصرف عنه .

وُلّي رجلٌ مقلّ قضاء الأهواز ، فأبطأ عليه رزقه ، وحضر عيد الأضحى
وليس عنده ما يضحّي به ولا ما ينفق ، فشكا ذلك إلى زوجته ، فقالت له :
لا تعتم ، فإن عندي ديكاً جليلاً قد سمّته ، فإذا كان عيدُ الأضحى ذبحناه .
فلما كان يومُ الأضحى ، وأرادوا الديك للذبح ، طار على سقوف الجيران ، فطلبوه
وفشا الخبر في الجيران ، وكانوا مياسير ، فرقوا للقاضي ، ورثوا لقلة ذات يده ،

(١) ساقطة من به .

(٢) به : يا أخي .

فأهدى إليه كل واحد منهم كبشاً ، فاجتمعت في داره أكبش كثيرة ، وهو في المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ، ورأى ما فيه من الأضاحى قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت أهدى إلينا فلان وفلان — حتى سَمَّت جماعتهم — ما ترى . قال : ويحك ! احتفظى بديكنا هذا فما فدىَ إسحاق بن إبراهيم ^(١) إلا بكبش واحد ، وقد فدىَ ديكنا بهذا العدد .

(١) كذا بالأصول ، وهو يخالف المعروف من أن الفدى هو لإسماعيل بن إبراهيم وليس لإسحاق .

باب المَلَح وما به النفس ترتاح من مُباح المزاح

قال الأَصَمِيُّ : وَصِلْتُ بِالْعِلْمِ ، وَكَسَبْتُ بِالْمَلَحِ .

قال عبد الرحمن بن أبي الزناد : قلت لأشعب : أنت شيخ كبير ، فهل رويت شيئاً من الحديث ؟ قال : بلى ! حدثني عكرمة عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة . قلت : وما هما ؟ قال : نسيت أنا واحدة ، ونسي عكرمة الأخرى .

كان أشعب الطامع كثير الإلمام بإسلام بن عبد الله بن عمر ، فأتاه يوماً وهو في حائط مع أهله ، ففتح الباب من الدخول عليه من أجل عياله ، وقال : إنيهم يأكلون . فقال عن الباب ، ونسور عليهم الحائط ، فلمّا رآه سالم ، قال : سبحان الله يا أشعب ! على عيالي وبناتي تنسور . فقال له : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمِنْ حَقٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ . فقال له : انزل يأتك من الطعام ما تريد .

أخذ قومٌ في قطع ، فَقَدَّمُوا لضرب أعناقهم ، فقام منهم واحدٌ ، وقال : الله الله فيّ ، فوالله ما كنت في شيء مما كانوا فيه ، وإنما كنت أشرب معهم وأغنى لهم ، فقالوا : هاتِ فغنّ لنا ، فارتجت عليه الأسمار إلا قول الشاعر :

عن المرء لا نسأل وسلّ عن قرينه فكلّ قرين بالأمّ قارنٍ مُقْتَدِي^(١)

(١) سورة هود ، الآية ٧٩ .

(٢) محاضرات الأدباء ٣/٢ ، والبيهق لهدى بن زيد العبادي كما في مجموعة الماني ١٤ ، الدهر والشعراء

١٣٢ مهجاسة البجتي ٢٣٦ ، فصل المقال ٢٤٣ .

فَقَالُوا^(١) : صدق . اضربوا عنقه .

كان بعضُ أمراءِ خُرَّاسانِ يتشائمُ بالحُولِ ، ففتى رأى أَحُولَ ضربه بالسَّيِّاطِ ،
وربما ضرب بعضهم خمسمائة سوط ، وَحَدَّثَ أَنَّهُ رَكِبَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فرأى
أَحُولَ فَأمرَ بضربه ، وكان الأَحُولُ جُلْدًا ، فلما فرغ من ضربه ، قال له : أيها
الأميرُ ! أصلحك الله ، لِمَ ضربتني ؟ قال : لأنني أنشائمُ بالحُولِ . قال : فأينا أشدُّ
شؤمًا على صاحبه ، أنت رأيتني ولم يصبك إلَّا خير ، وأنا رأيتك ففُضِرْتُ خَمْسَمِائَةَ
سَوَوطٍ ، فأنت إذاً أشدُّ شؤمًا . فاستجيا منه ولم يضرب بعده أحدًا .

كانت في سعيد^(٢) بن فروخ بن القطان ، والد يحيى بن سعيد الفقيه ، غفلة
شديدة مشهورة ، فخرج يوم الجمعة وقد تهيأ للصلاة ، فلقى رجلاً من أهل
البصرة كثير المزاح ، فقال له : قد أخروا الجمعة إلى غد ، فقال : حسن . ورجع
إلى منزله .

كان إسماعيل بن يَسَّار^(٣) الشاعر قد خفَّ على عروة بن الزبير^(٤) حتى زامله
مرَّةً في بعض أسفاره ، فقال ليلةً في سفره ذلك لعلامه : انظر هل اعتدل المَحْمِلُ ؟

(١) ب : فقال .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) ب : بشار ، وهو تحريف ، انظر ترجمته في الأغاني ٤/٤٠٨ — ٤٢٩ .

(٤) ساقطة من ب .

فقال له الزلام : ماهو إلا معتدل ، فقال إسماعيل : والله ما اعتدل الحق والباطل قبل هذه الليلة ، فضحك عروة .

قال الأصمعي : قدم تاجر من أهل الكوفة المدينة بأخمة فباعها كلها إلا السود منها ، فلم تنفق ، وكان صديقاً للدارمي الشاعر ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان الدارمي تنسك ، وترك الشعر والغناء . فقال له : لا تهتم بذلك فإنني سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء الله تعالى ، ثم قال :

قل للمليحة في الحمار^(١) الأسود ماذا صنعت بزاهد متعبد
^(٢) قد كان شمر للصلاة ثبابة حتى عرضت له يباب المسجد
 ردّي عليه صيامه وصلاته لا تقتليه بحق دين محمد^(٣)

فشاع قول الدارمي هذا في الناس : وقالوا : رجع الدارمي عن نسكه ، وعاد إلى فتك^(٤) ، فلم يبق في المدينة امرأة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفذ ما كان منها مع العراقي ، فلما علم الدارمي ذلك ، رجع إلى نسكه ولزم المسجد . والدارمي هذا أصله مكي ، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز ، وعاش إلى خلافة بني العباس ، وانقطع إلى عبد الصمد بن علي وكان شاعراً مطبوعاً ، ترك ذلك وتنسك^(٥) ، وهو القائل :

(١) : القاع .

(٢) : ساقط من ب ، وانظر المستطرف ٢/٢٣ ، وذات الأعيان ٣/٣٠٣ ، الأغاني ٤٨/٣ .

(٣) : المكون .

(٤) : انظر في ترجمته الأغاني ٤٥/٣ — ٥٠ .

ولما رَأَيْتُكَ أَوْلَيْتَنِي أَلْ قَبِيحَ وَبَاعَدْتَ عَنِّي الْجَمِيلَا
تَرَكْتُ وَصَالَكَ فِي جَانِبٍ وَصَادَفْتُ فِي النَّاسِ خِلَا بَدِيلَا^(١)

طُوَيْسُ الَّذِي تَضْرِبُ بِهِ الْعَرَبُ الْمَثَلَ فِي الشُّؤْمِ ، هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
مَوْلَى لِبْنِي مَخْزُومٍ ، وَاسْمُهُ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْخُلْنَ وَالْمَجُونَ
بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مَغْنِيَا يُضْرَبُ الدَّفُ ، وَسُئِلَ عَنْ مَوْلَدِهِ ، فَقَالَ : وَلِدْتُ يَوْمَ مَاتَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفُطِمَتْ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ، وَخُتِنْتُ يَوْمَ قُتِلَ عُمَرُ ، وَتَزَوَّجْتُ
يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ ، وَوُلِدْتُ يَوْمَ قُتِلَ عَلِيٌّ^(٢) بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٣) فَيَقُولُونَ فِي أَمْثَالِهِمْ
السَّائِرَةِ . أَشْأَمُ مِنْ طُوَيْسٍ^(٤) .

كَانَ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا جَالِسًا فِي مَجْلِسِهِ ، وَالنَّاسُ يَتَنَاظَرُونَ فِي الْفَقْهِ عِنْدَهُ ، وَمَعَهُ
شَيْخٌ يُطِيلُ السَّكُوتَ ، فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا^(٥) : لَوْ سَأَلْتَ عَنْ مَسْأَلَةٍ تَنْتَفِعُ بِهَا ،
فَقَالَ : إِنِّي لِأَجِدُ فِي قَفَايَ حِكْمَةً ، أَفْتَرَى لِي أَنْ أَحْتَجِمَ ؟ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي صَرَّنَا مِنَ الْفَقْهِ إِلَى الْحُجَامَةِ .

مَرَّ بِالشَّعْبِيِّ يَوْمًا رَجُلٌ يَقُودُ حِمَارًا ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : وَرْدَانُ . قَالَ :
وَمَا اسْمُ حِمَارِكَ ؟ قَالَ : عِمْرَانُ . قَالَ الشَّعْبِيُّ : وَاخْلَافَاهُ^(٦) ۱۱

مَرَّ رَجُلٌ مَعَهُ كَلْبٌ بِابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : وَثَّابُ .

(١) البَيْتَانِ فِي الْأَغَانِي ٤٥/٣ . (٢) سَاقَطَ مِنْ ب .

(٣) انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَغَانِي ٢٧/٣ وَمَا بَعْدَهَا .

(٤) سَاقَطَةُ مِنْ ب .

(٥) يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ خِلَافَ الَّذِي يَجِبُ ، وَلَوْ تَبَوَّدَتِ الْأَمْعَاءُ لَانْتَفَتِ الْغَرَابَةُ .

قال : وما اسم كلبك ؟ قال : عمرو . فقال ابن أبي عتيق : واخلافه ،
وأنشده :

وَلَوْ هَيَّا لَه اللهُ مِنْ التَّوْفِيقِ أَسْبَابَا
لَسَمَّى نَفْسَهُ عَمْرًا وَسَمَّى الْكَلْبَ وَثَّابَا^(١)

أنشد رجل زبَّان^(٢) السَّوَّاقِ ، قول إسماعيل بن يسار :

مَاضِرٌ أَهْلَكَ لَوْ تَطَوَّفَ فَاشِيقٌ بِفَنَاءِ يَبْشِكِ أَوْ أَلَمَ فَسَلَّمَا^(٣)
فَبِكِي زَبَّان^(٤) ، وقال : لاشيء والله ، إلا الضَّجَرُ وسوء الخلق وضيق الصدر ،
وجعل يبكي ويمسح عينيه .

قيل لمذني : أما تتقي الله ، تؤذي جيرانك ؟ قال : فن أؤذي إذا^(٥) ؟
أؤذي من لا أعرفه !

كان الفرزدق جالساً في حلقة الحسنِ رحمه الله ، فقال رجل : يا أبا سعيد !
ما تقول في الرجل يحكي عن غيره ، يقول : قال فلان طَلَقْتُ امرأتِي ، وأعتقت
عبدِي ، وفعلت وفعلت ولائِيَّةَ له في ذلك . فقال الفرزدق : يا أبا سعيد : قد قلت

(١) محاضرات الأدباء ٢/٢٩٥ .

(٢) ١ : ريان ، وانظر القصة والاختلاف في هذا الاسم أيضاً في الأغاني ٤/٤١٥ .

(٣) العقد الفريد ٣/٦٢ ، الأغاني ٤/٤١٤ .

(٤) ساقط من ١ .

أنا في ذلك . فقال : وما قلت يا أبافراس ؟ فليس كلُّ قول يؤخذ به .
قال : قلتُ :

ولستَ بماخوذٍ بشيءٍ تقوله إذا لم تُعمد^(١) عافداتِ العزائم^(٢)

قال الحسنُ : صدق أبو فراس ، القول ما قال .

اعترض الإسكندرُ جيشه يوماً ، فرأى فيهم رجلاً أعرج ، فأمر بإسقاطه ،
فضحك الأعرج . فقال له الإسكندر : مم ضحكك ؟ وقد أستقطتكَ . فقال : تعجبا
منك لحبك آلة الهروب ، وكرهتك آلة الوقوف ، لأن معي آلة الوقوف في الحرب
وتسقطني ، فأمر بإمباته في خاصته ،^(٣) وأسنى رزقه^(٤) .

سمع ابن أبي عتيق يوماً نصيباً الشاعر ، وكان أسود ، ينشد لنفسه :

وددتُ ولم أُلْقَ من الطيرِ أني أعارُ جناحي طائرٍ فأطير^(٥)

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي اقل : غاقٍ تطرُ . شبهه بالغراب لشدة
سواده .

هاج بأبي عاقمة الأعرابي الدَّم ، فأتوه بحجَّام ، قال له : يا حجَّام ! اشدد قصبَةَ

(١) : تحاضر .

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٨٥١ ، وفيه : بلغو بدل بغيء ، معاضرات الأدباء ١١٢/١ ، ١٣٠ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) انظر البيت والخبر في الأغاني ٣٦٤/١ ، مع اختلاف في الرواية .

المِلْزَمُ^(١)، وأَرْهَفَ طُبَّةً^(٢) المَشْرَطَ، وأَسْرَعَ الوَضْعَ، وعَجَلَ التَّزْعَ، وليَكُنْ شَرْطُكَ وَخَزْأً، وَمَصَّكَ نَهْزَأً. فقام الحجام ناهضاً، وقال: 'انتظر حتى يَأْتِيكَ ابنُ القَرْيَةِ فيحْجِمَكَ.

قال الهيثمُ بن عدي: كنت يوماً بكناسة الكوفة^(٣) إذ أنا برجل قد وقف على نخاس الدواب، فقال له: اطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر، ولا بالكبير المشتهر، إن خلا الطريقُ تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لا يصادم في السَّواري، ولا يدخل تحت البواري، إن أقلتُ علفه صبر، وإن أكرتُ له شكر، وإن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام. فقال له النخاس: اصبر يا عبد الله، فإذا مُسِخَ القاضى حماراً، أصبت حاجتك إن شاء الله تعالى.

خطب أبو القطفوف إلى قومٍ وَلِيَّةٌ لَهُمْ، فأجابوه، وقالوا: لَهَا مِنَ الضَّيَاعِ وَالْمَالِ كَذَا وَكَذَا، فَا مَالُكَ أَنْتَ؟ قال: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنَّ مَالَهَا يَكْفِينِي وَإِيَّاهَا مَا عَشْنَا، فَمَا سَأَلَكُمْ عَنْ مَالِي؟

وقال عبدُ الملك بن عبد الحميد الخارثي:

يَا أُخْتَ كِنْدَةَ عَافِي شَرِبَ عُثْمَانُ وَأَزْمِي لِبَنِي عَوْفٍ^(٤) بِهِجْرَانِ

(١) ب: اللام، والمِلْزَمُ كُتِبَ: خشيتان تشد أو ساطعها بمحذبة.

(٢) ب: طيه، وطبّة المشرط: حده.

(٣) الكناسة: مجلة معروفة بالكوفة، انظر معجم البلدان لياقوت ٧٢/٢.

(٤) ب: بني أود.

يَا أُخْتَ كِنْدَةَ سِيرِي سَيْرَ سَاخِطَةٍ
يَا أُخْتَ كِنْدَةَ لَيْسَ الرِّزْقُ فِي يَدِهِ
السَّاءُ فِي دَارِ عُثْمَانَ لَهُ ثَمَنُ
عُثْمَانُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْدَ ذُو ثَمَنِ
وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مَنْ أَنْ يَمْدَحُوا أَحَدًا
اغْسِلْ يَدَيْكَ بِأَشْنَانٍ وَأَنْقِهِمَا
وَأَسْلَحْ عَلَى كُلِّ عُثْمَانٍ مَرَرْتَ بِهِ
كِي تَنْتَوِي مُنْتَوِي^(١) غَضْبِي وَغَضْبَانِ
الرِّزْقُ فِي يَدٍ مِنْ لَوْ شَاءَ أَغْنَانِي
وَالخُبْرُ فِيهَا لَهُ شَانٌ مِنَ الشَّانِ
لَكِنَّهُ يَشْتَهِي حَمْدًا بِمَجَّانِ^(٢)
حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانِ
غُسْلَ الْجَنَابَةِ مِنْ مَعْرُوفِ عُثْمَانَ
إِلَّا الْخُلَيْفَةَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانِ^(٣)

وقال الليث الحجام :

حَلَقْتُ بِمُوسَى الْهَجْرَ نَاصِيَةَ الصَّدِّ
قَصَصْتُ بِمُقْرَاضِ الْفِلَا حُجَّةَ الْوَفَا
وَشَعْرَ سِبَالِ الْوَصْلِ صِرْتُ مُنْتَفًا^(٤)
وَمَا زِلْتُ مَصَاصًا بَغِيرِ إِسْلَافِ
وَأَجْرِيْتُ مُشْطَ الصَّدِّ فِي طَرَةِ الْوُدِّ
فَجَبَنَةُ رَأْسِ الْوُدِّ مَكْشُوفَةُ الْجِلْدِ
ظُلُومًا^(٥) بَعْنَقَاشِ الْقَطِيعَةِ وَالصَّدِّ
بِمَحْجَمَةِ الْخُلْفِ الْقَيْسِجِ دَمَ الْوَعْدِ^(٦)

(١) : يمتوى سفرى .

(٢) ب : لحيان .

(٣) الأبيات الرابع والخامس والسادس في وفيات الأعيان ٦٧/٦ ، والسادس والسابع في نهاية الأرب ١٠٨/٣ ، معاضرات الأدباء ١٨٤/١ ، المستطرف ٩٨/١ ، عيون الأخبار ١٠٩/٣ .

(٤) ب : منقباً .

(٥) ا : ظلوباً .

(٦) معاضرات الأدباء ٥٦/٢ .

وذكروا أن إبليس قال : ماذا ألقى من أصحاب البلغم ؟ ينسون ويلعنونني .
قال حُسَيْنُ المَرُوفِ بالجلل الشاعر : كان أحمد بن المدبر بدمشق يقصده الشعراء
فن مدحه بشعر جيد أثابه ، ومن مدحه بشعر ردىء وكل به من يحمله إلى الجامع
فلا يفارقه حتى يصلي مائة ركعة . قال فدخاتُ عليه ، فقلت :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنِ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُتَجَعُّ الْوَلَاةُ
فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمَدْحَاتِ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَيْهِنَّ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : وَمَا يُغْنِي عِيَالِي صَلَاتِي إِنَّمَا الشَّانُ الزَّكَاةُ
لِيَأْمُرَ لِي بِكُسْرِ الصَّادِ مِنْهَا فَتَضَحِّي لِي الصَّلَاةُ هِيَ الصَّلَاتُ (١)

قال ، فقال لي : أخذت هذا من قول أبي تمام :

هِنَّ الْعَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِنٍ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ (٢)

قال الرياشي : خرج الناسُ بالبصرة ينظرون هلالَ رمضان ، فراه رجلٌ منهم ،
ولم يزل يومئُ إليه حتى رآه غيره وعاینوه ، فاما كان هلالَ الفطر ، جاء الجارُ إلى
ذلك الرجل ، فدقَّ عليه الباب ، وقال له : تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

(١) الأبيات للحسين بن عبد السلام المصري المروفي بالجلل والمتوفى سنة ٣٥٨ هـ ، انظر معجم الأدباء
١٠/١٢١ ، ١٢٢ زهر الآداب ١٨١/٢ .
(٢) ديوانه ١٤٠ .

باب المَزَاحِ إِباحةً وَكَراهةً

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » .

قال ابن عباس : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلا حقاً .

قال غالب القحطان : أثبت محمد بن سيرين ، وكان مزاحاً فسأله عن هشام ابن حسان ، فقال لى : توفى البارحة ، أما شعرت ؟ فقلت ^(١) إنا لله وإنا إليه راجعون افضحك ^(٢) وقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ^(٣) .

جاءت امرأة إلى الحسن ، فقالت : إني نذرت أن أهدي البصرة إلى مكة ، فقال : ويحك ! إن أهل البصرة لا يدعونك تهدي بصرتهم ؛ ولو تركوك ما قدرت ، كُفِّرَ عن عيذك .

وفي الحديث المأثور : « أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَبْسُكِي وَيَضْحَكُ ، وَكَانَ

(٢، ١) سابق من ب .

(٣) سورة الآية الزمر ٤٢ .

يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْكِي وَلَا يَضْحَكُ ، فَكَانَ خَيْرُهُمَا الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

قال خليفةُ بن زيد : كان خليفةُ الأقطع مزاحاً ، وكان يقف على أيوب السُّخْتِيَانِي فَيَمَازُجُهُ . قال حمَّاد : وجاء خليفةُ الأقطع يوماً إلى أيُّوب ، وأنا غلام بين يديه ، فقال له : يا أبا بكر متى ^(١) اسْتُحْدِثَ هذا ؟^(٢) يعني متى طلب هذا الحديث .

وروى هارون بن موسى الأعور عن سالم ^(٣) العلويّ ، قال : قال لي الحسن : خلّ بينَ الناسِ وبينَ هلالهم حتى يراه معك غيرك .

وكان شعبة يقول : سألِمَ العلويّ يَرَى الهلال قبل الناس بليلتين .

قال الخليلُ بن أحمد : النَّاسُ فِي سَجَنٍ مَالِمٌ يُمَازِحُوا .

مزح الشعبي يوماً ، فقليل له : يا أبا عمرو أفتمزح ؟ قال : إن لم يكن هذا متناً من النعم ، فداء ^(٤) داخل ، وهواء ^(٥) خارج .

كان محمد بن سيرين يذاعب ويضحك حتى يسيل لعابه ، فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريّا أقرب إليك من ذلك .

أنت ابن سيرين امرأة الفرزدق شاكية ، فلما خرجت تمثّل :

(١) ساقط من ب ، واستحدث هذا : إشارة إلى الغلام .

(٢) أ : سالم ، وكرر الاسم بعد ذلك صحيحاً .

(٣) ب : فرا .

(٤) ب : فرا .

لقد أصبحت عرسُ القَرَزْدَقِ نَاشِزًا ولو زِصِيَتْ زُبَّ اسْتِهْ لاسْتَقَرَّتِ^(١)

قيل لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمثل :

نَبِئْتُ أَنَّ فَتَاةً كُنْتُ أُخْطِبُهَا عُرْقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطُّولِ^(٢)
ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحاً لصلاته .

وقال شعبة : أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مُرَّةٌ بيت شعر غَزَلَ ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم .

وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المَزاح لما فيه من ذميمة العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء .

كان يقال : لكل شيء بدء ، وبدء المداواة المَزاح .

كان يقال : لو كان المَزاح فحلاً ، ما أُلْقِحَ^(٣) إلا الشر

قال سعيد بن العاص : لا تَازَحِ الشريف فيحقد ، ولا الدنيا فيجترى عليك .

قال ميمون بن مهران : إذا كان المَزاح أمام الكلام فأخذه الشتم والطام .

(١) البيت لجريز ، ديوانه ٨٨ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، وفيهما : رشح استه ، عيون الأخبار ١/٣١٧ وفيه : رمح .

(٢) المستطرف ٢/٢٦٥ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٧ .

(٣) ١ : ما أُلْقِحَ .

قال جعفر بن محمد : إياكم والمزاح ، فإنه يذهب بماء الوجه .

كان خالد بن صفوان يكره المزاح ، ويقول : يسعط أحدهم أخاه بأحرّ من
الخردل ويضحكه بأصلب من الجندل^(١) ، ويفرغ عليه أشد من غلي الرجل ،
ويقول : مازحته .

قال إبراهيم النخعي : لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر .

قال أبو هفان :

مَازِحٌ صَدِيقُكَ^(٢) مَا أَحَبَّ مُزَاحًا وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَزَاحِ جَهَاحًا^(٣)
فَلَرُبَّمَا مَزَحَ الصَّدِيقُ بِعِزَّةٍ كَانَتْ لِبَابِ^(٤) عَدَاوَةٍ مِفْتَاحًا^(٥)

وقال ابن وكيع :

لَا تَمَزَحَنَّ فَإِنَّ مَزَحْتَ فَلَا يَكُنْ مَزَحًا تُصَافُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ
وَاحْذَرِ مُمَازَحَةً تَعُودُ عَدَاوَةً إِنَّ الْمَزَاحَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْغَضَبِ^(٦)

ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري :

لِي صَاحِبُ لَيْسَ يَخْلُو لِسَانُهُ عَنِ جِرَاحِ

(١) سائط من ب . (٢) ١ : أخاك .

(٣) ١ : مزاحا . (٤) ١ : لبد .

(٥) نهاية الأرب ٧٤/٤ : فصل المقال ١٠٠ .

(٦) نسب البيتان في معجم الأدباء ٢٨٣/١٩ إلى هبة الله البغدادي

يجيد تمزيق عِرْضِي عَلَى سَبِيل المَزَاح^(١)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » .

قال ممر بن الخطاب رضى الله عنه : من كثر ضحكك استُخِفَّ به وذهب بهاؤه .

وقال غيره من الحكماء : إياك والمشي في غير أَرَب ، والضحك من غير سَبَب .

قال قتيبة بن مُسَام لبنيه : لا تآزحوا فَيُسْتَخَفَّ بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فَتَرِقَ أخلاقكم ، ولا تبخلوا فيزدريكم^(٢) أ كفاؤكم .

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن علي بن المعتصم :

الكِبَرُ ذُلٌّ والتَّوَاضُّعُ رِفْعَةٌ وَالْمَزْحُ وَالضَّحِكُ الْكَثِيرُ سُقُوطُ
وَالْحَرَصُ ذُلٌّ وَالْفَنَاءُ عِزَّةٌ وَالْيَأْسُ مِنْ صُنْعِ الْإِلَهِ قُنُوطُ

وقال آخر :

فِيَاكَ إِيَّاكَ الْمَزَاحُ فَإِنَّهُ يُجَرِّى عَلَيْكَ الطُّفْلَ وَالذَّنْسَ النَّذْلَ

(١) معاضرات الأدباء ١/ ١٣٧ .

(٢) ١ : فيزدري بكم .

(١) وَيَذْهَبُ مَاءُ الْوُجْهِ بِمَدِّ بَهَائِهِ وَيُورِثُهُ مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ ذُلًّا (١)

وقال آخر :

مَا أَقْبَحَ الْكَذِبَ الْمَذْمُومَ صَاحِبُهُ وَأَحْسَنَ الصِّدْقَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وقال آخر :

لِلْجِدِّ مَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ فَالْتَمِسْهُ لَا يَلْبِثُ الْهَزْلُ أَنْ يَجْنِيَ لِصَاحِبِهِ لَا خَيْرَ فِي الْهَزْلِ فَاتْرُكْهُ لِقَائِلِهِ بِالْجِدِّ حَظُّكَ لَا بِالْهَزْلِ وَاللَّعِبِ ذِمًّا ، وَيُذْهِبَ عَنْهُ بَهْجَةُ الْأَدَبِ وَاهْرُبْ بِعِرْضِكَ مِنْهُمْ أَوْشَكَ الْهَرَبِ

وقال محمود الوراق :

تَلَقَّى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِذْنَهُ فِي لَحْنٍ مِنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا هِيَاتَ نَارُكَ فِي الْحُشَا تَتَسَجَّرُ أَهْيَيْتَنَا وَطَفِقتَ تَضْحَكُ لَاهِيًا عَمَّا بِهِ وَفُؤَادُهُ يَتَفَطَّرُ أَوْ مَا عَلِمْتَ وَمِثْلُ جَهْلِكَ غَالِبٌ أَنْ الْمَزَاحُ هُوَ السَّبَابُ الْأَكْبَرُ (٢)

فهؤلاء كرهوا المزاح وذمموه ، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير ، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :

لَا تُكْثِرَنَّ مِنَ الْفُكَا هِيَ فِي حَدِيثِكَ وَالذُّعَابَةِ

(١) ساقط من ب ، ويروي البيهقي بروايات أخرى ، انظر حساسة البجترى ٤٠١ ، محاضرات الأدباء ١٣٦/١ ، المستطرف ٢٩٣/٢ ، نهاية الأرب ٧٤/٤ .

(٢) المعقد الفريد ٣٢/٦ .

وَدَعَ الْغَرِيبَ مِنَ الْكَلَا مِ لِأَهْلِهِ عِنْدَ الْخُطَابَةِ
وَإِذَا أَصَبْتَ فَكُلْ مَا أَغْفَلْتَهُ دُونَ الْإِصَابَةِ

وقد أكثر أهل الأدب في المزاح من النظم ، واختلق ابن وكيع أكثر ذلك ،
ورأيت الاختصار فيه على الاختصار أولى من الإكثار .

كان المأمونُ يعجبه قول القائل :

أخو الجِدِّ إِن لَأَقَاكَ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَذُو بَاطِلٍ إِن شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهُ (١)

ش (١) البيت في جماسة أبي تمام ٦١/٢ ، الكامل ٢٢٢/١ .

بَابُ مَدْحِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَذَمِّ الْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : « المؤمنُ إذا حَدَّثَ صَدَقَ ، وإذا وعد أنجز ، وإذا أُوْتِمِنَ وفى ، والمنافقُ إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أخلف ، وإذا أُوْتِمِنَ خان » .

وقال صَلَّى الله عليه وسلم : « لا تزالُ أُمَّتِي بخير ما اتَّخذوا الأمانةَ منما ، والصدقَ مَغْرَما » .

قالت عائشة رضى الله عنها ، قلت : يا رسول الله ! بم يعرف المؤمن ؟ قال : « بوقاره ولين كلامه ، وصدق حديثه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَدُّ الأمانةَ إلى من ائتمنك ، ولا تخنُ من خانك » .
وقال سعدُ : كُلُّ الخصال يُطبع عليها المؤمن ، إلا الخيانة والكذب .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : من كَانَتْ له عند الناسِ ثلاثٌ وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حَدَّثَهم صدقهم ، وإذا ائتمنوه لم يخُنْهم ، وإذا وَعَدَهم وَفَى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبُهم ، وتنطقَ بالثناء عليه ألسنتهم ، وتظهرَ له معوتهم .

قيل للقمان الحكيم : ألسنتَ عبدِ بنى فلان ؟ قال : بلى . قيل : فما بلغ بك

ما ترى ؟ قال : تقوى الله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنيني .

قال نافع : طاف ابن عمر سبعا ، وصلى ركعتين ، فقال له رجل من قريش : ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن وخرجت ! فقال ابن عمر : أتم أكثر منا طوافا وصياما ، ونحن خير منكم ، نحن نلتزم صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وإنجاز الوعد .

قال محمود الوراق :

اصْدُقْ حَدِيثَكَ إِنَّ فِي الصِّدْقِ الْخَلَاصَ مِنَ الدَّنَسِ
وَدَعْ الْكَذُوبَ لِشَأْنِهِ خَيْرٌ مِنَ الْكَذِبِ، الْخَرَسِ^(١)

وقال منصور الفقيه :

الصِّدْقُ أَوْلَى مَائِهِ دَانَ امْرُؤٌ فَاجَعَلَهُ دِينًا
وَدَعْ النِّفَاقَ فَمَا رَأَيْتُ مُنَافِقًا إِلَّا أَهْمِنَا

وله أيضا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا فَالشُّكْرُ أَيْسَرُ حَقَّةً
أَمْسَى الصَّدُوقُ^(٢) كَثِيرًا هَدَوْا مِنْ أَجْلِ صِدْقِهِ

(١) هذه الصفحة وما قبلها ساقطة من ب .

(٢) ب : الصديق .

وقال أبو العتاهية :

الحمد لله كلُّ ذُو مُكَاذِبَةٍ أُمْسَى التَّصَادُقُ لَا يُسْقَى بِهِ الْمَاءُ^(١)

قال الحسن البصري : لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه .

كان يقال : كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة .

قال الشاعر :

إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا اسْتَعَانَ بِخَائِنٍ كَانَ الْأَمِيرُ شَرِيكُهُ فِي الْمَأْثَمِ

قال الفريابي^(٢) : كنت عند الأوزاعي إذ جاءه رجل فقال : يا أبا عمرو ! هذا كتاب صديقك فلان من بلد كذا ، وهو يقرأ عليك السلام . فقال له : متى قدمت ؟ قال : أمس . قال : ضيعت أمانتك لاكثر الله في المسامين أمثالك .

قال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ سَحَلْتَ الْخُثُونَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدٍ^(٣)

(١) ديوانه ٩ .

(٢) ب : الفريابي ، وهو تحريف ، فهو أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريابي ، صاحب النووى والأوزاعى ، انظر مشقه النسبه للذهبي ٥١٤/٢ .

(٣) محاضرات الأدباء ١٤١/١ ، المستطرف ٢٧/١ .

وقال محمود الوراق :

تَصَنَّعَ كَيْ يُقَالَ لَهُ أَمِينٌ وما معني التَّصَنُّعِ لِلأَمَانَةِ^(١)
ولم يُرِدِ الإِلَهَ بِهِ وَلَكِنْ أَرَادَ بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الْخِيَانَةِ^(٢)

وقال آخر :

هو الذَّنْبُ أَوْ لِلذَّنْبِ أَوْفَى أَمَانَةٌ وما مِنْهُمَا إِلَّا أَذْلُ خُيُونٍ

استراح رجل إلى جليس له في السلطان ، فرفع ذلك عليه ، فلما أوقف السلطان ذلك القائل على قوله ، أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه ، فقال : بل فلان سمع ذلك منك ، فهل تَرْضَى به ؟ قال : نعم . فكشف الستر عن الرجل ، فقال : بلى . أنت قلت ذلك لى ، فسكت المرفوع عليه ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أنت امرؤٌ إِمَّا ائْتَمَنْتَكَ خَائِيًا نَحْنُ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِالْأَعْلَمِ
فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قُلْتَ يَبِينُنَا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ^(٣)

أنشدني على بن إسماعيل لنفسه :

لَا يُرَى إِلَّا لِلدُّنْيَا طَالِبًا فِيهَا دِيَانَةً

(١) ب : والأمانة .

(٢) محاضرات الأدباء ١٦٩/١ ، المقصد الفريد ٢٢٦/٢ ، وفيه . تصوف كى يقال ، وما يعنى التصوف الخ .

(٣) البيتان لعبد الله بن همام السلووى ، انظرهما والقصه فى حماسة أبى تمام ٩/٢ ، وانظر مجموعة المغانى ٧١ ، محاضرات الأدباء ١٩٠/١ .

وَإِذَا قِيلَ أَمِينٌ قَدْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ
وَقَعَ التَّخْصِيلُ مِنْهُ بَيْنَ غَدْرِ^(١) وَخِيَانَةٍ

وقال آخر :

لَا يَخُونُ الْأَمِينُ شَيْئًا وَلَكِنْ رُبَّمَا تَحْسَبُ الْخَوُونَ أَمِينًا
وقال آخر :

أَلَا رَبُّ مَنْ تَعَتَّدُهُ لَكَ نَاصِحًا وَمُؤْتَمِنًا بِالْغَيْبِ غَيْرُ أَمِينٍ^(٢)
وقال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ :

يَا لِلرُّجَالِ لِقُومٍ قَدْ بَلَّوْهُمْ أَرَى جِوَارَهُمْ إِحْدَى الْبَلِيَّاتِ
مَاذَا تَظُنُّ بِقُومٍ خَيْرُ كَسْبِهِمْ مُصْرَحُ الشُّعْثِ سَمُوهُ الْأَمَانَاتِ
وفي الحديث المرفوع : « الصدق يهدي إلى البرِّ ، والبرُّ يهدي إلى الجنة ،
والكذب يهدي إلى الفُجُور ، والفُجُور يهدي إلى النَّارِ » .

يقال : صَدَقَ وَبَرَّ ، وكَذَبَ وَفَجَرَ .

قال بعض الحكماء : مَنْ عُرِفَ بِالصَّدَقِ جَازَ كَذِبُهُ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ
يُجِزْ صَدَقُهُ .

(١) : عذر ،

(٢) نسب البيت في حماسة البحتري ٢٧٨ إلى عبد الله بن همام السلولي ، وابتطره في محاضرات الأدباء ،
٦١/١ ، وفيات الأعيان ١٩٦/٦ ، وفيه : أَلَا رَبُّ مَنْ تَفَتَّشَهُ لَكَ نَاصِحٌ وَمُؤْتَمِنٌ ... الخ

وقال فحمود الوراق :

إذا عُرِفَ الكَذَابُ بالكِذْبِ لم يكن لدى النَّاسِ ذَا صِدْقٍ وإن كان صادقاً
ومن آفةِ الكَذَابِ نسيانُ كِذْبِهِ وتلقاؤه ذا حِفْظٍ إذا كان حاذقاً

وقال آخر:

لا يكذبُ المرءُ إلَّا مِنْ مَهَاتَتِهِ أو عَادَةِ الشُّوءِ أو مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ^(١)
قال بعضهم : ما أُرَانِي أُوجِرُ فِي تركِ الكَذِبِ . قيل له : ولم ؟ قال : لَأَنِّي أدَّعَاهُ
اتِّقَاءً^(٢) .

قالوا : الصِّدْقُ عِزٌّ ، والكَذِبُ خِضْوَعٌ^(٣) .

قال الحسن : خرج عندنا رجل بالبصرة ، فقال : لَا كَذِبَن كَذِبَةً يَتَحَدَّثُ بِهَا
الوَلِيدُ ، قال الرجل : فإرجعت إلى منزلي حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت
الناس يتحدّثون بها .

وقال كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّةٍ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مَقَالَةُ الشُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْخَصِرٍ سَائِلٍ^(٤)

(١) التنبيل والمحاضرة ٤٤٨ ، المستطرب ١٠/٢ ، الخنار من شعر بشار ٢٢٨ ، من غير نسبة .

(٢) ١ : إتياء .

(٣) ١ : الصِّدْقُ عِزٌّ والكَذِبُ خِضْوَعٌ .

(٤) سبق البيتان في ص ٤٠١ وبالإضافة إلى المراجع المذكورة فيها ، انظرهما مع أبيات أخرى في لباب
الآداب ٣٦٠ ، البيان ٣٢٩/٢ ، وقد نسب بعض هذا الشعر في المنتخل ١٠٩ إلى الحكم بن قنبر .

قال لقمان لابنه : يا بني ! احذر الكذب فإنه شهي كلحم المصفور ، من أكل شيئاً منه لم يصبر عنه .

عوتب بعض الأعراب على الكذب ، فقال للذي عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه .

وقال الأصمعي : قيل لكذاب : ما يملك على الكذب ؟ فقال : أما إنك لو تفرغرت به مرة ما نسيت حلاوته .

قيل لكذاب : هل صدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق .
قال جميل العذري :

لما الله من لا ينفع الوُدُّ عنده ومن حبله إن مدَّ غير مستين
ومن هو ذو أوتنين ليس بدائم على خلقٍ خوان كل أمين^(١)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك» .

بابُ الحقِّ والباطل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحقُّ ثَقِيلٌ ، فمن قَصَرَ عنه عَجَزَ ، ومن جاوزَه ظَلَمَ ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى » . ويروى هذا لمجاشيع بن نهشل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبطل حق امرئ وإن قَدُمَ » .

وقال عليه السلام : « رحم الله عمرَ بن الخطَّاب ، تركه الحقُّ ليس له صديق » .

لما استخلف أبو بكر عمرَ ، قال لمُعَيْقِبُ الدَّوْسِيُّ ^(١) : ما يقول النَّاسُ في استخلافِ عمرَ ؟ قال : كَرِهَهُ قَوْمٌ ، ورضيه آخرون . قال : فالذين كرهوه أكثر أم الذين رَضَوْه ؟ قال : بل الذين كرهوه . قال : إن الحقَّ يبدو كريهاً وله تكونُ العاقبة ، والعاقبةُ للثَّقْوَى .

قالوا : من قصد إلى الحقَّ اتسعت له المذاهبُ حُجَّةً ، ومن تعداه ضاق به أمرُه ، وما هلك امرؤ عرف قدرَه .

قالوا : الحكمةُ تدعو إلى الحقِّ ، والجهلُ يدعو إلى السَّفَه ، كما أنَّ الحجةَ تدعو إلى المذهبِ الصَّحيح ، والشبهةُ تدعو إلى المذهبِ الفاسد .

(١) هو معيقب بن أبي فاطمة الدوسي الأزدي ، كان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال ، ومات في خلافة عثمان سنة ٤٠ هـ . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٥٤ ، الإصابة الترجمة ٨١٦٦ .

قال بعضُ الحكماء : من جَهِلَكَ بالحق والباطل ، أنْ تريد إقامة الباطل
بإبطال الحق .

قال أعرابيٌّ ، وقد ذُكِرَ عنده الإصلاحُ والإفساد ، فقال : لا تَمْنَعَنَّ كثيرًا
من حقٍّ ، ولا تمنعَنَّ قليلًا في باطل ، فما حُرِّكَ حقٌّ وباطلٌ إلا كان لهما شهود .

قال بعضُ الحكماء : لا يُمَدُّ الرجلُ عاقلًا ، حتى يَسْتَكْمَلَ ثلاثًا : إعطاء الحق
من نفسه في حال الرِّضا والنضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وألا ترى
له زلةً عند ضَجَرِهِ . وقد تقدَّم قولُ أبي العتاهية في باب الرجاء والخوف :

ومن ضاقَ عنه الحقُّ ضاقتْ مَذَاهِبُهُ^(١)

ولأبي العتاهية أيضًا :

الباطلُ الدَّهْرَ يُلْقَى لا ضِيَاءَ لَهُ والحقُّ أبلَجُ فيه النُّورُ يَأْتِلِقُ^(٢)

لها احتِضَرَ أبو بكر الصِّدِّيق ، أُرسل إلى عمرَ ، فقال . يا عمرُ ! إن وُلِّيت على
النَّاس فاتق الله ، والزم الحق ، فإنما تَمُتُّ موازينُ من ثقلت موازينُهم يوم القيامة
باتِّباعهم الحقَّ في الدنيا وثَقُلَ^(٣) عليهم ، وحقَّ لميزان إذا وُضع فيه الحقُّ غدًّا أن
يكون ثَمِيلًا ، وإنما خفتُ موازين من خفت يوم القيامة ، باتِّباعهم الباطل في الدنيا

(١) عجز بيت صدره : ومن لم يثق بالله لم يصف عيشه . ديوانه ١٠ .

(٢) ديوانه ١٧٢ .

(٣) ب : وثقلت .

وَحَقِّقْتَهُ عَلَيْهِمْ ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ وَضَعَ فِيهِ الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ . وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تَوْدَى الْفَرِيضَةُ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ : إِنِّي لَخَائِفٌ أَلَّا أَلْحَقَ بِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَهَا ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ ، قُلْتُ : إِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ ، لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي ، فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَتْيَكَ ، وَإِنْ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمُعْجِزِهِ .

كتب عمرُ بن الخطاب إلى معاوية : أَنْ الزَّمِ الْحَقَّ ، يَنْزِلُكَ الْحَقُّ فِي مَنَازِلِ أَهْلِ الْحَقِّ ، يَوْمَ لَا يُقْضَى إِلَّا بِالْحَقِّ .

أول كتاب كتبه عليُّ بن أبي طالب في خلافته : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ مَنَعُوا الْحَقَّ حَتَّى اشْتَرَوْا ، وَبَسَطُوا الْبَاطِلَ حَتَّى اقْتَدَى .

وقال عليُّ بن أبي طالب لرجل من الخوارج : وَاللَّهِ مَا عُرِفَتْ حَتَّى ظَهَرَ الْبَاطِلُ .
قال وَبَرَّةُ الْمَكِّيَّ : سَمِعْتُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَلَامَ لَهْيٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّهُمِ الْمَوْقِفَةِ ،
قَالَ : لَا تَسْكُمَنَّ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا ، فَرَبَّ مَتَكَلَّمٍ بِالْحَقِّ فِي غَيْرِ

موضعه قد عيب ، ولا تمارين سفيها ولا حليماً ، فإنَّ السَّفيه يؤذيك ، والحليم يقلبك ،
ولا تذكرن أخاك إذا غاب عنك إلا بمثل ما تُحب أن يذكر بك به إذا غبت عنه ،
واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزئ بالإحسان ، ومأخوذ بالإجرام ، فقال رجل
عنده : يا ابن عباس ! لهذه خير من عشرة آلاف . قال : كلمة منها خير من
عشرة آلاف .

قال ابن مسعود : من كان على الحق ، فهو جماعة وإن كان وحده .

قال غيره : الحق ثقيل ، وطُلابه قليل .

وقال غيره : الحق كثير ، والقائلون به يسير .

وقال غيره : الأحمق يَغضب من الحق ، والعاقل يَغضب من الباطل .

وكان يقال : من هلك في دولة الباطل ، أكثر ممن حي بالباطل ^(١) .

قال أنوشروان : إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط .

قال عبد الله بن مسعود : تكلموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا
من أهله .

قال أبو العتاهية :

وَلِلْحَقِّ بُرْهَانٌ وَلِلْمَوْتِ فِكْرَةٌ وَمُعْتَبِرٌ لِلْعَالَمِينَ قَدِيمٌ ^(٢)

(١) ب = الحق .

(٢) ديوانه ٢١٨ ،

قال مالك بن أنس : إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد في الأرض .

وقال : إن^(١) لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة .

قال سعد بن أبي وقاص لسلمان : أوصني . قال : أخلص الحق يخلصك . وأظن هذا من قول القائل : أعز الحق يذل لك الباطل .

كان يقال : من لم يعمل من الحق إلا بما وافق هواه ، ولم يترك من الباطل إلا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب ، ولم يفلت من إثم الباطل .

قال العتّابي :

وما كُلُّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِي وَلَا كُلُّ مَنْ أَمَّ الصُّوَى يَسْتَبِينُهَا
الصُّوَى : جمع صُوءَة ، وهي حجارة تجعل أعلاماً في الطريق .

قال رجل لخصمه : لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق^(٢)

وقال بعض الحكماء : النعمة نفور^(٣) ، ولعلما انتشعت تافرة فرجحت في نصائبها^(٤) ، فاستدغ شاردينا بالتوبة ، واستندم الراهن^(٥) منها بكرم الجوار ،

(١) ب : ابن .

(٢) الهلاج بالكسر : من البراذن السريع ، والقطوف : الدابة التي ضاق مشيها .

(٣) ب : نوار .

(٤) ب : بصائبها .

(٥) ب : الداهي .

واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، فقد أعرب لك الحق عن نفسه ، وصدقك عن أمره^(١) .

قال منصور الفقيه :

إِنَّ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَرْقًا لَا يُحِيلُ
وَعَلَى نَيْبَةِ ذِي الْقَوَّةِ لِمَنِ الْقَوْلُ دَلِيلُ
فَقُلْ الْحَقُّ وَإِنْ قِيلَ لَكَ الْحَقُّ ثَقِيلُ
فَاتَّقِ اللَّهَ إِذَا شُورْتَ وَانْظُرْ مَا تَقُولُ
لَا يَضُرُّكَ إِنْ قَالُوا مِنَ النَّاسِ جَهْلُ
إِنْ قَوْلَ الْمَرْءِ فِيمَا لَمْ يُسَلِّ عَنْهُ فُضُولُ

وقال الصَّلْتَانُ الْعَبْدِيُّ :

وَالْحَقُّ بَيْنَ النَّاسِ رَاضٍ وَجَازِعُ
وَلِلْذَنْبِ فِيهِ لِلرُّءُوسِ تَوَاسِعُ
وَلَيْسَ الذَّنَابِيُّ كَالْقُدَامَى وَرِيشُهُ
وَمَا تَسْتَوِي فِي الرِّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

روى عبد الملك بن عمير ، عن أبي سامة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لبيد :

(١) : ١ : وصدقك عن غيره .

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ^(١)

قالوا : أصدق بيت قالته العرب ، قول القائل :

وما حملت من ناقةٍ فوقَ ظَهْرِهَا أَبْرًا وَأَوْقَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ^(٢)

قال الحاتمي : أشعر بيت قالته العرب ، قول امرئ القيس^(٣) بن عانس
لا ابن حجر^(٤) .

اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرَّحْلِ^(٥)

وأنشد ثعلب :

وإنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أُنْشِدَتْهُ صَدَقًا^(٥)

قال جعفر بن محمد : ما ناصح الله عبده مسلم في نفسه فأخذ الحق لها ، وأعطى
الحق منها ، إلا أعطى خصلتان : رزق من الله يقنع به ، ورضى من الله عنه .

كان بعض الصالحين يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في
الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

(١) صدر بيت وعجزه : وكل نعيم لا محالة زائل . ديوانه ٤٣ .

(٢) المستطرف ١/ ٢٧٠ .

(٣) ساقط من اء وامرؤ القيس هذا ، شاعر مخضرم من أهل حضرموت ، أسلم عند ظهور الإسلام
ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، مات نحو سنة ٢٥ هـ . ترجمته في العيني ١/ ٣٠ - ٣٢ ، تاريخ الشعراء
الحضرميين ١/ ٤٤ . (الأعلام) ١/ ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٤) نهاية الأرب ٤/ ٣٠٣ من غير نسبة ونسب في المتنخل ١٦٩ لامرئ القيس بن حجر .

(٥) البيت لزهير ، ديوانه ١٢٦ .

قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

تَرَحَّلَ مَا لَيْسَ بِالْقَافِلِ وَأَعْقَبَ مَا لَيْسَ بِالْأَفِلِ
فَلَهَفِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ وَلَهَفِي مِنَ الْخَلَفِ النَّازِلِ
أُبْكِي عَلَى ذَا وَأُبْكِي لِدَا بَكَاءَ الْمُوَلَّهِةِ الشَّاكِلِ
تُبْكِي عَلَى ابْنِ لَهَا قَاطِعِ وَتُبْكِي عَلَى ابْنِ لَهَا وَاصِلِ
تَقَصَّصْتُ غَوَايَاتِ سُكْرِ الصَّبَا^(١) وَرَدَّ الثَّقَى عَنِّي^(٢) الْبَاطِلِ^(٣)

انتهى القسم الأول
(الجزءان الأول والثاني)
بتجزئة المؤلف

(١) ب : نقصت غايات شكر ، ١ : نقصت غايات .

(٢) ب : عنق .

(٣) الأبيات في : الوزراء والكتاب ٨١ ، البيان والتبيين ١/٢١٥ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٢ ، الشعر والشعراء ٨٤٤ ، وفيها جميعاً روايات مختلفة ، بطول إيرادها ، ولكن الجدير بالذكر أن هذه المراجع تورد قبل البيت الأخير بيتاً لا بأس بإيراده ، وهو :

فليست تقرر عن عبرة لها في الضم: وعن هامل

القسم الثاني

(الجزءان الثالث والرابع)

بتجـزئة المؤلف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

بابُ الْحَيَاءِ وَالْوَقَارِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ دِينٍ خُلُقٌ ، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » .

^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُ حَيٌّ كَرِيمٌ ، وَالْفَاجِرُ خَبِيثٌ لَئِيمٌ »^(٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيَّ الْحَلِيمَ الْمُتَعَقِّفَ ، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ »^(٤) السائل الملعوف .

قال سليمان عليه السلام : الْحَيَاءُ نِظَامُ الْإِيمَانِ ، فَإِذَا انْهَلَكَ النِّظَامُ ذَهَبَ مَا فِيهِ .

وفى التفسير : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾^(٥) . قالوا : الْحَيَاءُ .

وقالوا : الْوَقَارُ مِنَ اللَّهِ ، فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْوَقَارَ فَقَدْ وَسَّمَهُ بِسِمَاءِ الْخَيْرِ .

(١) بعد البسملة تردى امبارة : رب يسر ، وفى ج : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسام . وهذا على اعتبار أن الجزء الثالث يبدأ من هنا فى كلا المصحفين ، وورد الكلام فى م متصلاً .

(٢) ساقط من ا .

(٣) فى ا : السبيى .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٦ •

وقالوا : من تكلم بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .

قال الحسن : أربع من كنّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلق^(١) بواحدة منهن كان من صالحى قومه : دين يرشده ، وعقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .

قالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساء الأمصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن .

وقالت عائشة أيضاً : رأس مكارم الأخلاق الحياء .
قال الشاعر^(٢) :

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلا نهاني الحياء والكرم^(٣)
ولا إلى محرمٍ مددت يدي ولا مشيتُ بي لريبةٍ قدم^(٤)

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى^(٥) ، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » .

وقال حبيب بن أوس^(٦) :

إذا لم تخش عاقبة اللئالى ولم تستحي فاصنع ما تشاء

(١) في ج : تكلم .

(٢) البيتان في المستطرف ٣/٣٩٦ .

(٣) في ١ : وما دعاني الهوى لمصية .

(٤) في ١ : لذة . (٥) ساقطة من ١ ، م .

(٦) وردت الأبيات في ديوانه ٤٣٣ من قصيدة قالها في التعريض بأحد بني حميد ، ونسبت له أيضاً في لباب الآداب ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، العقد الفريد ٢/٤١٤ . على أن أبا تمام نفسه أوردتها في الحماسة ٢/٣٠ من غير نسبة وقد ورد الثاني منها منسوباً لجليل بن المعلى الفزارى أحد بني عميرة بن جؤبة في المؤلف ٧٢ .

فلا والله^(١) مافي العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيًا بخير ويبقى العودُ ما بقي اللحاء

وقال أبو دلف العجلي :

إذا لم تصن عِرضًا ولم تحش خالقًا ولم ترع مخلوقًا فما شئتَ فاصنع^(٢)

وقال صالح بن جَنَاح :

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه

وقال آخر :

إذا رُزِقَ الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الأمور كما يشاء

ورب دنيّةٍ ما حال بيني وبين ركوبها إلاّ الحياء^(٣)

وقال الحَزِينُ بن عبد الله اللَّيْثِي^(٤) ، وتنسب إلى الفرزدق :

يُنْفِى حياءً وَيُنْفِى من مهابته فلا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ

وقال آخر :

كريمٌ يَنْفِى الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ ويدنو وأطرافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي

(١) في الحماسة : فلا وأبيك .

(٢) يأتي هذا البيت في ج بعد البيت التالي ، وفي ١ : تسمى خلقا بئس ترع . مخلوقا .

(٣) ورد البيتان في العقد الفريد ٤١٤/٢ ، محاضرات الأدباء ١٣٨/١ من غير نسبة .

(٤) في الأصول : الحر بن عبيد الله ، وانظر التحقيق في هامش ص ١٠ د .

وكالسيف إن لا ينته لان مشه وحده إن خاشته خشنان^(١)

وقالت ليلي الأخيلية :

وَخَرَّقَ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالَهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً^(٢)

وقال أمية بن أبي الصلت في ابن جُدعان التيمي^(٣) :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمَ فِدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِن شَيْعَتِكَ الْحَيَاءُ

كَرِيمٌ لَا يَنْيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْفَعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الشَّاءُ^(٤)

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : من كساه الحياء ثوبه^(٥) ، خفي عن^(٦)

الناس عيبه .

(١) وردت الشعرة الأولى في ١ : يضم عن المعشاة فضل ثيابه . وفي ٢ : فهو لين بدل لان منته ، وقد ورد البيتان في أكثر كتب الأدب من غير نسبة ، انظر المراجع التي ذكرتها عند ورود البيتين في ص ١٢٥ ، ولم أجد من نسبهما إلا الثعالبي ، حيث ذكر أنهما لأبن الشيمس الأعرابي في خاص الخاص ٨٩ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ٣/٢٧٨ وفيه : ومقنر بدل مخرق ، وانظره في الشعر والشعراء ٤٢٠ ، أمالي القالي ١/٢٤٨ ، حسانة أبي تمام ٢/٢٦٣ .

(٣) هو عبد الله بن جُدعان التيمي الفرشي ، أحمد الأجواد المشهورين في الجاهلية ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، انظر الأغاني (دار الكتب) ٤/٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ ، (الأعلام ٤/٢٠٤) .

(٤) الأبيات في ديوان أمية ١٧ ، وفي ١ : أأطلب بدل أأذكر ، وما أنبتناه موافق لرواية الديوان .

(٥) ساقطة من ١ ، م .

(٦) ساقطة من ١ .

أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن الأعرابي،
حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين^(١)، قال ابن كُنَاسة^(٢):

فِي انْقِبَاضٍ وَحَشْمَةٍ فَإِذَا لَاقَيْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقَلْتُ مَا قَلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ^(٣)

(١) في ١ : حدثنا العباس بن يحيى بن معين .

(٢) هو محمد بن عبد الله اللقب (بكناسة) بن عبد الأعلى المازني الأسدي ، من أهل الكوفة ، أحد شعراء الدولة العباسية المجيدين ، وكان يجنب في شعره المدح والهجاء . توفي سنة ٢٠٧ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٥٨/٩ ، الأغاني ٣٣٧/١٣ (دار الكتب) ، (الأعلام ٩٢/٧) .

(٣) ورد البيتان في البيان والتبيين ٢٨٥/٣ ، وفي خلية بدل أرسلت ، ولباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٧١/٥ ، وفي معجم الأدباء ١٤٣/١ تردد في نسبتها بين ابن كناسة وبين أبي نواس ، وقد وردا فعلا في مقدمة الديوان فقط ، والأشهر أنهما لا بن كناسة .

باب حُسْنُ الْخُلُقِ وَمُسَوِّئِهِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » .

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين وضعت رجلي في الغرز^(١) — أن قال : « حَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقُهُ حَسَنٌ » .

^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُسْنُ الْخُلُقِ يُمِينُ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شَوْمٌ » .^(٣)

قال كعب الأحمار : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل ، الصائم بالتهار ، الغلامي بالهواجر .

وفي الخبر المرفوع أيضًا : « من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقائه سوء خلقه » .

مكتوب في الحكمة ، الرفيق^(٤) خير قائد ، وحسن الخلق خير رفيق^(٥) ، والوحدة خير من جليس السوء ،^(٥) والجلوس الصالح خير من الوحدة^(٥) .

(١) الغرز : ركاب الدابة والمعروف أن معاذًا أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن «لما ویر شداء» وكان هذا آخر ما أوصاه به النبي قبل انطلاقه لأداء مهمته .

(٢) ساقط من أ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) ساقط من أ .

(٥) ساقط من أ .

(٢) ساقط من أ .

(٤) أ : الرين .

كَانَ يُقَالُ : مِنْ سَاءِ خَلْقِهِ قُلُّ صَدِيقِهِ .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : « يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ! إِنْكُمْ لَنْ تَسْعَوْا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ حَسَنُ الْخَلْقِ ، وَالْقَوْمُ ^(١) بَطَلَاةُ الْوَجْهِ وَحَسَنُ الْبَشْرِ » .

قال أبو الدرداء : إِنْ لَسْتُ كَثِيرُ فِي وَجْهِ أَقْوَامٍ ، وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنُهُمْ ^(٢) .
 روى في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ^(٣) ، قالوا : وَخَلْقَكَ فَمَحْسَنٌ .

قال سفيان بن عيينة : مِنْ حُسْنِ خَلْقِهِ سَاءَ خَلْقِ خَادِمِهِ .
 كَانَ يُقَالُ : حَسَنُ الْخَلْقِ ^(٤) يَكْسِبُ حَسَنَ الذِّكْرِ .

قال أبو العتاهية :

عَامِلُ النَّاسِ بِوَجْهِ طَلِيقٍ وَالْقَى مِنْ تَلْقَى بِبَشِيرٍ رَفِيقٍ
 فَإِذَا أَنْتَ جَمِيلُ الشَّائِلِ وَإِذَا أَنْتَ كَثِيرُ الصَّدِيقِ ^(٥)

(١) ١ : وَلِقَاؤُهُمْ .

(٢) في ١ ، ٢ : لَتَلْعَنُهُمْ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ مَعَ مَقْهُومِ الْخَيْرِ ، إِذْ مَعْنَى الْمَكَاشَرَةِ الضَّحْكُ فِي الْوَجْهِ وَإِظْهَارُ السُّرُورِ ، مَعَ إِظْهَانِ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَمَا أَتَيْتَاهُ مَوَافِقَ مَا وَرَدَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٢٧/٣ .

(٣) سُورَةُ الْمَدَنَةِ آيَةُ ٤ .

(٤) ١ : الْبَشْرِ .

(٥) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ ١٧١ ، وَفِيهِ وَرَدَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ :

عَامِلُ النَّاسِ بِرَأْيِ رَفِيقٍ وَالْقَى مِنْ تَلْقَى بِوَجْهِ طَلِيقٍ

وقال محمد بن حازم :

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق^(١)

وقال آخر :

خالق الناس بخلق حسن لا تكن كلباً على الناس يراً

وقال^(٢) آخر — هو^(٣) المنيرة بن حبناء :

وما حسن أن يمدح المرء نفسه ولكن أخلاقاً تدم وتمدح

وقال ابن وكيع^(٣) :

لاق بالبشر من لقيت من النأ س وعاشر بأحسن الإنصاف
لا تخالف وإن أتوا بخلاف تستدم ودّهم بترك الخلاف
وإذا خفت فرط غيظك فانهض مسرعاً عنهم إلى الإنصراف
إنما الناس إن تأملت دالا ماله غير أن تدأويه شافي

وقال آخر :

قد يمكت الناس دهرأ ليس يدهم ودّ فيزرعه التسليم والأطف

(١) البيت في عيون الأخبار ١/٣٦ .

(٢) ساقط من > .

(٣) هو الحسن بن علي الضبي التنيسي ، المعروف بابن وكيع ، شاعر مجيد ، أصله من بغداد ، ومولده ووفاته بتيس بصر ، انظر وفيات الأعيان ١/١٣٧ ، بتمية الدهر ١/٢٨١ (الأعلام ٢/٢١٨) ، وانظر الأبيات في اليتيمة ١/٢٨٢ .

وقال العتّابيّ يذم رجلا :

فكم نعمة آتاكها الله جزلةً	ممرأة ^(١) من كل خلقٍ يُدِيْمُها
فسلطت أخلاقاً عليها ذميمةً	تعاوَزَتْها حتى تفرّى أديْمُها
وكنت امرءاً الوشتت أن تبلغ المدي	بلغت بأدنى نعمةٍ تستديْمُها
ولكن فِطامُ النفس أثقلُ محملاً	من الصخرة الصماء حين ترومها ^(٢)

(١) : منزلة .

(٢) : أي : أعسر بدل أثقل ، وانظر بعض هذا الشعر في الحيوان ٦٢/٣ .

بابُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالسُّؤْدَدِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . و يروى « محاسن الأخلاق » .

أخذه أبو العتاهية فقال

ليس دُنْيَا بغيرِ دينٍ وليس الدُّ
يُنْ إِلَّا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
إِنَّمَا الْمَكْرُ وَالْخُدَيْعَةُ فِي النَّا
سِ هُمَا مِنْ فُرُوعِ أَهْلِ النِّفَاقِ^(١)

ولإبراهيم بن المهدي :

لاخيرَ في الدُّنْيَا بلا دينٍ ولا
فِي الْمَالِ إِلَّا مِنْهُ فِيمَا يُبْذَلُ
فَأَصِيبُ وَأُتْلَفُ وَاسْتَفِدَّ وَأُفْدَوْعِشُ
فِيمَا اشْتَهَتْ تَمَايَحِلُ وَيُجْمَلُ^(٢)

وقال آخر :

وما المرءُ إِلَّا حيثُ يجعلُ نفسه
ففي صَالِحِ الْأَخْلَاقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ^(٣)

^(٤) وقال آخر :

تَزِينُ الْفَتَى أَخْلَاقَهُ وَتَشْبِيهُهُ
وَتُذَكِّرُ أَفْعَالُ الْفَتَى حَيْثُ لَا يَدْرِي^(٥)

(١) لم أعثر على البيتين في ديوانه .

(٢) البيتان في أشعار أولاد الخلفاء ٣٦ ، وفي ١ : فأصبر بدل فأصب ، وبما بدل بما .

(٣) البيت في معاضرات الأدباء ١/١٤٤ ، المقدم للريد ٢/٢٩٣ من غير نسبة ، ونسب في البيان ٣/٢٠٣

لمنقر بن هروة النخعي .

(٤) البيت ساقط من ١ . وهو لأبي البلاد الطهوي كما في البيان والتبيين ٣/٨٣ .

خطب ثلاثة إخوة من العرب^(١) إلى عمّهم ثلاث بناتٍ له ، فقال : مرحباً بكم ،
 لا أذم^(٢) عهدكم ، ولا أستطيع ردّكم ، خبروني عن مكارم الأخلاق . فقال الأكبر :
 الصّون للعرض ، والجزاء بالقرض . وقال الأوسط : النهوض بالثقل ، والاختد
 بالفضل . وقال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجاز للوعد . قال : أحسنتم في الجواب ،
 ووفقتم إلى الصواب .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب ممالي الأخلاق وأشرفها^(٣) ، ويكره
 سفّسافها »

قال الحسن : مكارم الأخلاق للمؤمن : قوة في لين ، وحزم في دين ، وإيمان في
 يقين ، وحرص على العلم ، واقتصاد في النفقة^(٤) ، وبذل في السّعة ، وقناعة في الفاقة ،
 ورحمة للجهود ، وإعطاء في حق ، وبرّ في استقامة .

قالت عائشة رضي الله عنها : خلال المكارم عشر ، تكون في الرّجل
 ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيّده ،
 يقسّمها الله لمن أحبّ : صدق الحديث ، ومداراة الناس ، وصلة الرحم ، وحفظ

(١) - من الاخوة .

(٢) - دام .

(٣) - ساقطة من ج .

(٤) - الفقير .

الأمانة، والتذمُّم^(١) للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقري الضيف،
والوفاء بالعهد، ورأسهنَّ كلهنَّ الحياء.

قيل لبُزرجهر: أى شئ أنت به أسرّ؟ قال: قدرتى على مكافأة من
أحسن إلى^(٢).

قال مصقلة بن هبيرة الشيباني: سمعتُ صَعْصَعَةَ بنَ صُوحَانَ، وقد سأله
ابن عباس ما السؤدد فيكم؟ قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النوال،
وكفُّ المرء نفسه عن السؤال، والتودّد للصغير والكبير، وأن^(٣) يكون الناس
عندك في الحق شرعاً^(٤).

سئل عبد الله بن عمر عن السؤدد، فقال: الحلم والجود.

كان يقال: خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر، واكتسب فيه الأجر، وارتهن
فيه الشكر، واسترق فيه الحر.

قال الأحنف بن قيس يوماً لقومه: إنما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم،

(٧) التذمُّم للجار هو أن يحفظ ذممه، أو يطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه.

(٢) فى داءش ا وردت العبارة الآتية: «وفى عمل آخر غير هذا الكتاب بعد قوله أحسن إلى: وغفوى
عند قدرتى على من أساء إلى». .

(٣) ج: وقد.

(٤) شرعاً: سواء.

ولكنى أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالي ، وأقضى حقوقكم ، وأحفظ حرمتكم^(١) ، فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ، ومن زاد على فهو خير منى ، ومن زدت عليه فأنا خير منه . قيل له : يا أبا محمد ! ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال : أحضهم على مكارم الأخلاق .

(٢) وقال عبد الله بن عمر : نحن معشر قريش نعدُّ الحلم والجود السؤدد ، ونعدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة .

قال أسد بن عبد الله لرجل من بنى شيبان : إن السؤدد فيكم لرخيص . فقال له : أمّا نحن فما نسود إلا فتى يوطئنا رَحْلَه ، ويفرشنا عِرْضَه ، ويبذل لنا ماله . قال : أشهد أن السؤدد فيكم لغالٍ .

قيل لبعض العرب : من السيد فيكم ؟ قال : الأحق في ماله ، الدليل في عرضه ، المطرح لحقده ، المعنى بأمر عامته .

ورويت هذه القصة للأحنف ، أنه سئل : من أسود الناس فيكم ؟ فقال : الآخرق في ماله ثم ذكر مثله .

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ست

(١) ج : حريمكم .

(٢) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ١ .

خصال وتعامها في الإسلام سابعة : السَّخَاءُ والنَّجْدَةُ ، والصَّبْرُ والعِلْمُ ، والبيان والحسب . وفي الإسلام زيادة العفاف .

ذُكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمرُ وعثمان وعليٌّ ومعاوية . فقال : كان معاوية أَسْوَدَ منهم ، وَكَانُوا خَيْرًا منه .

روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ رَزَقَهُ اللهُ مَا لَا فَبِذَلْ مَعْرُوفُهُ وَكَفَّ أَذَاهُ ، فَذَلِكَ السَّيِّدُ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصَارِ يوماً : « مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ » فقالوا : الْجُدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى بُحْلِ فِيهِ . فقال عليه السَّلَامُ : « أَيُّ دَاءٍ أَذْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ ؟ » بَلْ سَيِّدُكُمْ الْجُدُّ الْأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ » . فقال شاعرهم في ذلك :

وقال رسولُ اللهِ والحقُّ قَوْلُهُ لمن قال منا من تُسَمِّنُ سَيِّدَا

فقالوا له الجدُّ بن قيسَ عَليَّ التِّي نبخله فيها وإن كان أسودا

فَتَيَّ مَا تَخْطِي خُطْوَةً لَدُنِّيَّةٍ ولا مدَّ في يومٍ إلى سَوِيَّةٍ يَدَا

فسودَّ عمرُ بن الجُمُوحِ بِجُودِهِ وَحَقَّ لَعَمْرُوبِ أَنْ يَسُودَا^(١)

قال بكر بن وائل : ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس ، كان يحلم عن جاهلنا ويعطى سائلنا .

(١) انظر هذا الخبر والأبيات في ترجمة عمرو بن الجموح في الإصابة ، التسم الرابع الترجمة ٥٧٩٢ ، وقد زاد بعد هذه الأبيات بيتا هو :

فلو كنت يا جد بن قيس علي التي على مثلها عمرو لسكنت المسودا

كان سالم بن نوفل سيد بني كنانة في زمانه ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه
فجرحهما ، فأتى به سالم ، فقال له : « أمتك^(١) من انتقامي ؟ قال : فلم
سوء ذلك إذا ؟ إلا لتكظم الفيظ وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه . وفي سالم
هذا يقول الشاعر :

نَسُودُ أَقْوَامًا وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بل السَّيِّدُ الْمَعْلُومُ سَلَمُ بْنُ نَوْفَلٍ^(٢)
أَنشَدَ ابْنُ عَائِشَةَ^(٣) :

لَا يَبْلُغُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يَذَلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ
وَيُشْتَمُّوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُسْفِرَةً لَا عَفْوَ ذَلٌّ وَلَكِنْ عَفْوَ أَحْلَامٍ
وَإِنْ دَعَا الْجَارُ لَبَّوْا عِنْدَ دَعْوَتِهِ فِي النَّائِبَاتِ بِإِسْرَاجٍ وَإِلْجَامٍ^(٤)
مُسْتَلَمِينَ ، لَمْ عِنْدَ الْوَعْيِ زَجَلٌ كَأَنَّ أَسْيَافَهُمْ أَغْرَيْنَ بِالْهَامِ^(٥)

قال الأصمعي : كان يقال : لا يجتمع عشرة إلا وفيهم مقاتل أو أكثر ، ويجتمع
ألف ليس فيهم حلیم .

(١) في الأصل : ما أمرك .

(٢) ورد البيت في العقد الفرید ٢/٢٨٨ ، وفيه : يسود أقوام ، والصنديد بدل المعلوم .

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص النيمي ، المعروف بابن عائشة ، شاعر متأدب من أهل
البصرة ، اشتهر بهجاء الناعشي أحمد بن أبي دؤاد ، وكان قد قصده في بغداد فمدحه فلم يمره التفاتاً فهجاه ، توفي
٢٢٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٣٥٩ (الأعلام ٤/٨٨) .

(٤) ساقط من أ .

(٥) الاستلزام : التدرج ، والزجل : الجلبة والضوضاء ، والهام : الرؤس . وانظر البيت الأول في العقد
الفرید ٢/٢٧٩ ، وفيه : لن يدرك بدل لا ياتر ، وقد وردت كلها في أمالي القائل ٣/٤١ ، عيون الأخبار
٣/٢٨٢ .

كان يقال : ثلاثة لا يتتصفون^(١) من ثلاثة حلیم من سفيه ، وبر من فاجر ،
وشريف من دنيء .

قال الأحنف بن قيس : ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال ؛
إن كان فوقی عرفت له قدره ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي
تفضلت عليه . أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سَأَلْزِمَ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ عَلَى الْجَرَائِمِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلِي مُقَاوِمٌ^(٢)
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفْ فَضْلَهُ وَأَلْزَمُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صَنَنْتَ عَنْ مَقَالَتِهِ نَفْسِي وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا تَفَضَّلْتُ إِنْ الْفَضْلَ لِلْحُرِّ حَاكِمٌ^(٣)

وقال آخر :

لَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كُلُّمَا تَذَكَّرْنِيهِ النَّفْسُ قَلْبِي يُصَدِّعُ
فَأُبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بِشَاشَةٍ كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرَ أَنَّنِي أَرَى أَنْ تَرَكَ الشَّرَّ لِلشَّرِّ أَقْطَعُ

(١) في ١ : يستتصفون .

(٢) مقاوم : مساو لي في القيمة .

(٣) الأبيات بدون نسبة في العقد الفريد ٢/٢٨٣ ، مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

قال الحسن البصري : ما سمعت الله عزَّ وجلَّ نَحَلَ عِبَادَهُ شَيْئًا أَقْلَ من الحَلَمِ ،
فَقَالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾^(١) ، وقال : ﴿ فَبَشِّرْناهُ بِعَلَامٍ
حَلِيمٍ ﴾^(٢) .

قال العتّابي :

إِذَا سَرَّني دَهْرِي قَبِلْتُ وَإِنْ أَبَى أَيْتُ عَلَيْهِ أَنْ أُضِيقَ لَهُ صَدْرًا
فَكُمُ مِنْ مُسِيءٍ قَدْ لَقِيتُ وَمَحْسَنِ فَأَوْسَعْتُ ذَا حِلْمًا وَأَوْسَعْتُ ذَا شُكْرًا^(٣)

قال عليُّ بن أبي طالب رضى الله : إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ انْغَمَّ ،
فَزَدَهُ إِعْرَاضًا .

^(٤) كان يقال : بِحَسَنِ السَّيْرِ يُقَهَّرُ^(٥) المَنَاوِي ، وبالحَلَمِ عَنِ السَّفِيهِ يَكْثُرُ^(٦)
^(٦) أَنْصَارُكَ عَلَيْهِ^(٧) .

قال الشاعر :

^(٨) سَكَتُ عَنِ السَّفِيهِ فُظُنُّ أَتَى عَمِيْتُ وَمَا عَمِيْتُ عَنِ الْجَوَابِ^(٩)
مَتَارَكُهُ السَّفِيهِ بِلَا جَوَابٍ أَشَدُّ عَلَى السَّفِيهِ مِنَ الْعَذَابِ

(١) سورة هود ، الآية ٧٥ .

(٢) سورة الصافات ، الآية ١٠١ .

(٣) البيتان في زهر الآداب ١١٢/٣ .

(٤) ساقط من ج .

(٥) ساقط من أ .

ولا شيء أحبُّ إلى سفيهٍ إذا وقع الكريمُ^(١) من السُّبَابِ

سبَّ الشعبيُّ رجلًا، فقال له : إن كنتَ كاذبًا يَغْفِرُ اللهُ لك ، وإن كنتَ صادقًا
يَغْفِرُ اللهُ لي .

قال الشعبيُّ : الغضبُ غولُ العلمِ^(٢) .

قال خالدُ بن صفوان : شهدتُ عمرو بن عبيد ورجلًا يشتمه ، فقال : آجرك الله
على ما ذكرتَ من^(٣) صوابٍ ، وغفر لك على ما ذكرتَ من^(٣) خطأ ، قال : فما
حسدتُ أحدًا حسديَّ عمرو بن عبيد على هاتين الكلمتين .

مرَّ الشعبيُّ بقومٍ ينتقصونه ، فأنشد :

هنيئًا مريئًا غير داءٍ مُخَاوِرٍ لعزةٍ من أعراسِنَا ما استَحَلَّتِ^(٤)

قال النابغة الجعديُّ :

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تسكنْ لهُ بوادر تحمِي صفوةً أن يُسَكَّدَ رَا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له حلِيمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أُصْدَرَ^(٥)

(١) في ح : الكلام .

(٢) في أ : غول الحليم .

(٣) ساقط من ح .

(٤) البيت لكثير عزة ، ديوانه ٥٧/١ .

(٥) البيهقي في الشعر والشعراء ١٥٩ ، معجم الشعر ٣٢١ ، عيون الأخبار ١/٢٣٩ ، ٢٨٥ ، نهاية الأرب

٢/٧١٠ و ١ : أرب بدل حلِيم .

وقال آخر :

وفي الحلم والإسلام للمرء وازعج وفي ترك أهواء الفؤاد المتيم
بصائر يُرشدن الفتي مستبينة وأخلاق صدق علمها بالتعلم^(١)

قيل للحصين بن المنذر : بم سُدَّتْ قومك ؟ قال : بحسبٍ لا يُطمع فيه ، ورأى
لا يُستغنى عنه .

وذكر الشؤدّد عند معاوية بن أبي سفيان ، فقال : إنّه لينتقل في الحى كما ينتقل
الظل^(٢) .

قال إياس بن قتادة :

وإن من السّادات من لو أطعته دحاك إلى نارٍ يفورُ سَعِيرُها^(٣)

قال : كان سفيان بن عيينة يتمثل :

خلت الديارُ فسدتُ غيرَ مسودٍ ومن الشّقاء تفرّدى بالشؤدّد^(٤)

(١) البيان لكثير ، ديوانه ٢١٨/١ ، وفيه : بصائر رشد طاهر ومشبه ، واضربهما أيضاً البيان والتبيين ٢٠٥/١ ، وفيه : طاعات بدل أهواء ، وعيون الأخبار ٦/٢ وفيها : بصائر رشد لفتى .

(٢) يريد أن من يتمتع بأخلاق السيادة تنتقل شهرته في الحى كما ينتقل الظل .

(٣) البيت في البيان ١٩٥/٣ ، ٢٧٦ ، الحيوان ٨٠/٣ .

(٤) نسب البيت في البيان ١٩٦/٣ ، ٢٧٦ . والحيوان ٨٠/٣ لحارثة بن بدر ، وفي هامش الخامسة ٣٤٠/١ قال إنه لرجل من خضم ثم قال : ذكر ياقوت أنه عمرو بن النعمان البياضى يرى سادات قومه ، وكانوا قد دخلوا حديقة فاختلفوا قتل بعضهم بعضاً ، وقد تمثّل به سفيان بن عيينة حينما انفرد ومات نظراؤه من العلماء (انظر أيضاً في هذا هامش البيان ٢٧٦/٣) ، وقد ورد البيت بدون نسبة في وفيات الأعيان ٣٥٧/٣ ، عيون الأخبار ٢٦٨/٢ ، المقدم الفريد ٢٩٠/٢ .

قال : قال عمرُ بن عبد العزيز لرجل : من سيِّدُ قومك ؟ قال : أنا . قال : لو
كنته لم تَقُلْه .

قال الشاعر :

وإنَّ بقومٍ سوَّدوكَ لفاقةً إلى سيِّدٍ لو يظفرون بسيِّد^(١)
قيل للمهلب : ما السُّودد ؟ قال : أن يركب الرجلُ في منزله وحده ، ويرجع إلى
منزله في جماعة .

قيل لبعض العرب : ما علامة السيِّد فيكم ؟ قال : هو الذي إذا أُقبلَ هبناه ،
وإذا أدبرَ عبَّناه ، ويُروى اغتبناه .

قال عبيد بن الأبرص :

إذا أنتَ لم تعملْ برأيٍ ولم تُطِيعْ ، أُولَى الرَّأْيِ لم تركنْ إلى أمرٍ مُرْشِدِ
ولم تجتنبْ ذمَّ العشيِّرةِ كلّها ، وتدفعُ عنها باللسانِ وباليدِ
وتحلُمُ عن جَهَّالها وتَحُوطها ، وتقمعُ عنها نخوةَ المتهمِّدِ
فلستَ ولو عللتَ نفسك بالَمْنَى ، بذِي سُوْدَدٍ بادٍ ولا قرب سُوْدَدٍ^(٢)

(١) نسب البيت لأبي نخيلة السعدي في البيان ٣/١٩٥ ، ٢٧٦ ، والجوآن ٣/٨٠ ، وورد من غير نسبة في
حماسة البعترى ٣٣٥ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ وفيها : حاجة ببل لفاقة .
(٢) الأبيات في الشعر والشعراء ١٩٦ ، جهرة أشعار العرب ٨٧ .

قال أنس بن مدرك^(١) :

عزمتُ على إفاضة ذِي صَلَاحٍ لِأَمْرِ مَا يُسَوِّدُ مِنْ بَسُودٍ^(٢)

وقال أبو الحسن الموسوي^(٣) :

ما السَّوْدَدُ المَكْسُوبُ إِلَّا دُونَ مَا يُؤَيِّ إِلَيْهِ السَّوْدَدُ المُولُودُ
فَإِذَا هُمَا اتَّفَقَا تَكَسَّرَتِ القَنَا إِنْ غَوَلِبَا وَتَضَعُضَعَ الجَلْمُودُ^(٤)

كان يقال : خصلتان لا يسود صاحبهما : الاستطالة في الأفرباء ، والبطر في الأغنياء .

قال المرار بن سعيد^(٥) :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ قَبِيلَةً فَبِالحِلْمِ سُدْ لَا بِالسَّفَاهَةِ وَالشَّتَمِ^(٦)

وقال بعض أهل العلم : لا تُسَوِّدُ إِلَّا بِالْبَحْتِ وَالْجَدِّ وَالسَّعْدِ ، وذلك أنا قد

(١) أنس بن مدرك ، وسماه البغدادي في الخزانة ٣/٣١٦ (ابن مدركة) ، شاعر من المعمرين ، كان سيد خثعم في الجاهلية وفارسها ، وأدرك الإسلام وأسلم ، ثم أقام بالكوفة حتى نشب الخلاف بين علي ومعاوية ، فأنحاز إلى علي ، وقتل في إحدى المارك سنة ٣٥ ، انظر الإصابة ١/٧٣ . (الأعلام ٦/٣١٦) .

(٢) البيت في البيان ٣/١٩٥ ، والحيوان ٣/٨١ ، وفيهما ذى صباح .

(٣) هو محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي) تقيب العلويين ، وأشعر الطالبيين ، مات سنة ٤٠٦ هـ ، انظر ترجماته الواقية في تاريخ بغداد ٢/٢٤٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤٤١ ، بقيمة الدهر ٣/١٣٦ .

(٤) البيتان في ديوانه ١/٢٤٢ ، بقيمة الدهر ٣/١٣٧ ، التنبيل والمحاضرة ١٢٠ ، نهاية الأرب ٣/١٠٧ ، مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

(٥) المرار بن سعيد بن حبيب النعماني ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كثير الشعر جيدة . انظر في ترجمته معجم الشعراء ٤٠٨ ، الشعر والنثر ١- ٦٨٠ - ٦٨٣ (الأعلام ٨/٨٣) .

(٦) البيت في الشعر والشعراء ٦٨٢ ، حماسة أبي تمام ١/٤٧٤ وفيها بالنسرع بدل بالسفاهة .

رأيناهم يقولون : الأفعالُ المحمودة والأخلاقُ الجميلةُ توجبُ السُّوددَ والرياسةُ ،
والأفعالُ المذمومة والأخلاقُ الدنيئةُ تمنعُ من السُّوددِ ، ثم رأينا فوماً سادوا بأخلاق
لا تُحمد ، وبأفعال لا تُرضى ، فمن ذلك : أن الحمقَ يمنعُ من السُّوددِ ، وقد سادَ عُمَيَّنةُ
ابن حِصْنٍ^(١) ، وكان محمقاً ، وساد أبو سفيان وكان بخيلاً ، والبخلُ يمنعُ من
السُّوددِ ، وساد عامرُ بن الطفيل^(٢) ، وكان عاهراً ، ولا سؤددَ مع العُهرِ ، وساد
أبو جهلٍ وما طرَّ شاربه ، ودخل دار الذنوة وما استوت لحيته ، والحدائثُ
تمنعُ من السُّوددِ ، وساد شَيْبَلُ بْنُ مَعْبِدِ الْبَجَلِيِّ^(٣) ، وما بالبصرةَ بِجَلِيٍّ غيره ،
وهم يقولون : لا سؤددٌ إلّا بالعدد ، ولما قال قومٌ للأحنف : لولا أنا
سودناك ما سُدَّتْ . قال فن سؤد شَيْبَلُ بْنُ مَعْبِدِ الْبَجَلِيِّ ، وليس بالبصرة
بِجَلِيَّان .

(١) ابن بدر الفزارى ، له صحبة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الأحقق المطاع ، وقد ارتد عيينة عن الإسلام في عهد أبي بكر ، ثم مال إلى طاعة ، ورجع إلى الإسلام على يديه ، عاش حتى خلافة عثمان . انظر الإصابة ٥/٥٥ ، الترجمة ٦١٤٦ .

(٢) العامري ، من بني عامر بن صعصعة ، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعراهم ، أدرك الإسلام ووجد على النبي صلى الله عليه وسلم مضجراً قتله ولكنه لم يستطع ، ولما عرض الرسول عليه الإسلام اشترط عامر لذلك أن يجعل النبي له الأمر من بعده ، ويطيعه نصف ثمار المدينة ، رفض النبي ذلك ، فذهب عامر مهدداً متوصداً ، ثم مات قبل أن يصل إلى علة قومه . انظر الإصابة الترجمة ٦٥٥٠ ، والراجع الأخرى في هامش الأعلام ٢٠/٤ .

(٣) شبل بن معبد بن عبيد بن المارث البجلي ، من التابعين ، وهو أخو أبي بكره الثقفي لأمه ، من الدين اشتركوا في الفتوح الإسلامية في عهد عمر ، وقد تقم على أبي موسى الأشعري بض نصر فاته فغزاه عثمان على يده . انظر : تهذيب التهذيب ٣٠٥/٤ .

وساد عتبة بن ربيعة^(١) وكان فقيراً إلى أن مات ، حتى قيل : إنه لم يشبع قط ، ولم يفضل عن قوت أهله قوتُ ضيفٍ واحد ، وهم يتولون إنَّ الفقر يمنع من السؤدد . هذا كله يدلُّك على أنَّ السؤدد بالبحث

وقال غيره : أسباب السؤدد سبعة : العقل والعلم والصيانة وأداء الأمانة والحِذْق والحلم والسخاء .

أبو سلمى :

لا بدَّ للسؤددِ من أرمَاحٍ ومن سفيدٍ دائمِ النَّبَاحِ

ومن عديدٍ يَتَّقِي بالراح^(٢)

أى لا يتقى بالدعاء .

وقال غِيْلَان بن سَمَامَةَ التَّقَفِي :

لا بدَّ للسؤددِ من عديد^(٣)

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، كان موصوفاً بالرأى والحلم والفضل ، أدرك الإسلام ولسكنه طفئ وشهد مع المشركين بدرًا فقتل . انظر نسب قريش ١٥٢ (الأعلام ٣٥٩/٤) .

(٢) انظرها في البيان ١٩٠/٣ ، ٢٧٥ ، الحيوان ٣٥١/١ ، وقد وردت في العقد ٢٨٠/٢ برواية أخرى م .

لا بد للسؤدد من رماح ومن رجال مصلي السلاح
يدافعون دونه بالراح ومن سفيد دائم النباح

(٣) انظر القطرة في البيان والحيوان في نفس الصفحات التي وردت في الهامش السابق ولم أعثر على بكلمة البيت ، ولا التعريف بالشاعر فيما بين يدي من مراجع .

قال النابغة الذبياني :

تعدُّو الذئابُ على من لا كلابَ له وتتقي صَوْلَةَ المستنفرِ الحامي^(١)

قال الحسنُ بن سهل يوماً : الشَّرَفُ في الشَّرَفِ ، فقيل له : لا خيرَ في الشرفِ ،
فقال : لا سَرَفَ في الخيرِ ، فردَّ اللَّفْظَةَ واستوفى المعنى .

قال إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي : عجبتُ لمن لا يكتبُ العلمَ كيف
تدعوه نفسه إلى مكرُمة .

ابن بشار :

وإذا جَزَيْتَ أَخَا يَدَنْ بِ كَانِ مِنْهُ لَمْ تَسُدْهُ
ولَقَلَّمَا طَلَبَ الْفَتَى لِأَخِيهِ عِيَا لَمْ يَجِدْهُ^(٢)

الهذلي :

وإنَّ سيادةَ الأقوامِ فاعْلَمْ لها صَعْدَاءُ مَطْلِبُهَا طَوِيلُ^(٣)

(١) وردت الشعرة الثانية من البيت بروايات مختلفة :

وتحتسى مريض المستأسد الحامي حماسة البعثرى ٢٦٤

وتتقى صولة المستأسد الضاري الحيوان ٨٧/٢

وتتقى مريض المستنفر الحامي عيون الأخبار ١٠٩/٤

وقد نسب البيت للناطقة في المراجع السابقة كما هنا ، ونسبه الرزباني في المعجم ٣٧٨ إلى الزبرقان بن بدر .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٢٦٦/١ .

(٣) البيت للأعصم الهذلي كما في ديوان الهذليين ٨٧/٢ ، وانظره في البيان ١٩٥/١ ، ٢٧٠ ، والحيوان ٩٥/٢ وفيه : وإن سياسة ، وفي نسخة - : عسير بدل طويل . والصنعاء : المرتفعة يقال : أكمة صعداء أي يشتد صعودها على الراكب .

لما توفي عبد الله بن طاهر^(١)، صَلَّى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه، وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقبةً من غلمانته، وفعل ذلك إخوته، ودفع كل نَجْلٍ منهم إلى كلِّ غلام خمس مائة درهم، وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً ذكرًا، فقال أبو العَمَيْثَل^(٢) الشاعر اصعب بن عبد الله وكان^(٣) يختص بطاهر ويناديه: ألا أدلك على شيء تفعله فتتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر؟ قال: بلى. فأنشده هذه الأبيات وقال: اكتب بها إلى الأمير، وهي:

يا من يحاول أن تكونَ خلأه كخلالِ عبد الله أنصتِ واستمع^(٤)
فلاقصِدَنَّك بالنصيحةِ والذي حجَّ الحجيجِ إليه فاقبلِ أو دعي^(٥)
إن كنتَ تطمَعُ أن تحلَّ محلَّه في المجد والشرفِ الأشمِ الأرفعِ
فاصدُقِ وعِفِّ وبرِّ وارفقِ واتَّعِدْ واحلمْ ودارِ وكافِ واصبرِ واشجعِ
والطفِّ ولنَّ وتأنَّ وانصُرْ واحتملْ واحزمْ وجِدِّ وحامِ واحملْ وادفعِ
هذا الطريقُ إلى المكارمِ مهَيَّعًا فاسمُك فقد أبصرتِ قصْدَ المهيجِ^(٦)

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي بالولاء، من أشهر الولاة في العصر العباسي كان سيداً نبيلاً على الهمة شهيراً، ولاه المأمون خراسان فضم إليها كثيراً من بلاد المشرق، توفي سنة ٢٣٠ هـ. انظر في ترجمته وفيات الأعيان ١/٢٦٠، تاريخ بغداد ٩/٨٣؛ (الأعلام ٤/٢٢٦، ٢٧).

(٢) أبو العمَيْثَل: عبد الله بن خليل بن سعد، مؤدب من الشعراء الفضلاء، كان مولى لبني العباس وانصل بطاهر بن الحسين فعهد إليه بتأديب ولده عبد الله فأقام معه في خراسان ثم كان كاتبه وشاعره إلى أن توفي سنة ٢٤٤ هـ. انظر وفيات الأعيان ١/٢٦٢ (الأعلام ٤/٢١٦).

(٣) أي أبو العمَيْثَل.

(٤) في الوفيات: صفاته كصفات عبد الله الح.

(٥) في الوفيات: فلا تصحكنك بالمشورة.. فاستمع أو دعي.

(٦) في ١: مقتعاً بدل مهيجاً، والمهيج: البين، وقد وردت هذه الأبيات ماعداً الثالث في وفيات الأعيان ٢/٢٧٥، ٢٧٦، النخبة ١/٣٢٠، ورواية البيت الأخير فيها:

فأفقد نصحتك إن قبلت نصيحتي وهديت للنهج الأسد المهيج

فاستحسن طاهرُ الأبيات ، وقال : والله لقد أفدتني ، ما يجبُ به شكرُك ،
فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين ، وأكسبه ألف ألف درهم .

وقال آخر :

إذا هلكَتْ أَسَدُ العَرِينِ ولم يكنْ لها خَلْفٌ في الفِيلِ ساد الثعالبُ
كذا القمرُ السَّارِى إذا غاب لم يكنْ له خَلْفٌ في الجوى إلا الكواكبُ
قال بعض الحكماء : من ابتغى المكارم فليجتنب المحارم .

باب حمد العلم وذم السفه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجج عبدان قيس^(١) : « يا أشجج^(٢) عبدان قيس^(٣) »
أو يا منذر ! فيك خصلتان يرضاها الله ورسوله : الحلم والأناة » ، فقال :
يا رسول الله ! أشيء جبنى الله عليه أم شيء اخترعته من قبل^(٤) نفسي ؟ .
فقال : « بل شيء جبلك الله عليه » . فقال : الحمد لله الذي جبنى على خلق^(٥) يرضاه
الله ورسوله

قال الشعبي : زين العلم حلم أهله .

قال رجاء بن أبي سلمة : الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تسمي به .

قال معاوية : إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أرجح من حلمي .

وقال معاوية لعمر بن العاص : من أبلغ الناس ؟ قال : من ترك الفضول ، واقتصر

على الإيجاز . قال : فمن أصبر الناس ؟ قال : من بذل دنياه في صلاح دينه قال : فمن

أشجع الناس ؟ قال : من ردّ جهله بحلمه .

(١) اسمه المنذر بن ساوى بن الأخنس المدي من عبد القيس أو من بني عبد الله بن دارم من تميم ،
كان صاحب البحرين قبل الإسلام ، ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إليه رسالة يدعوها فيها إلى الإسلام
فأسلم فأقره على عمله ، وثمة خلاف في أمر وفوده على النبي ، انظره في الإصابة الترجمة ٨٢١٢ .

(٢) ساقطة من أ ، م .

(٣) في ح ، م : على شيء .

قال محمد بن أبي شحاذ^(١) :

إذا الحلم لم يناب لك الجهل لم تزل عليك بروق جمة ورواعد

سئل الأحنف عن الحلم ، فقال : هو الذل والصبر .

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه ، قال : إني لأجد ما تجدون ، ولكنني صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلم^(٢) أنصر^(٣) لي من الرجال^(٤) .

قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قُدرة .

وقد رويناه هذا الكلام لمن هو أسن من عمر وأكبر .

وقال بلعاء بن قيس :

أثبتت لنفسى الخسف لما رضوا به وأوليتهم سمى وما كنت مُفحماً

وقال شريع : الحلم كنز موقر ، والحليم مطية الجهول .

(١) في الأصول محمد بن صحر ، وفي : بزيادة العبدى ، وقد وجدت البيت منسوبا في حاشية أبي تمام ٤٦/٢ لمحمد بن أبي شحاذ الضبي ، وسماه في معجم الشعراء ٤١٣ حميد بن أبي شحاذ ، ولقد جهدت في البحث عن محمد بن صحر العبدى هذا فلم أجد إلا صحر بن عياش العبدى وهو خطيب مشهور كان في أول العصر الأموي ، ويبدو أنه قد حدث تعرف من ناسخى اللسختين أ ، م في اسم شحاذ حوله إلى صحر ثم زاد ناسخ النسخة ح العبدى ، وقد أثبت الاسم كما في الحاشية .

(٢) في ١ . الصبر .

(٣) ساقط من ح .

قالوا : بالعقل استُخرج غورُ الحكمة ، وبالعلم استُخرج غورُ العقل .

قال أبو العتاهية :

فياربَّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْمًا فَإِنِّي أَرَى الْحِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ حَلِيمٌ
وياربَّ هَبْ لِي مِنْكَ عِزًّا عَلَى التَّقَى أَقِيمْ بِهِ مَا عَشْتُ حَيْثُ أَقِيمُ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ نَسَبَةٍ تَسَاحَى بِهَا عِنْدَ الْفَخَارِ كَرِيمٌ^(١)

قال الجُرَيْمِيُّ :

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةٌ وَفِي بَعْضِهَا عِزٌّ يُسَوِّدُ فَاْعِلَّهُ

قال عُمَارَةُ^(٢) بْنِ عَقِيلٍ^(٣) :

إِذَا أَغْضَبْتَ ذَا كَرَمٍ تَخَطَّى إِلَيْكَ بِيَعُضِ أَخْلَاقِ اللَّئِيمِ
وَإِنَّ اللَّهَ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ يَقْدِرُ الْحِلْمُ مُنْتَصَفُ الْحَلِيمِ^(٤)

وقال آخر :

بَنِي هِلَالٍ أَلَا تَنْهَوْنَ أَسْفِيَهُكُمْ إِنَّ السَّفِيَةَ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورٌ^(٥)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٤١ ، ٢٤٢ ، على خلاف في الترتيب .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) نسب البنتان في عبون الأخبار ٢٨٥/٣ إلى عماره كما هنا ، وقد وردا للبحر في ديوانه ٢٦٦/٢ ، نهاية الأرب ٩٣/٣ ، وفيهما : متى أخرجت .

(٤) البيت في البيان ٢٦١/٣ من غير نسبة ، وفيه : بني هدى بدل بني هلال .

وقال حسان بن ثابت :

رب حلم أضاعه عدمُ الما ل وجهٍ غطى عليه النعيم^(١)

وقال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل^(٢)

وقال صالح بن جَنَاح ، ويروى لغيره :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوخ
وما كنت أَرْضِي الجهلَ خِذْناً ولا أخاً^(٣) ولكنني أَرْضِي به حين أخرجُ
فإن قال بعضُ الناس في سماجةٍ فقد صدقوا والذلُّ بالحرِّ أَسْمَجُ^(٤)

وقال أبو يعقوب الخريجي :

وإنك تلقى صاحبَ الجهلِ نادماً عليه ولا يَأْسَى على العلمِ صاحبه

وقال حبيب الطائي :

إذا جَارَيْتَ فِي خَلْقٍ دَنِيًّا^(٥) فَأَنْتَ وَمَنْ تَجَارِيهِ سَوَاءٌ

(١) ديوانه ٨٩ .

(٢) نسب البيت في عيون الأخبار ٢٣١/٣ إلى كعب بن زهير ، والصحيح أنه لأوس ، انظر ديوانه ٢٠ .
ورواية العيون : إذا أنت لم تقصر .

(٣) في ١ : وصاحباً .

(٤) نسبت هذه الأبيات في عيون الأخبار ٢٨٩/٣ إلى محمد بن وهيب ، ونسبت في معجم الشعراء ٤٢٩
إلى محمد بن حازم الباهل ، ووردت بدون نسبة في العقد الفريد ١٤/٣ ، مخاضرات الأدباء ١١٧/١ :

(٥) في ١ : دني .

إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ ولىَّ بدا لهم من الناسِ الجفاءُ^(١)

ولآخر :

أباحسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى وللحلمِ أحيانا من الجهلِ أقبحُ
إذا كان حلمُ المرءِ عونُ عدوِّه عليه فإنَّ الجهلَ أعنى وأروحُ
وفي العفوِ ضعفٌ والعقوبةِ قوةٌ إذا كنتَ تخشى كيدَ من عنه تصفحُ

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهانُ أحدٌ علينا فنجهلُ فوقَ جهلِ الجاهلينا^(٢)

قال آخر :

إذا نُهيَ السفيةُ جرى إليه وخالفَ والسفيةُ إلى خلافِ

كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه بسفيه^(٣) ، ف قيل له في ذلك ، فقال : إن جاءنا سفيه ردّ عنا سفيه ؛ لأننا لا ندرى ما تقابل به السفهاء .

وقال ابن المعتز :

ولكلِّ عقلٍ غفوةٌ أو سهوةٌ والحرُّ محتاجٌ إلى التنبيهِ

(١) ديوانه ٤٣٣ .

(٢) البيت في الجهرة ٨٢ ، نهاية الأرب ٣ / ٦٤ .

(٣) في ١ : سفيه .

والعاقِلُ النَّحْرِيرُ عِجَاجٌ إِلَى أَنْ يَسْتَعِينَ بِجَاهِلٍ مَمْتُوهِ^(١)

وقال آخر :

وَلَرَبَّمَا اعْتَضَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ لَا خَيْرَ فِي الْيَمْنِيِّ بَغِيرِ يَسَارِ

وقال آخر :

وَلَيْسَ الْحَلِيمُ الَّذِي كُلُّ سَاعَةٍ بِهِ غَضَبٌ فِي أَنْفِهِ بِتَوَقُّدٍ
إِذَا آمِنَ^(٢) الْجَهَّالُ جَهْلَكَ لَمْ تَزَلْ عَلَيْكَ بَوَادِي جَهْلِهِمْ تَتَوَرَّدُ
وَإِنْ عِقَابُ^(٣) الْجَاهِلِينَ لَنَذَاهِبٍ بِحِلْمِكَ فَانْظُرْ أَيُّهَا تَيْنِ تَعْمِدُ

كان يقال : ليس الحليم من قَذَفَ فَنَكَّظَمَ ، وَلَكِنْ مِنْ صُدِمَ فَصَبِرَ .

قال البحتري :

أَرَى الْحِلْمَ بُؤْسًا فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ^(٤)

وقال آخر :

قُلْ مَا بَدَّلَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حَلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَاءَ

وقال آخر :

وَلَا خَيْرَ فِي عِرْضِ امْرِئٍ لَا يَصُونُهُ وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمِ امْرِئٍ ذَلَّ جَانِبُهُ

(١) في ١ : سهوة أو غفلة ، وانظرهما في ديوانه ٢٥٤ .

(٢) ١ : أمر . (٣) = : عفاف

(٤) البيت في الديوان ١٦٤ .

(٥) البيت في عيون الأخبار ٢٢٩/٣ .

وقال مروان بن الحكم :

إِذَا أَمِنَ الْجَهْلُ جَهْلَكَ مَرَّةً فَعَرَضَكَ لِلْجَهْلِ غُنْمٌ مِنَ الْغُنْمِ
وَإِنْ أَنْتَ بَأَذَيْتَ السَّفِيهَ إِذَا بَدَأَ^(١) فَأَنْتَ سَفِيهٌ مِثْلُهُ غَيْرَ ذِي حِلْمٍ
فَلَا تَقْرَضْنِ عَرْضَ السَّفِيهِ وَدَارَهُ بِحِلْمٍ فَإِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ فَبِالصَّرْمِ
وَمَنْ عَاتَبَ الْجَهْلَ لَمْ يَشْفِ غِيظُهُ وَلَكِنَّهُ يَزْدَادُ سُقْمًا إِلَى سُقْمِ^(٢)
فَدَعِ عَنْكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ عِتَابَهُ فَإِنَّكَ إِنْ عَاتَبْتَهُ صَارَ كَالْخَصَمِ
وَعَمٌّ عَلَيْهِ الْحِلْمُ وَالْجَهْلُ وَالْقَهْ بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْعِدَاوَةِ وَالسَّلَامِ
فَيَرْجُوكَ أحيانًا وَيَخْشَاكَ تَارَةً وَيَأْخُذُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِالْحَزَمِ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ بُدَاً مِنَ الْجَهْلِ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِالْجَهْلِ فَذَلِكَ مِنَ الْعَزَمِ

وقال أبو دَهَبٍ الْجُمَحِيُّ^(٣) :

وَكَانُوا أَنْاسًا كُنْتُ آمِنٌ غِيْبَهُمْ فَلَمْ يَنْهَهُمْ حِلْمٌ وَلَمْ يَتَحَرَّجُوا^(٤)

(١) في ١ : وإن أنت جارت السفيه بجعله .

(٢) في ١ : عاقب بدل عاتب ، وعلى بدل للى .

(٣) في ١ : أبو دعل ، وفي ٢ : ابن ذيبا ، والصحيح ما أثبتناه كما في م ، وأبو دعل هو : وهب ابن زمعة بن أسد القرشي ، من أشرف جمع بن لؤي بن غالب ، أحد شعراء العشق المشهورين ، وله مدائح في معاوية وابن الزبير . انظر المؤتاف ١١٧ ، الشعر والشعراء ٢٣ (الأعلام ١٤٩/٩) .

(٤) انظر البيت في عيون الأخبار ٧٢/٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ .

قال منصورُ الفقيه :

إِذَا رِشْوَةٌ مِنْ بَابٍ قَوْمٍ تَقَعَّصَتْ لَتَدْخُلَ فِيهِ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ
سَمَتْ هَرَبًا مِنْهُ وَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حَلِيمٌ تَنْجَى عَنْ جَوَابِ سَفِيهِ^(١)

وقال آخر :

الْعَفْوُ عِنْدَ لَيْبِ الْقَوْمِ مَكْرُمَةٌ وَبَعْضُهُ لِسَفِيهِ الرَّأْيِ تَدْرِيبٌ^(٢)

(١) ق ح : عن جوار .

(٢) البيت في الميوان ١٦/١ ، وفيه موعظة بدل مكرمة .

بابُ مدح الجود والكرم ، وذم البخل واللاؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والشح ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أَمَرَهُم بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا ، وَأَمَرَهُم بِالْبَخْلِ فَبَخَلُوا ، وبالفجورِ فَفَجَّرُوا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا ثلاثُ صلَحَ النَّاسُ : شحٌّ مطاعٌ ، وهوى متَّبَعٌ ، وإعجابُ المرءِ بنفسه » .

قال الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي خُطْبَةٍ خُطِبَهَا بِالبَصْرَةِ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ يَوْمًا بِعِمَامَتِي مِنْ وَرَائِي فَقَالَ : « يَا زُبَيْرُ ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ ^(١) ، وَلَا تُؤْكَلْ ^(٢) فَيُؤْكَلْ عَلَيْكَ . أَوْسِعْ يُوسَّعْ عَلَيْكَ ، وَلَا تُضَيِّقْ فَيُضَيِّقْ عَلَيْكَ . وَاعْلَمْ يَا زُبَيْرُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْإِنْفَاقَ وَلَا يُحِبُّ الْإِقْتَارَ ، وَيُحِبُّ السَّامِحَةَ وَلَوْ عَلَى فُلْقِ تَمْرَةٍ ، وَيُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ ^(٣) حِيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ ، وَاعْلَمْ يَا زُبَيْرُ أَنَّ اللَّهَ كُنُوزُ ^(٤) أَمْوَالِ سِوَى الْأَرْزَاقِ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَ الْعِبَادِ ،

(١) ساقطة من أ .

(٢) تؤكَلْ : تبخل .

(٣) ساقطة من أ .

(٤) في ج : فضول .

محتبسة عنده لا يعطى أحداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله ، فاسألوا الله
من فضله » .

قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه : البخل جلاباب المسكنة ، وربما دخل
السحى بسخائه الجنة .

قال : ومن البخل تركُّ حقٍّ قد وجب لخوف^١ شيء لم يقع .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أقيلوا الكرام عثراتهم »
ويروى . « أقيلوا ذوى الهبات زلاتهم » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « المؤمن كريم ، والفاجر لثيم » .

قال جعفر بن محمد : قال الله عزَّ وجل : أنا جواد كريم ، لا يجاورني في
جنتي لثيم .

قيل للأحنف : ما الجود ؟ قال : بذل القرى^(٢) ، وكف الأذى . قيل : فما
البخل ؟ قال : طلبُ اليسر ومنعُ الحقير . وقد روى هذا من كلام أكثم بن صيفي
والله أعلم .

سئل الخليل بن أحمد عن الجود ، فقال : بذلُ الموجود .

(١) في : ترك شيء قد وجب خوف .. الخ .

(٢) في ١ : الندى .

قال بعض الحكماء : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

قال أحمد بن أبي دؤاد : من نال دنيا فلم يرفع وليًا ، ولا وضع عدوًّا فليس بكريم .

قال شعيب بن حرب : ليس السخي من أخذ المال من غير حله فبذره ، وإنما السخي من عرض عليه ذلك المال فتركه ، أو جمع من حق ووضعه في حق^(١) .

كان زياد بن أبيه يقول : من منع ماله سبيل الحمد أورثه من لا يحمده .

قال إبراهيم بن أبي عبلة^(٢) : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، تقول : أف للبخل ! والله لو كان طريقًا ما سلكته ، ولو كان^(٣) ثوبًا طريقًا^(٤) ما لبسته .

قال معاوية بن أبي سفيان لأبي مسلم الخولاني^(٥) : إنكم معشر العباد فيكم النكاح والحدة والسماح . قال : أما النكاح فإننا لا نعدل عن أهلينا ، وأما الحدة

(١) يأتي هذا الخبر في إبعاد الحديث الأول مباشرة .

(٢) ساقط من أ .

(٣) إبراهيم بن (أبي عبلة) شمر بن يقطان بن عبد الله المرتحل الرملي وقيل الدمشقي ، من رجال الحديث الثقات ، ونقل ابن حجر عن ابن عبد البر في التهذيب أن ابن أبي عبلة كان ثقة فاضلا ، له أدب ومعرفة ، وكان يقول الشعر الحسن . توفي إبراهيم سنة ١٥٢ هـ ، تهذيب التهذيب ١/١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) هو عبد الله بن ثوب الخولاني ، أبو مسام ، تابعي فقيه زاهد عابد ، أسلم قبل وفاة الرسول ولم يره ، وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة ، توفي بدمشق سنة ٦٢ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥ .

فإن قلوبنا ملئت غيرةً فلا موضع فيها للشر ، وأما الشَّاحُ فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى .

قال سفيان بن عيينة : ما استقصى كريمٌ قط ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ (١) .

قال أسماؤ بن خارجة (٢) : لو لم يَدْخُلْ على البخلاء في بُخْلِهِمْ إِلَّا سَوْءَ ظَنِّهِمْ بِهِمْ في الخَلْفِ لكان ذلك عظيماً .

قال زهير :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَخْلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَتَنَ عَنْهُ وَيَذَمُّ (٣)

وقال محمد بن يسير :

كم مانع نفسه لذاتها حذراً للفقير ليس له من ماله ذُخْرُ
إن كان إمساكه للفقير يحذره فقد تعجل فقرًا قبل يفتقر

وقال آخر :

ما أعلم الناس أن الجودَ مدفَعَةٌ للبخل لكنه يأتي على النَّشَبِ

(١) سورة النجم ، الآية ٣ .

(٢) ابن حصن بن حذيفة الفراري ، تابعي من رجال الطليعة الأولى في الحديث ، من أهل الكوفة ، وكان سيد قومه مقدما عند الحلقاء ، مات سنة ٦٦ هـ . انظر تاريخ الإسلام ٣٧٢/١ ، النجوم الزاهرة ١٧٩/١ (الأعلام ٢٩٩/١) .

(٣) شرح ديوان زهير ٣٠ .

وقال ابن مطير الأسدي (١) :

وما الجودُ عن فقرِ الرجال ولا النفي ولكنه خِيمُ الرجال وخيرُها (٢)
وقال آخر :

إني امرؤٌ أجزي الكريمِ بوَدِّهِ وأصدُّ عن وصل اللئيمِ وأقطعُ
وقال منصور الفقيه :

جهلوا القياسَ لِلطِّفهِ فتوهموا أن البخیلَ وكلبُهُ مثلاًنِ
والكلبُ يحفظُ أهله ويقيمُهم ويكفُّ طارقَهُم عن المدوانِ
والنذلُ يُوحشُ أهله ويُجيعُهم ويحضُّ ناصرَهُم على الخذلانِ
فها ومن جعل الكلاب أعزة والباخلين أذلةً ضِدَّانِ (٣)

قال أردشير : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع ، واعلموا أن
الكرام أصبرُّ نفوساً ، واللاثام أصبرُّ أجساماً .

قال الشاعر :

إنَّ ذا اللُّومِ إذا أكرمتَهُ حسب الإكرام حقاً لزِمَكَ

(١) ساقطة من ١ ، وابن مطير هو الحسين بن مطير الأسدي ، مولاهم ، شاعر متقدم في الفصيح والريز ،
وند على معن بن زائدة حين ولي اليمن فُدِّعَ ثم رثاه حين مات ، توفي ابن مطير سنة ١٦٩ هـ . انظر معجم الأدباء
٩٧/٤ ، فوات الوفيات ٤٤/١ ، (الأعلام ٤٨٥/٢) .

(٢) الحميم : الطبيعة والسجية .

(٣) في ج : والباخلان أذلة صنوان .

وأخا الفضل إذا أكرمته لم يُصغرك ولكن عظمك

قال أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(١)

وقال آخر :

أراك تؤمل حسن انثنا ء ولم يرزق الله ذاك البخیلاً

وقال آخر :

تريدين أن أرضى وأنت بخيلة ومن ذا الذي يرضى الأخلاء بالبخل^(٢)

وقال آخر :

ندبثكم^(٣) لنفعي أن قدرتم فلم أرفيكم حراً كريماً
ومالي عندهم ذنب أراه سوى أنى عرفتكم قديماً

وقال زيد بن عمرو النخعي :

لقد كذب المعاشير حين قالوا علي والمخارق سيّدان
هما حجران من جبل^(٤) صلود إذا قيل أرشعا لا يرشعان

(١) ديوانه ٣٦١ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ١٠٩/٢ من غير نسبة .

(٣) في : ندبثكم .

(٤) في ١ : من حجر .

فلولا البخلُ إن البخلَ عارٌ أبا عمرو إذا أعجباني
وقال ابن أبي فتن^(١) :

وإن أحقَّ الناس باللومِ شاعرٌ يلوُمُ على البخلِ الرجالَ ويبخلُ
قال الخطيئة^(٢) :

سُئلت فلم تبخلْ ولم تُعطِ طائلاً فسيانَ لاذمُ عليك ولا حمدُ
وقال منصور الفقيه :

زادُ البخلِ إذا مضى لسبيله ذمُّ العدا وقطيعُ الوراثِ
وأخو السباح حفظه من أهله ومن الغريب مدايحٌ ومراثِ
ولمنصور الفقيه أيضاً :

أما رغيـف بنى السـليـة لـ فـن حـامـاتِ الحـرمِ
ما إن يُحسُّ ولا يُمسُّ (م) ولا يُدَّاقُ ولا يُشَمِّ
فإذا نزلتَ بـدارهم فانزلْ بِشِدْقِ مُلْتَمِّمِ
حتى تعيشَ مُسَلِّماً يا من يعيشُ بغيرِ فَمِ

(١) هو أحمد بن صالح (أبو فتن) ، شاعر مجوه تقي اللفظ ، أكثر من مدح الفتح بن خافان ، انظر في ترجمته تاريخ بغداد ٢/٤ ، زهر الآداب ٦٢/٤ ، وانظر البيت في العقد ٤٦/٢ .

(٢) لم أعر على البيت في ديوانه ، وانظره في محاضرات الأدباء ١٤٨/١ بدون نسبة .

ولنصور الفقيه أيضاً :

إذا تَغَدَّوْا رُبَطُوا قَطَّهْمُ بَخْلًا بِمَا تَطْرَحُهُ الْمَائِدَةُ
ما عرضت قَطُّ لَهُمْ تَحْمَةُ ولا تَشْكُرُوا مَعِدَةً فَاسِدَةً^(١)

قال الحسن بن هانئ^(٢) :

وباخلٍ جِئْتُهُ فَقَدِمَ لِي كِسْرَةً خَبِزَ وَعَيْنُهُ غَبْرَى
فقال ما تشتهي فقلت له قطعة جُبْنٍ وكسرة أُخْرَى

وله أيضاً^(٣) :

على خَبِزِ إِسْمَاعِيلَ واقِيَهُ الْبُخْلُ فقد حلَّ في دار الأمانِ من الأكلِ
وما خَبِزُهُ إِلَّا كَأَوَى يُرَى ابْنُهُ^(٤) ولم يُرَ آوَى في الخَزُونِ ولا السَّهْلِ
وما خَبِزُهُ إِلَّا كَعَنْقَاءٍ مُغْرِبٍ^(٥) تُصَوَّرُ في بُسْطِ الملوكِ وفي الثَّمَلِ
يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ من غير أن يروا^(٦) سوى صُورَةٍ ما إن تَمِرُّ ولا تَحِلِّي

(١) في ح : المعدة الفاسدة .

(٢) ديوانه ١٧١ .

(٣) الأبيات قالها في حياء إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ، أنظر ديوانه ١٧١ ، وانظر هامش الحيوان ١٢٩/٣ ، ١٣٠ .

(٤) يطلق على الثعلب : ابن آوى ، ولكن آوى نفسه لا وجود له .

(٥) عنقاء مغرب طائر معروف الاسم لا الجسم .

(٦) في ديوانه : من غير رؤية .

وما خبزه إلا كليب بن وائل
 وإذ هو لا يستتب خصمان عنده
 ليالى يحمى (١) عزه منبت البقل
 ولا الصوت مرفوع يجذ ولاهزل
 فإن خبر إسماعيل حل به الذى
 أصاب كليباً لم يكن ذاك عن بذل
 ولكن قضاؤه ليس يُستطاع دفعه (٢)
 بحيلة ذى ذهن ولا فكر ذى عقل

قلت (٣) : أراد بقوله : وإذ هو لا يستتب خصمان عنده قول مهمليل :
 أودى الخيار من المعاشر كلهم واستتب بعدك يا كليب المجلس
 وتنازعوا فى أمر كل عزيمة
 لو قد تكون شهدتهم لم ينيسوا (٤)
 وكليب هذا هو الذى أرادته النابتة الجعدى بقوله :

كليب لعمرى كان أكثر ناصراً
 وأيسر جرماً منك ضرج بالدم (٥)
 قال عبيد الله بن عكرّاش ، ويروى لأبى يعقوب الخريمى :
 وإنى لأرثى للكريم إذا غدا على طمع عند اللئيم يطالبه

(١) فى ديوانه : ومن كان يحمى .

(٢) فى ديوانه : رده .

(٣) فى ١ ، ٢ : قال أبو عمر .

(٤) ورد البيتان فى الكامل ١٨٦/١ ، أمالى القالى ٩٥/١ ، حاسة أبى تمام ٣٩١/١ ، الجوان ١٢٨/٣ ،
 والعقد الفريد ٢٩٨/٣ . ورواية الحماسة والأمالى للبيت الأول : ثبت أن النار بعدك أوقدت ، وفى الكامل
 والعقد : ذهب الخيار . والرواية للبيت الثانى فى الكامل والعقد : وتناولوا بدل تنازعوا ، و . . . لو كنت
 حاضر أمرهم . وفى الحماسة والأمالى تسكروا بدل تنازعوا . و . . . لو كنت شاهدكم بها . وافقت رواية الجوان
 مع الأصل .

(٥) البيت فى معجم الشعراء ٣٢١ ، العقد الفريد ٢١٥/٥ ، الجوان ٣٢٢/١ ، التمثيل والمهاضبة ٦٢ ،
 ويروى : ذنباً بدل جرماً .

وأرثي له من وقفة عند بابه كَرَمَ ابْنَيْ لِطَرْفٍ وَالْمَلِجِ رَاكِبُهُ^(١)

وقال جرير :

إِنَّ الْكَرِيمَةَ يَنْصَرُّ الْكَرَمَ ابْنُهَا وَابْنُ اللَّيْمَةِ لِلثَّامِ نَصُورُ^(٢)

^(٣) وقال آخر :

إِنْ مَنَ عَضَّتِ السُّكَلَابُ عَصَاهُ ثُمَّ أَتَرَى فَمَعِجَزُ أَنْ يَجُودَا^(٣)

وقال منصور الفقيه :

قُلْ لِلْكَرَامِ اغْرِفُوا حَقَّ الثَّامِ لَكُمْ
لَوْلَا الثَّامُ لَمَا عُدُّوا الْكَرَامَ وَلَا
لَكُنْهُمْ جَنْحُوا لِلنَّقْصِ فَاتَّقَصُّوا
جَادُوا فَسَادُوا وَضَنَّ الْآخَرُونَ فَمَا
قَدْ سَاءَ ظَنِّي بِمَا قَدْ كُنْتُ أَتَمَدُّهُ
تَدَارَسُوا الْبَخْلَ حَتَّى دَقَّ مَذْهَبُهُمْ
فَامْتَقَلُّوا كُلٌّ مَنْ أَصْنَى لِبُخْلِهِمْ
إِنَّ الثَّامَ لَهُمْ عِنْدَ الْكَرَامِ يَدُ
بَانُوا بِفَضْلٍ إِذَا مَا حُصِّلَ الْعَدَدُ
وَزَادَ غَيْرُهُمْ فَضْلًا بَمَا اعْتَقَدُوا
يَعُدُّو عَلَى وَالِدٍ مِنْ لُؤْمِهِ وَلَدُ
لَمَّا رَأَيْتُ جَمِيعَ النَّاسِ قَدْ فَسَدُوا
فِيهِ وَدَانُوا بِإِخْلَافِ الَّذِي وَعَدُوا
وَاسْتَجَبُّوا كُلٌّ مِنْ وَاسَى بِمَا يَجِدُ

(١) البيتان في عيون الأخبار ٨٩/١ ، البيان ٣/ ١٨٥ وفيه : على حاجة بدل طمع . والطرف :
الحواد الكريم .

(٢) ديوان جرير ٣٠١ ، وفي ١ : ابن الكريمة .

(٣) ساقط من ١ .

فصار للبخل حق الجود يَنْهَمُ وَالزُّمُوا الجودَ عَارَ البخل لا رَشْدُوا
وقال آخر :

فإن سمعت بِهُلُوكِ للبخلِ فَقُلْ بَعْدًا وَسُحْقًا لَهُ مِنْ هَالِكِ مُودِي^(١)
قال محمود الوراق :

إِذَا أُعْطَاكَ قَتْرٌ^(٢) حِينَ يُعْطَى وَإِنْ لَمْ يُعْطِ قَالَ أَبِي الْقَضَاءُ
يُبْخِلُ رَبَّهُ سَفَهًا وَظُلْمًا وَيَعْذِرُ نَفْسَهُ فِيمَا يَشَاءُ
تَتَّقِلْ عَنْ فَعَالِ الْخَيْرِ جَهْلًا خَافَةً أَنْ يَضُرَّ بِهِ الْعَنَاءُ

وقال الحسن بن هانئ^(٣) :

رَأَيْتُ الْفَضْلَ مَتَكِنًا يُنَاقِي الْخُبَرَ وَالسَّمَكَا^(٤)
فَقَطَّبَ حِينَ أَبْصَرَنِي وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَبَسَكَ^(٥)

(١) البيت في الحيوان ٥٠/٣ من غير نسبة .

(٢) الأبيات في محاضرات الأدباء ٢٩٠/١ ، وفيها : قصر بدل قتر .

(٣) وردت الأبيات في ديوانه ١٨٦ ، وكذلك وردت في ديوان أبي العتاهية ١٨١ ، والصحيح الأنهر أنها لأبي نواس .

(٤) في ديوان أبي العتاهية : يناغي البحر .

(٥) رواية البيت في ديوان أبي نواس :

فأسبل دمه لما رآني قادما وبكي

وفي ديوان أبي العتاهية :

فأرسل عينه لما رآني مقبلا وبكي

فلما أن حلفتُ له بأنّي صائمٌ صَحِيكَا

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أُتيتُ عمراً سَحَرَا فقال : إني صائمٌ
فقلتُ : إني قَاعِدٌ فقال : إني قائمٌ
فقلتُ : آتِيكَ غداً فقال : صَوِّبِي دَائِمٌ

قال جَحْظَةُ (١) :

دخلتُ على باخِلٍ بالطعام فأت من الخَوْفِ لَمَّا دخلتُ
فقلتُ له : لا يَرُعُكَ الدُّخُولُ فاجئتُ يَبْتَكِ حَتَّى أَكَلْتُ

وقال أبو نَواص :

أبو نُوحٍ دخلتُ عليه يوماً (٢) فغَدَّاني بِرَأْمَةِ الطَّعامِ
فكان كمن سَقَى الظَّمآنَ آلاً وكنت كمن تَغَدَّى في النِّامِ (٣)

وقال منصور الفقيه :

إِنْ لَمْ يُصِيبْكَ مِنَ الْكَرِّ يَمُ الحُرُّ وابِلُهُ فَطُلَّةُ

(١) جَحْظَةُ هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، من بقايا البرامكة ، كان في عينيه تنوء فلقيه ابن المعتز بجَحْظَةَ ، وكان جَحْظَةُ مَلِيحَ الشعر ، حاضِرُ الناحرة ، عارفاً بالموسيقى ، توفي سنة ٢٢٤ هـ ، انظر معجم الأدباء ٣٨٣/١ ، تاريخ بغداد ٤/٦٥ (الأعلام ١/١٠٣) .

(٢) في ١ : نزلت وسقطت منها كلمة يوماً .

(٣) لم أَعثر على البيتين في الديوان ، وهما في عيون الأخبار ٣/٢٦٤ ، ووردا في العقد الفريد ٦/١٨٧ من غير نسبة .

إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ عَلَى مَعْرُوفِهِ نَفْسٌ تَدُلُّهُ
يُبْدِي مَكَارِمَهُ كَمَا يُبْدِي فِرْنَدُ السَّيْفِ صَقْلَهُ

قال آخر :

وإنَّ مُجْمَعَ الْآفَاتِ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرُّهُ مِنَ الْبُخْلِ الْوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

إِذَا كَانَ فِي بُخْلِهِ مُخْكَمًا وَحُلٌّ مِنَ الْمَجْدِ أَعْلَى الدَّرَجِ
وَجَاءَكَ يَخْطُبُ زَنْجِيَّةً مُشَوَّهَةً أَتْلَقَ فِيهَا هَوَجَ
فَلَا تَحْفَلَنَّ بِهِ خَاطِبًا وَلَا تَفْرَحَنَّ وَلَا تَبْتَهِجَنَّ
وإنَّ كَانَ سَمْعًا جَمِيلَ الْفَعَالِ كَرِيْمًا جَوَادًا فَإِنَّ الصَّرَجَ
وإنَّ الْقَطِيعَةَ فِي صَرْفِهِ وَلَوْ جَاءَ يَخْطُبُ إِحْدَى الْمُهَجِّجِ
بَغِيرِ صَدَاقٍ لِإِعْسَارِهِ وَمَا عُسْرُ مَنَظَرٍ لِلْفَرَجِ

قال حماد عَجْرَد ، وتروى للعنَّابى^(٢) :

إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ تَجْهَوْدُ^(٣)

(١) البيت في العقد ٢٥٢/٢

(٢) نسبت الأبيات لحماذ في عيون الأخبار ١٧٨/٣ ، العقد الفريد ٢٧٤/١ ، ١٩٤/٦ ، وسبت للعنَّابى في أمالي القالى ١٣٥/٢ ، وتعقبه البكرى في التفتيه ١٠٧ فذكر أن الأبيات لبشار وليست للعنَّابى ، وقد وردت الأبيات في ديوان بشار ٢٣٦/٢ كما وردت في ترجمة بشار في الأغاني ٣٠٢/١ .

(٣) رواية العقد في الجزء الأول لهذا البيت موافقة لما هنا ، وفي الجزء السادس أورده بهذه الرواية :

إنَّ الْكَرِيمَ تَرَى فِي النَّاسِ عَفْثَهُ حَتَّى يَقَالَ غِي وَهُوَ مَجْهُودٌ

وللبخيلِ على أموالِهِ عِلَالٌ زُرُقُ العُيُونِ عليها أَوْجُهُ سَوْدٌ
 إِذَا تَكَرَّهْتَ أَنْ تَعْطِيَ الْقَلِيلَ ^(١) وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
 أَوْرِقٌ بِخَيْرٍ تُرَجَّى لِلنَّوَالِ فَمَا تُرَجَّى الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ
 بُتُّ النِّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قَلَّتُهُ فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودٌ

وقال منصور الفقيه :

ما بالبخيل اتِّفَاعٌ والكلب ينفع أَهْلَةً
 فَزَّهَ الكلبُ عَنْ أَنْ تَرَى أَخَا الكلبِ مِثْلَهُ

أخبرنا عبدالوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أبو عيسى ، قال : أنشدني
 ابن المعلم لعلی بن الجهم :

وَإِذَا الْكَرِيمُ أَتَيْتَهُ بِخَدِيمَةٍ أَلْفَيْتَهُ فِيمَا تَرُومُ يُسَارِعُ
 لَيْسَ الْكَرِيمُ كَمَا ظَنَنْتَ بِجَاهِلٍ إِنْ الْكَرِيمَ لِفَضْلِهِ يَتَخَادَعُ ^(٢)

قال آخر :

لَا تَطْلُبْنِ إِلَى لَثِيمٍ حَاجَةً وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ

(١) في الأصل : إِذَا تَكَرَّهْتَ عَنْ بَذْلِ .

(٢) ديوانه ١٣٢ .

يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم هيهاتَ تضربُ في حديدٍ باردٍ^(١)
قال آخر :

طعامُهُ النَّجْمُ لمن رَامَهُ وخَبْرُهُ أَمَدٌ مِنْ أَمْسِهِ
كَأَنَّهُ فِي جَوْفِ مِرْآتِهِ يُرَى وَلَا يُطْمَعُ فِي لَمْسِهِ

قال آخر :

إن كنتَ تَطْمَعُ في كلامِهِ فارْفَعْ يَمِينَكَ عَنْ طَعَامِهِ
سَيَّانَ كَسْرُ رَغِيفِهِ أَوْ كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ^(٢)

وقال دِغْبِلُ بنُ عَلِيٍّ ائْتِزَاعِي :

لَئِنْ كُنْتُ لَا تَوَلَّى يَدًا دُونَ إِمْرَةٍ فَلَسْتُ بِمَوْلٍ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ
وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ يَجِدْ فِي مَلَمَةٍ وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنَلِّ سَاعَةَ الْوَفْرِ^(٣)

وقال منصور الفقيه :

راجي البخيلِ وَضِيعٌ كَمَا البَخِيلُ وَضِيعٌ

(١) البيهقي في عيون الأخبار ١٣٥/٣ .

(٢) ورد البيهقي بنفس الرواية في العقد الفريد ١٩١/٦ ، معاضرات الأدباء ٣١٦/١ ، وورد على خلاف هذا الترتيب في عيون الأخبار ٢٧/٢ ، وفيها : لا تكسرن رغيته إن كنت الخ . وقد نسب البيهقي في المعاضرات لليزیدی الحوي وكذلك في وفيات الأعيان ٢٣٥/٥ .

(٣) ديوانه ٧٤ .

وما يقول سِوَى ذَا فِي ذَيْنِ إِلَّا رَقِيعٌ

لِلْعَرِزِيِّ وَيُرْوَى لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ

. وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَثِيمٍ حَاجَةً فَالْحَجَّ فِي رَفَقٍ وَأَنْتَ مَدِيمٌ^(١)

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا مُسْتَقَوْمًا فَاجْعَلِ الْوُدَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكَ تَأْمَنُ كُلُّ مَا تَتَخَوَّفُ

فَإِنْ خَفْتَ مِنْ أَهْوَاءِ قَوْمٍ تَشْتَتَا فَالْبَاجُودُ فَاجْمَعْ بَيْنَهُمْ يَتَأَلَّفُوا

فَإِنْ كَشَفْتَ عَنْكَ الْمَمَاتُ عَوْرَةً كَفَاكَ غِطَاءُ الْجُودِ مَا يَتَكَشَّفُ^(٢)

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : الْكَرِيمُ لَا تَبْخُلْهُ التَّجَارِبُ . وَيُرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ الْكَرِيمَ

لَا تَحْكُمُهُ التَّجَارِبُ .

وَسُئِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الْبَخْلِ ، فَقَالَ : هُوَ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ

مَا يَنْفَقُهُ تَلَفًا ، وَمَا أَمْسَكَ شَرْفًا .

قَالَ طَاوُوسٌ : الْبَخْلُ أَنْ يَبْخُلَ الْإِنْسَانُ بِمَا فِي يَدَيْهِ ، وَالشَّحُّ أَنْ يَشْحَ بِمَا^(٣)

(١) سبق البيتان في ص ٣٢٢ .

(٢) الآيات في أمال القائل ٢٣٩/١ ، منسوبة إلى أعرابي قالها للنعمان بمناسبة توليته الملك .

(٣) ٣ : على ما في .

في أيدي الناس ، ويجب أن يكونَ له ما في أيديهم بالحل* والحرام ولا يقنع
وقال أبو العتاهية^(١) :

وإن امرءاً لم يربح الناسُ نفعَهُ ولم يأمنوا منه الأذى للثيمِ
وإن امرءاً لم يجعل البرَّ كنزَهُ وإن كانت الدنيا له لَعَدِيمِ

باب المروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسَبُ الْمُؤْمِنِ دِينُهُ ، وَكَرَمُهُ تَقْوَاهُ ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ » . ويروى نحوه هذا من كلام عمر أيضاً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لرجل من ثقيف : « ما المروءة قال : الصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة ، وسخاء النفس ، وصلة الرحم . فقال عليه السلام : « هكذا هي عندنا ^(١) في حكمة آل داود » ^(١) .

تَذَاكَرُوا المروءةَ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكثرُوا فيها ، فقال : « أَمَّا مروءَتُنَا فَأَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وَنُعْطِيَ مَنْ حَرَمْنَا ، وَنُصِلَ مَنْ قَطَعْنَا » .

قال منصور الفقيه :

أَعْلَنَ وَهَبُ كَرَمِهِ	فِي وَصْلِهِ مِنْ صَرَمِهِ
وَعَفْوِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ	أَسْخَطَهُ أَوْ ظَلَمَهُ
وَبِرِّهِ	بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ حَرَمِهِ ^(٢)
فَمَا يَرَاهُ مُعْظَمٌ	لِلْحَقِّ إِلَّا أَعْظَمَهُ

(١) ساقط من - .

(٢) ١ : حرمه .

أُبْقِيَ عَلَيْهِ اللَّهُ - مَا أُبْقَاهُ فِينَا - نِعْمَةٌ
وَزَادَ فِيهَا عِنْدَهُ وَحَاطَهُ وَسَلَّمَهُ

(١) من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رُفِعَ إلى عمر بن الخطاب رجل في جُرْم ، فأراد أن يعاقبه ، فأخبر أن له مروءة ، فقال : استوهبوه من صاحبه (١) .

سئل عبد الله بن عمر ، عن المروءة والكرم والنجدة . فقال : أما المروءة : لحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعتة (٢) ، وحسن المنازعة ، وإفشاء السلام . وأما الكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال ، والإمام في المَعْل . وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر في المواطن ، والإقدام على الكريمة .

[وفي رواية أخرى ، أن معاوية قال في مجلسه يوماً لمن حضره : من يخبرني عن المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة (٣) ، وكان بعد عفوّه عنه يحضر مجلسه : قال : يا أمير المؤمنين ! أما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح

(١) سافط ص ١ .

(٢) ١ : وضعته .

(٣) الصحيح أنه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص أبي الرقال ، وليس عبد الله بن هاشم بن عتبة كما صحح ذلك ابن حجر في الإصابة ، وهاشم هو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، أسلم يوم الفتح وشهد مع منه حرب الفرس بالفادسية وله بها آثار مذكورة ، ثم كان على الرجالة في صفين مع علي ، والصحيح أنه قتل بها سنة ٣٧ ولم يجالس معاوية ، انظر الإصابة الترجمة ٨٩١٣ ، وقمة صفين ١٢٥ ، الأعلام ٢٩/٦ .

في المال ، والمحاماة عن الجار . وأما النجدة فالجراة على الإقدام ، والصبر عند ازورار
الأقدام^(١) .

قال طلحة بن عبيد الله^(٢) : جلوس الرجل يباه من المروءة ، وليس من المروءة^(٣)
حمل الكيس في الكم .

سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقه في الدين ، وبرئ الوالدين ، والصبر
على النوائب .

ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءة لكذوب ، ولا أخ لمأول ،
ولا سؤدد لسيئ الخلق .

سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة ، فقال : اجتناب الرئيب ، وإصلاح المال ،
والقيام بمحوائج الأهل .

سئل إياس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تعرف فالتقوى ، وأما
حيث لا تعرف فاللباس .

وقال الزهري أيضاً : الفصاحة من المروءة .

قال إبراهيم النخعي : ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق .

(١) ساقط س .

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب
الشورى ، وكان يقال له طلحة الجود ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ، ودفن بالبصرة ، انظر
المراجع الكثيرة عنه في هامش الأحلام ٣/ ٣٣١ ، ٣٣٢ .

قال غيره : من كمالِ المروءة أن تصونَ عرضك ، وتكرمَ إخوانك ، وتقبل في منزلك .

قال منصور الفقيه :

من فَارَّقَ الصَّبْرَ وَالْمُرُوَّةَ أَمْسَكَنَ مِنْ نَفْسِهِ عَدُوَّةً

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة . فالمروءة في السفر : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله . والمروءة في الحضر : إيمان الاختلاف إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عز وجل .

وفي رواية أخرى عن ربيعة أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق . وأما التي في الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج .

قيل لبعض الحكماء : متى يجب لذي المروءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قدر ما يرى من نفاق المروءة وكساديها .

كان يقال : صُنْ عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، ونجدتك بترك الحياء ، وجهدك بالإجمال في الطلب .

أخبرنا عيسى بن سعيد ، حدثنا مِثَمٌ ، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان ،

حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ،
عن عبد يزيد بن هشام بن عبد^(١) المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثني عمي عن
إبراهيم بن محمد بن العباس ، قال : سمعتُ سفيان بن عيينة ، وقد سُئِلَ عن المروءة
ما هي ؟ فقال : الإِنصافُ من نفسك ، والتفضلُ على غيرك ، أَلَمْ تَسْمَعْ قولَ الله تعالى :
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(٢) لَا تَمُوتُ المروءة إلا بهما ، العدلُ هو الإِنصافُ ،
والإِحسانُ التفضلُ .

^(٣) روى عن القُضَيْلِ بن عياض رحمه الله ، أنه سُئِلَ عن الرجل الكامل التام المروءة
فقال : الكامل من برٍّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسَّن خلقه ،
وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأتقى من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته .
قال الشاعر :

وَإِذَا الْفَتَى جَمَعَ الْمَرْوَةَ وَالشَّقَى وَحَوَّى مَعَ الْأَدَبِ الْحَيَاءَ فَقَدْ كَمُلَ^(٤)
قال رجل من بني قُرَيْع :

إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ الْمَرْوَةُ نَاشِئًا فَعَطَلَهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ^(٥)

قال جعفر بن محمد : لَا يَهِينُ لِمَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ .

(١) ساقطة من أ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) البيت في البيان ١/٢٧٠ ، العقد الفريد ٢/٤٣٥ .

قال أحمد بن المعدل : زعموا أن الأحنف بن قيس لم يسمع له شعرٌ غير هذين البيتين ، وهما :

فَلَوْ مَدَّ سَرَوِيَّ ^(١) بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجُدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِأَذِلَّ
فَإِنَّ الْمَرْوَةَ لَا تُسْتَطَاعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاصِيلًا ^(٢)

وقال آخر :

رُزِقْتُ لَبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مَرْوَةً وَمَا الْمَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أُرِدْتُ مُسَامَاةٌ تَقْعُدُنِي عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رَقَّةُ الْحَالِ ^(٣)

^(٤) وقال منصور الفقيه :

كُلُّ مَنْ فَارَقَ الْمَرْوَةَ عَاشَا وَغَمًا وَفَرُّهُ وَزَادَ رِيَاشَا
وَأَخُو الْفَضْلِ وَالْمَرْوَةِ وَالذِّيدِ فِي مُقِلِّ أُمُورِهِ تَتَلَاشَى ^(٥)

وقال سفيان الثوري : مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ لَمْ يُحْسَنْ يَتَقَرَّ ^(٦) .

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه الله ، فقال : ليست بالفسق ولا الفجور ،

(١) السرو : المروءة والعرف .

(٢) البيتان في البيان ١٨٤/١ ، وانظر الثاني في التمثيل والمحاضرة ٤٢٢ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٢٣٩/٣ ، البيان ١٨٣/٣ وفيه تقاعدني بدل تقعدني .

(٤) ساقط من - .

(٥) تفني : نمل ما يفضله الفتيان من اللهو ، وتقرأ : تنسك ونورع .

ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد : طعام موضوع ، وحجاب مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى^(١) مكفوف .

قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفاً ، وأنشد لابن هرمة^(٢) :

ولرب ليلة لذة قد نلتها وحرامها بحلالها مدفوع

وقال صريع الغواني^(٣) :

وما دمتي الأيام أن لست حامداً لعهد ليالي التي سلفت قبل
ألا رب يوم صادق العيش نلتُهُ بها وندامى العفاة والبذل

وقال منصور الفقيه :

فَضْلُ التَّقَى أَفْضَلُ مِنْ فَضْلِ اللِّسَانِ وَالْحَسَبِ
إِذَا هُمَا لَمْ يُجْمَعَا إِلَى الْعَفَافِ وَالْأَدَبِ

(١) في ١ : ولأناه .

(٢) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكنانى القرشى ، شاعر غزل من سكان المدينة ، من مخصرمى الدولتين الأموية والعباسية ، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد فأجازه ، ثم وفد على المنصور من بعد فلقى منه جفاء فاقطع إلى الطالبيين ، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، توفى سنة ١٧٦ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٢٧/٦ .

(٣) ساقطة من ح . وفي ١ زاد الناسخ بعد كلمة صريع : « الدلاء » ، على أساس أن البيت لصريع الدلاء (محمد بن عبد الواحد القصار) ، والواقع أن هذا خطأ ، فالبيت لصريع العوانى مسلم بن الوليد ، وهو في ديوانه ١٩١ .

وقال آخر :

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى لشرب صبوح أو لشرب غبوق^(١)
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضرر عدو أو لنفع صديق^(٢)

وقال جعظلة :

ألا يأهل بغداد جميعاً عصية في المروءة من برآكم
تذمّون الزمان بغير جرم وما بزمانكم عيب سواكم

(١) الصبوح : ما يعرب من الحر بالفداء فما دون القائلة ، والفروق التي تشرّب بالعمى .
(٢) البتان في عيون الأخبار ١٧٨/٣ ، العقد الفريد ١٧/٣ .

بابُ امتحانِ أخلاقِ الرِّجالِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواحُ أجنادٌ مُجَنَّدَةٌ ، فما تعارفَ منها ائتلفَ : وما تناكرَ منها اختلفَ » .

أخذه بعضُ الشعراء فقال :

إن القلوبَ لأجنادٌ مُجَنَّدَةٌ لله في الأرضِ بالأهواءِ تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهو مُختلفٌ^(١)

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الناسُ كإبلٍ مائة لا تكادُ تجدُ فيها راحلةً » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأميرَ إذا تجسَّسَ على الناسِ أفسدَهم » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « وَجَدْتُ الناسَ اخْبُرُ ثَقُلَهُ » . وقد روى هذا مرَّ فَوْماً عن أبي الدرداءِ .

وفي خبر آخر : « إن الناسَ سِوَا سِيرةٍ كَأَسنانِ المُشِطِ » .

(١) البيتان في العقد الفريد ٣٢٩/٢ ، وقد ورد البيت الأول هناك :

إن النفوسَ لأجنادٌ مُجَنَّدَةٌ بالإذن من ربنا تجري وتختلف

كان يقال : لا يزال الناس بخير ما تابنوا ، فإذا تساؤوا هلكوا .

قال الشاعر :

سَوَاءَ كَأْسُنَا الْحَارِ فَلَا تَرَى لَدَى شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِءٍ فَضْلًا^(١)

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خالطِ الْمُؤْمِنَ بقلبك ، وخالطِ الْفَاجِرَ بِمُخْلِكَ .

كان يقال : يُتَمَتَّنُ الرَّجُلُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : عِنْدَ هَوَاهُ إِذَا هَوَى ، وَعِنْدَ غَضَبِهِ إِذَا غَضِبَ ، وَعِنْدَ طَمَعِهِ إِذَا طَمَعَ .

قال أبو عمرو بن العلاء : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَالَكَ عِنْدَ صَدِيقِكَ فَاعْرِفْ مَا كَانَ لَصَدِيقِهِ قَبْلَكَ عِنْدَهُ .

قال سفيان الثوري : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَالَكَ عِنْدَ صَدِيقِكَ فَأَغْضِبْهُ ، فَإِنْ أَنْصَفَكَ فِي غَضَبِهِ وَإِلَّا فَاجْتَنِبْهُ .

قال الفضل بن عباس بن عُثْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ^(٢) :

إِذَا أَرَدْتَ وَدَادَ امْرِئٍ فَسَلْ كَيْفَ كَانَ لِإِخْوَانِهِ

(١) البيت لكثير عزة ديوانه ١٦٩/١ ، وقد ورد في الميوان ١٠٧/٦ والرواية فيه سواس بدل سواء .

(٢) من فصحاء بني هاشم ، كان شديد السرة وعرف لذلك بالأخضر وباللهي نسبة إلى أبي لهب ، في شعره رقة ، مات في خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٩٥ هـ المؤتلف والمختلف ٣٥ (الأعلام ٣٥٦/٥) .

فإِذَا رَضِيتَ فَأَحْيَيْتَهُ وَإِذَا تَرَعَّيْتَ عَنْ شَأْنِهِ

قال الأحنف بن قيس : ما كشفتُ أحداً قط إلاَّ وجدته دون ما كنت أظن
قال تَابِطُ شَرًّا :

لتقرعينَ على السَّنِّ من ندم إذا تذكرتِ يوماً بعضَ أَخْلَاقِ^(١)
وقال آخر :

إِنَّ المودَّةَ بالتجاربِ قَضَتْ مِنَ النَّاسِ المَارِبِ
لَمْ تَتْرِكْ لِي صَاحِبًا أَصْبُو إِلَيْهِ وَلَا أَعَاتِبُ
متفردًا بتَوْحِيدِي دُونَ الأَبَاعِدِ والأَقَارِبِ
أرغبُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الجَزِيلَ مِنَ المَوَاهِبِ
بِاللَّهِ تَتَّسِعُ الفجَا جُ إِذَا تَضَايَقَتِ المَذَاهِبِ

كان سفيان الثوري يمثل بهذه الأبيات :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أُرِدَتْ إِخْلَافُهُمْ وَتَوَسَّمَنَ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدَ
وَإِذَا ظَفَرَتْ بِذِي الأَمَانَةِ وَالتَّقَى فِيهِ اليَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشِدُّدِ
وَدَعَ التَّذَلُّلَ وَالتَّخَشُّعَ تَبْتَغِي قَرَبَ الَّذِي إِنْ تَدُنُّ مِنْهُ يَبْعِدُ^(٢)

(١) البيت في الشعر والشعراء ١٧٦ ، والميوان ١/٦٣ ، التمثيل والمحاضرة ٥٩ .

(٢) نسبت الأبيات لعبد الله بن معاوية الجعفي في حسانة البحري ٧٨ ، وسبت في أمال القائل للمعنع السكندی ، والرواية في حسانة البحري : أَخَا العَفَاةِ وَالنَّهْيِ بَدَلَ ذِي الأَمَانَةِ وَالتَّقَى ، وَفِي الأَمَالِي : تَوَسَّمَنِي فَعَلِمَهُمْ بَدَلَ أُمُورِهِمْ ، وَذِي اللِّبَايَةِ بَدَلَ الأَمَانَةِ .

وقال آخر :

أَهْلَكَنِي بَرِيَادٌ رِثَقَتِي وَظَنُّونَ بَرِيَادٍ حَسَنَةً
لبس يستوجبُ شكرًا رجلٌ نلتُ خيرًا منه من قبلِ سَنَةٍ^(١)

وقال يزيد بن محمد المهلبى :

ومن ذا الذى تُرَضِّى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كفى المرءُ نبلاً أن تُعَدَّ معايبُهُ^(٢)

وقال آخر :

إنَّ الرجالَ إذا اختبرتَ طباعَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ شَقَى عَلَى الْأَخْبَارِ
لا تعجلَنَّ إلى شريعةٍ مَوْرِدٍ حتى تَبَيَّنَ صَفْحَةَ الإِصْدَارِ^(٣)

وقال آخر :

أترك مكاشفةَ الصديقِ إذا غطى على هَفَوَاتِهِ سِتْرُ
وتجافَ عنه بلا مُصَارَمَةٍ فلنعمَ صائِنُ عَمِيصِكَ الصَّبْرِ

وقال آخر :

لا تصدَّنَّ امرؤاً حتى تجرِبَهُ ولا تذرْ منه من غيرِ تَجَرِّيبٍ^(٤)

(١) البيتان في عيون الأخبار ١٦٥/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٠/١ .

(٢) البيت في محاضرات الأدباء ١٤٥/١ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ١٧٠/٣ وفيها خطة بدل منعة .

(٤) نسب هذا البيت في حاسة البحري ٣٦٩ لأنى الأسود الدؤلى ، ونسب في المؤلف ١٩٢ للنايفة

وقال محمود الوراق :

لا يغلِبَنَّكَ غَالِبُ الْحِرْصِ واعلمْ بأنَّ النَّاسَ فِي نَقْصٍ
والبسْ أَخَاكَ عَلَى تَصْنُوعِهِ فَرُبَّ مُفْتَضِّحٍ عَلَى النَّصِّ
مَا كَدْتُ أَفْخَصَ عَنْ أَخِي ثِقَةً إِلَّا ذَمَّمْتُ عَوَاقِبَ الْفَخْصِ^(١)

وقال آخر :

إِذَا أَنْكَرْتَ أَخْلَاقَ الصِّدِّيقِ فَلَسْتَ مِنَ التَّحْزِينِ فِي مَضِيقِ
طَرِيقًا كُنْتَ تَسْلُكُهُ سَلِيمًا فَأَسْمِعْ فَاجْتَنِبْهُ إِلَى طَرِيقِ

وقال آخر :

لَا تَحْمَدَنَّ امْرَأَةً حَتَّى تَجْرِبَهُ فَرُبَّمَا لَمْ يُوَافِقْ خُبْرُهُ خَبْرَهُ

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَثْبِلِ الْأَمْرَ لَمْ تَجِدْ لَكُفُّكَ فِي إِذْبَارِهِ مُتَعَلِّقًا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرِكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً إِذَا زَلَّهَا أَوْشَكُنَا أَنْ تَفَرَّقَا

قال آخر :

قَدْ كُنْتُ أَهْدُ أَمْرِي فِيكَ مُبْتَدَأً فَقَدْ ذَمَّمْتُ الَّذِي أَتَّخَذْتُ فِي صَدْرِي

(١) هذا البيت ساقط من ١ . وانظر الأبيات في نهاية الأرب ٣/٨٥ ، أمالي الفاي ٢/١٣٨ ، والثالث في التمهيد والمحاضرة ٨٥ .

فأذهب فأنت امرؤ لا شك أوله حلو وآخره مر على الخبر

قال معاذ بن جبل : إذا أحببت أخاً في الله ، فلا تماره ولا تنسره^(١) ولا تسلم عنه أحداً ، فربما أخبرك بما ليس فيه ، فإلّا ينك وبينه .

قال الشاعر :

أردت لكيمًا لا ترى لي زلةً ومن ذا الذي يملأ الكمال فيكمل^(٢)
أجمعوا على القول بأن الله تعالى تفرد بالكمال ، ولم يبرئ أحداً من النقصان .
قال أبو بكر بن دريد :

إذا تصفحت أمور الناس لم تلتف امرءًا حاز الكمال فاكتم^(١)
من لك بالمهذب الندب الذي لا يجحد العيب إليه مختطاً
كم من أخ مسخوطة أخلاقه أصفية الود خلق مرتضى^(٢)

وقال النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب^(١)

(١) الكلمة ساقطة من ح ، ومعنى لا تنسره لا تجادله ولا تنبيه .

(٢) البيت لثروان العكلي كما في أمالي القالي ٤٣/٢ .

(٣) انظر الأبيات في مقصورة ابن دريد ٥ .

(٤) البيت في ديوانه ١٤ .

وقال ابن وكيع :

من لم يكن مؤاخياً إلا الذي لا عيب فيه عاش فرداً في الورى

وقال آخر :

ما بالمنازل من ضيق ومن ضجر بل الطبايع منها الضيق والضجر

وقال آخر :

كل خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحته^(١)

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة^(٢)

وقال آخر :

كل امرئ صائر يوماً لشيئته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين^(٣)

وقال عباس بن الأحنف :

وما مر يوماً أرتجى فيه راحة فأخبره إلا بكيت على أمس^(٤)

(١) الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

(٢) البيتان لطرفة بن العبد ، ديوانه ٤٣ ، ولحويان ٣/٣٠٥ وردت الرواية : وصاحب قد كنت صاحبه .

(٣) البيت لدى الإصمعي المدوائني ، وقد ورد في الكامل ١١/١ ، حماسة البعترى ٣٥٨ ، عيون الأخبار ٦/٢ ، والمؤتاف ١١٨ ، والرواية فيها كلها : راجع بدل صائر .

(٤) ديوانه ٧٥ ، وقد نسب البيت للأحنف بن قيس في عيون الأخبار ٤/٢ .

وقال آخر :

عليك بالتقصّد فيما أنت فاعله إن التخلّق يأتى دونه الخلق
ولا يواتيك فيما ناب من حدّث إلّا أخو ثقة فانظر عن تشق^(١)

وقال زهير بن أبى سلمى :

ومهماتكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم^(٢)

وقال نسيب الأصغر ، مولى المهدي^(٣) :

إن البقاع إذا استسرّ بها الندى أنس النبات بها وطاب المربّع
وإذا جهلت من امرئ أخلاقه وقديمه فانظر إلى ما يصنّع^(٤)

وقال محمود الوراق :

ذمّتك أولا حتّى إذا ما بلوت سيواك حادّ اللوم حمدا
ولم أحمّدك من خير ولكن رأيت سيواك شرّا منك جدّا

(١) نسب البيهقي لسالم بن وابصة الأسدي في الكامل ١١/١ ، البيان ٢٣٧/١ ، الحماسة لأبي تمام ٣٠١/١ ، الحيوان ١٢٨/٣ ونسب الأول للأرجى في المقادير ٣/٣ ، ولعلّ ذي الإصبع العدواني في حماسة البصري ٢٥٩ ، ميمون الأخبار ٦/٢ ، وقد اختلفت رواية البيت الأول في كل مرجع عنها في الآخر حتى ليصب لبائتها هنا ، وإن كانت كلها تؤدي المعنى المقصود .

(٢) شرح ديوان زهير ٢٦٠ .

(٣) نسيب الأصغر : مولى المهدي ، وشاعر مجيد من الموالى السود ، من بادية اليمامة ، مرض على المهدي قبل أن يلى الخلافة فاستنشهده فأنشده من شعره فأعجب به فاستتراه ثم أعتقه ، له مدائح كثيرة في المهدي والهادي وغيرهما ، توفي نحو سنة ٧٥ هـ انظر : فوات الوفيات ٣/٣٠٧ (الأعلام ٨/٣٥٦) .

(٤) انظرهما في وفيات الأعيان ٣/٢٠٣ ، ٤ وفيها : أعرافه بدل أخلاقه .

فعدتُ إليك محتلا خليلا لأنى لم أجد من ذلك بُدًا
كجهودٍ تعاهى أكل ميتٍ فلما اضطرَّ عاد إليه شدًّا^(١)

وقال أيضًا :

لَمْ أَبْكِ مِنْ خُبْتِ خِلٍّ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَيْهِ
وَلَمْ أَمِلْ عَنْ صَدِيقٍ لِلزُّهْدِ فِيمَا لَدَيْهِ
إِلَى سِوَاهُ فَأَبْلُو إِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ
كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَبِدٌّ بِحِفْظِ مَا فِي يَدَيْهِ

ذكر ابن مقسم ، حدثنا محمد بن يحيى النديم ، قال : حدثنا المبرد ، قال : كان بين عمارة بن حمزة وبين إسماعيل بن علي مودة ، ثم تنافرا ، فكتب إليه عمارة :

سَأْتُكَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا كُنَّا فَإِنْ عَدْتَ عُدْنَا وَالْوَصَالُ سَلِيمٌ
وَلَوْ قَدْ خَبِرْتَ النَّاسَ حَقَّ اخْتِبَارِهِمْ رَجَعْتَ إِلَى وَصْلِي وَأَنْتَ ذَمِيمٌ^(٢)

أخبرنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : أنشدنا عيسى الأعمى ، قال أنشدنا ابن المعلم لعل بن الجهم :

النَّاسُ إِخْوَانُكَ حَتَّى إِذَا عَرَضْتَ لِلْإِخْوَانِ بِالذُّرْهِمِ

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ١٥٠/١ ، وفيها : مختلا ذليلا بدل محتلا خليلا ، وتعاطم بدل تعاهى .

(٢) انظرهما في محاضرات الأدباء ٥/٢ .

سَاءَ مَا سَرَّكَ مِنْ خُلُقِهِمْ وَصَرَتْ وَسْطَ الْخَلْقِ كَالْمَلَقَمِ^(١)

وقال آخر :

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بِكَيْتٍ عَلَى سَلَمٍ^(٢)

وقال آخر :

لَمْ أَبْكُ مِنْ زَمَنِ لَمْ أَرْضَ خَلَّتُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ يَنْصَرُمُ

وقال آخر :

مَتَى تَحْسَبُ صَدِيقَكَ لَمْ يَقِلُّوا وَإِنْ تَخْشَى يَقِلُّوا فِي الْحَسَابِ

وقال آخر :

وَنَعْتَبُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى لَكُنَّا عَلَى الْبَاقِي مِنَ النَّاسِ أَغْتَابًا^(٣)

وقال آخر :

سَبَّكَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجِيئًا فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ^(٤)

(١) ديوانه ٢٠٦ .

(٢) ورد البيت منسوباً لنهار بن تومعة في عيون الأخبار ٤/٢ ، وورد في إعتاب الكتاب ١٧١ من غير نسبة ، وفيه : عتبت على عمرو الخ . ونسب في المستطرف ٢٣٣/١ لابن عرارة السعدي في سلم بن زياد .

(٣) عيون الأخبار ٤/٢ .

(٤) عيون الأخبار ٤/٢ ، المقدم الفريد ٤٥٥/٣ .

وقال آخر :

ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه يدعهُ ويغلبهُ إلى النفس خيمها^(١)
وقال أبو دؤاد الإيادي :

إذا كنت مرتاد الرجال لنفهمهم فريش والتس نفع الذي بهم تربي
وقال محمود الوراق :

أتم الناس أعرفهم بنقصه وأقمهم لشهوته وخصيه
فدان على السلامة من تداني ومن لم ترض شخصته فأقصيه
وخل الفحص ما استغنيت عنه فكم من جالب غيظا بفحصيه
ولا تستغل عافية بشيء ولا تسترخصن أذى لرخصيه

وقال آخر :

ارض من المراء في مودته بما يؤدّي إليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا تصيح منهم له سرايره^(٢)

(١) نسب هذا البيت في الكامل ١١/١ إلى أم البيثم الكلّابية ، وفيه : ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه ، ونسب إلى سليمان بن المهاجر في حماسة البحرى ٧٢ وفيه : ومن يتدع ما ليس فيه سجيّة ، ونسب إلى حاتم في حماسة أبي تمام ٣١١/٢ ، كما نسب إلى كثير في عون الأخبار ٥/٢ ، وفيها : سوس نفسه بدلى خيم نفسه ، والسوس والليم مناهما واحد وهو الطيبة والأصل ، وانظره بالرواية التي هنا وبدون نسبة في العقد الجديد ٣/٣ .

(٢) نسب البيتان لاسن حازم في العقد الجديد ٣١٢/٢ .

وقال آخر :

يكفيك من قومٍ شَوَاهِدُ أَمْرِهِمْ فَخِذْ عَفْوَهُمْ قَبْلَ امْتِحَانِ السَّرَائِرِ
فإن امتحانَ القومِ يُوحِشُ بَيْنَهُمْ ومالك إلا ما ترى في الظواهرِ
وإنك إن كَشَفْتَ لم ترَ طائلا وأبدى لك التَّكْشِيفُ خُبَيْثَ الصَّمَائِرِ

وقال آخر :

ولا خيرَ في ودِّ إذا لم يكنْ له على طولِ مرٍّ الحَادِثَاتِ بَقَاءُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

إذا جَمَعَ الفَتَى حَسْبًا وَدِينًا فلا تَمَدِّدْ به أَبَدًا قَرِينًا
ولا تَسْمَحْ بِحِظِّكَ مِنْهُ بَلْ كُنْ بِحِظِّكَ مِنْ مَوَدَّتِهِ ضَنِينًا

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا مَالَ الْفَتَى بِذَخِيرَةٍ وَلَكِنْ إِخْوَانُ الثَّقَاتِ الذَّخَائِرُ^(٢)

وقال ابن الرومي :

إذا شِئْتَ تَعْرِفْ أَصْلَ الْفَتَى أَجَلُ لِحْظِ طَرَفِكَ فِي مَنْظَرِهِ
فإن لم يَبِنْ لَكَ فَانْظُرْ إِلَى أَفَاعِيلِهِ فِي مَنْ جَوْهَرِهِ

(١) البيت في البيان ١٨٤/٣ ، وفيه : ولا خير في فضل .

(٢) عيون الأخبار ١/٣ ، وقال أنشده ابن الأعرابي ، والطره في العقد الفريد ٣٠٤/٢ ، وفيه : لإخوان الصفاء بدل لإخوان الثقات .

فإن غابَ عنكَ بهذا وذا فلا تطلُبَنَّ سوى مُحَضَّرُهُ
 فإنَّ المحاضَرَ سرَّ الرجال بها يُعرَف النَّذلُ من خَيْرِهِ
 بلوتُ الرجالِ وأفعالهم فكلُّ يَعودُ إلى عُصْرِهِ^(١)

وقال ربيعة الرقي :

إنَّ اللِّثيمَ وإنَّ خَلَّتَهُ كريماً يذودك عن عُزْفِهِ
 ويرجعُ محمولٌ أخلاقِهِ إلى أَصلِهِ وإلى صِنْفِهِ^(٢)

(١) الأبيات في ديوانه ٧٢ .

(٢) البيان في معجم الأدباء ١٦٢/٥ .

باب التودد إلى الناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مداراة الناس صدقة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرني ربي بمداراة الناس ونهاني عن ملاحاتهم »^(١) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس » .

وقد روى في خبر مرفوع : « التودد إلى الناس نصف العقل ، وحسن التدبير نصف المعيشة ، وما عال من اقتصد » .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن مما يصفى لك ود أخيك أن تبدأ بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه ، وأن توسع له في المجلس .

قال بعض الحكماء : رأس المداراة ترك المماراة^(٢) .

وفي الحديث المرفوع : « إذا أحب الله عبداً أحبه الناس » .

(١) اللامعة : الشائعة ، الباب .

(٢) المماراة : الشك وسوء الظن . وفي : المودات بعمل المداراة .

أخذه الشاعر فقال :

وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً فِي النَّاسِ^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمٍ ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « مَنْ لَا يَقِيلُ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً . أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكُمْ^(٢) » قالوا : بلى . قال : « مَنْ يَبْغِضُ النَّاسَ وَيَبْغِضُونَهُ » .

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيباً خالياً ، فأوحى الله إليه : مالى أراك خالياً ؟ قال : هجرتُ الناسَ فيك . قال : أفلا أدُلُّكَ على شيءٍ تبلغُ بهِ رضائى ؟ خالقِ الناسَ بأخلاقهم ، واحتجزِ الإيمانَ فيما بينى وبينك .

كان يقال : من رضى من الناس بالمساحة طال استمتاعه بهم .

قال ألكم بن صيفى : من تشدد فرَّق ، ومن تراخى تألف ، والسروُرُ فى التغافل .

قال علي رضى الله عنه : شرط الصَّحْبَةِ إِقَالَةُ الْعَثْرَةِ ، وَمَسَاحَةُ الْعِشْرَةِ ، وَالْمَوَاسَاةُ فِي الْعُسْرَةِ .

(١) فى ١ : عبداً وامطنى بئلى يوماً عبده ، والبيت لابن عبد ربه صاحب العقد ، انظره فى العقد الفريد ٣١٢/١ .

(٢) ١ : ذلك .

قيل للعتابي : إنك تلقى الناس كلهم بالبشر ! قال : دفعُ ضغينةً بأيسر مؤونة ،
واكتساب^(١) إخوان بأيسر مبدول .

قال محمود الوراق :

أخو البشر محمودٌ على كلِّ حالةٍ ولن يعدم البغضاء من كان عابساً
ويُسرع بخلُ المرء في هتكِ عرضه ولم أرَ مثل الجود للعرض حارساً
قال أعرابيٌ يمدح رجلاً بساماً هو زياد الأعجم^(٢) يمدح عبد الله بن عامر
ابن كريز^(٣).

أخ لك ما تراه الدهر إلا على العلات^(٤) بساماً جواداً
سألناه الجزيلَ فأتاك^(٥) وأعطى فوق مُنيَّتينا وزاداً
وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدنا فأحسنَ ثم عدتْ له فماداً

(١) في ١ : ولا كرام .

(٢) هو زياد بن سليمان أو سليم الأعجم مولى عبد القيس ، من شعراء الدولة الأموية ، جزل الشعر ، فصيح الألفاظ ، كانت في لسانه عجمة سمي بسببها الأعجم ، وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وذنم بخلاتهم (الأعلام وهامشه ٩١/٣) .

(٣) ابن ربيعة الأموي ، أمير فآخ ، فتح كثيراً من بلاد فارس وما وراء النهر ، وكان سخيًا وسولاً لقومه رحيمًا ، قال عنه الإمام علي : ابن عامر سيد فتيان قريش . انظر الإصابة الترجمة ٦١٧٥ (الأعلام ٢٢٨/٤) .

(٤) على العلات : أي على كل حال .

(٥) في حساسة أبي تمام ، والأغاني : تأبى .

مرارًا ما أعودُ إليه إلَّا تبسمَ ضاحكًا وَثَنِي الوِسَادَا^(١)

وقال آخر :

ولى صاحبٌ كالموت يومُ فراقِهِ تَنَفَّرَ والأَيَّامُ جَمٌّ عَجِيبُهَا
أريدُ له هَجْرًا لِبعضِ خِلالِهِ فَتَعَطَّفَنِي أُخْرَى له فَأَجِيبُهَا^(٢)

وقال آخر :

أخ لي كأيام الحياة إِخَاؤُهُ تَلَوْنُ أَلْوَانًا كَثِيرًا خَطِيبُهَا
إِذَا عِثْتُ مِنْهُ خَلَّةً فَهَجَرْتُهُ دَعَيْتَنِي إِلَيْهِ خَلَّةً لَا أُعِيبُهَا^(٣)

^(٤) وقال ابن وكيع :

من لم يدار الناسَ غنى علمَ بهم انصَرَفُوا وَكَلَّمُهُمْ له عِدَا^(٥)

وقال كثير^(٥) :

ومن لا يعمُّضُ عينَهُ عن صديقِهِ وعن بعضٍ ما فيه يَمُتُ وهو عَاتِبُ

(١) وردت الأبيات في عيون الأخبار ٧٤٦/٣ ، والبيتان الثالث والرابع في ١٥٢/٣ ، ووردت في الحاشية لأبي تمام ٣٤٩/٢ ، والأغاني ١٠٢/١٤ (بولاق) ، وورد بعضها في المصون ٦٧ ، وفيات الأعيان ٣٢٨/٥ ، وقد أسبت فيها كلها لزياد ماعدا الوفيات فقد أسبت فيها للكيت ، وقال في العيون أنها في مدح عمر بن عبد الله ابن معمر .

(٢) محاضرات الأدباء ٣٢/٢ .

(٣) عيون الأخبار ١٧/٣ .

(٤) ساقط من ١ .

(٥) ديوانه ٢١٠/١ .

وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَحْدِثُهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وقال آخر :

وَكَمْ مِنْ أَخٍ لَمْ تَحْتَمِلْ مِنْهُ خَلَّةً قَطَعْتَ وَلَمْ يُكِنِّكَ مِنْهُ بَدِيلُ

وَمَنْ لَمْ يُرِدْ إِلَّا خَلِيلًا مُهَذَّبًا فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ

قال آخر :

وَأُحِبُّ إِذَا أُحِبِّتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعٌ^(١)

^(٢) وَأَبْغَضُ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ^(٣)

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع : « أُحِبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ
بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا ، وَأَبْغَضُ بَغِيضَكَ هَوْنًا^(٣) مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا » .

وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية^(٤) :

قُلْ لِمَنْ يَعْجَبُ مِنْ حُسْنِ رُجُوعِي وَمَقَالِي

رَبِّ صَدٍّ بَعْدَ وَدٍّ وَهَوَى بَعْدَ تَقَالِي

قَدْ رَأَيْنَا ذَا كَثِيرًا جَارِيًا بَيْنَ الرِّجَالِ

(١) في : - : راجع .

(٢) ساقط من - ، وقد نسب البيتان في أمالي النقال ٢٠٤/٢ لهديبة بن الحُصَيْن العنزي ، وورد في العقد
٢٨٦/٢ من غير نسبة ، وفيه : وَأَبْغَضُ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مَبِينٍ .

(٣) في : - : يوما .

(٤) ديوانه ٢٠٥ .

أَنشد حبيبٌ للفنْدِ الزَّمَانِي - وقال الجاحظ لا أظنها له (١) :

صفحنا عن بني ذَهَلٍ وقلنا : القوم إخوانُ
عسى الأيام أن يُرجِعَ نَ قوما كالذي كانوا (٢)

قال آخر :

وكنْتُ إذا صحبتُ رجالَ قوم صحبتُهم وشيمتني الوفاةُ
فأحسنُ حينَ يحسنُ محسَنُهم وأجنبُ الإساءةَ إن أساءوا
وأبصرُ ما يُنفِّصُني بعينٍ عليها من عيوبهم غطاء (٣)

قال آخر :

ما نالت النفسُ على شهوةٍ ألدَّ من ودِّ صديقٍ أمينٍ
من فاته ودُّ أخٍ صالحٍ فذلك المنبون حقَّ اليقين (٤)

[وقال آخر :

استوحشَ الناسُ علىَّ جدًّا ولا أرى لي من أناسٍ بُدًّا

(١) انظر الحيوان ٤١٥/٦ ، ٤١٦ .

(٢) ورد البيتان في حماسة أبي تمام ١٥/١ ، حماسة البحتري ٧٤ ، أمالي القالي ١/٢٦٠ مفسوون للفند الزماني ، وكذلك في الحيوان وردت هذه النسبة مشفوعة بالعبارة التي نقلها عنه المؤلف ، ولكن الجاحظ اكتفى بهذا الشك ولم يذكر شيئاً عن بواعثه . هذا وقد وردت الرواية مختلفة في هذه المراجع ففي حماسة البحتري والحيوان : بني هند بدل ذهل ، وفي الأمالي وحماسة أبي تمام كما هنا ، كما ورد في حماسة البحتري ، أن ترجم قوما ، وفي الحيوان : ترجمهم جميعا . . الخ .

(٣) أي أبصر عيوبى فأعجلها ، ولا أبصر عيوبهم فأتنبها وأغفل عن معايبى .

(٤) في ح : المحروم بدل المنبون ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ١٦/٣ .

إِنْ لَمْ أُمَاسِرْهُمْ بَقِيْتُ فَرْدًا^(١)

وقال آخر :

أَغْمَضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي خَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِلا صَدِيقٍ^(٢)

قال آخر :

أَغْمَضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي تَغَافُلًا كَأَنِّي بَمَا يَأْتِي^(٣) مِنَ الْأَمْرِ جَاهِلٌ
وَمَا بِي جَهْلٌ غَيْرَ أَنَّ خَلِيقَتِي تُطِيقُ احْتِمَالَ الْكُفْرِ فِي مَا يَحَاوِلُ^(٤)
^(٥) مَتَى مَا يُرَبِّنِي مِفْصَلٌ فَقَطَعْتُهُ بَقِيْتُ وَمَالِي فِي النَّهْوِضِ مَفَاصِلُ^(٥)

وقال آخر :

وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي فَأُشْرِقَنِي عَلَى حَنْقِ بَرِيْقِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ خَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِلا صَدِيقٍ^(٦)

وقال آخر :

إِذَا مَا خَلِيلِي رَابِنِي بَعْضُ خُلُقِهِ وَلَمْ يَكْ عَمَّا سَاءَ نِي بُعْثِيقِي

(١) ساقط من ح .

(٢) عيون الأخبار ١٦/٣ .

(٣) في ١ : آتَى .

(٤) في ١ : رَمَانِي ... أَحَاوَل .

(٥) ساقط من أ .

(٦) البيتان في أمالي القالي ١١١/٣ .

صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيحٌ . خَافَةَ أَنْ أَبْقَى بَغِيرَ صَدِيقٍ^(١)

وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَبْنَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ :

إِذَا مَا صَدِيقِي سَاءَنِي بِفَعَالِهِ وَلَمْ يَكُنْ عَمَّا سَاءَنِي بِمُفِيقِ

صَبَرْتُ عَلَى الضَّرَاءِ مِنْ سَوْءِ فَعْلِهِ خَافَةَ أَنْ أَبْقَى بَغِيرَ صَدِيقٍ^(٢)

^(٣) قَالُوا : لَا خَيْرَ فِي النَّاسِ ، وَلَا بَدَّ مِنَ النَّاسِ^(٣)

(١) انظرهما في عيون الأخبار ١٦/٣ ، وفيها : سوء فعله بدل بسض خلله .

(٢) أمال القائل ١١٨/٣ .

(٣) ساقط من أ .

ياب الاستيعاش من الناس والفرار منهم^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناس منزلةً يوم القيامة ، رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه » . وفي رواية أخرى : « حتى يموت أو يقتل ، والذي يليه رجل معتزل في شعبٍ من الشعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويتنزلُ شرور الناس » .

قال عمر بن الخطاب ^(٢) رضي الله عنه ^(٣) الطمع فقرٌ واليأسُ غنى ، والمُزلة راحةٌ من جليسِ السوء ، وقرين الصدق خير من الوحدة .

قال أبو الدرداء : نعم صومعة الرجل ^(٤) المؤمن يته ، يصون دينه وعرضه ، وإياكم والأسواق ؛ فإنها تلغى وتلهى .

قال مكحول : إن كان في الجماعة فضل ، فإن في المُزلة سلامة .

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس في معاشكم ، وزايلوهم بأعمالكم .

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقًا لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه .

يقال : إن فيما أنزل الله في الإنجيل على عيسى عليه السلام : كن وسطًا

وامش جانبًا .

(١) في ١ : عنهم .

(٢) ساقط من > .

(٣) ساقطة من ١ .

قال ابن المقفع^(١) : وحشة الانفراد أبقي على المرء من أنس التلاقي .

قال بعض العلماء : العزلة عن الناس توقي^(٢) العرض ، وتبقى الجلالة ، وترفع مؤونة المكافأة في الحقوق اللازمة ، وتستتر الفاقة .

قال أوس بن حجر :

وإني رأيتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمُ خفافَ المهود يُكثِرُونَ التَّنْقِلَ
 بني أمٍّ ذى المال الكثير يروّنه وإن كان عبداً سيِّد القوم جَحْفَلَا
 وهم لثقلُ المالِ أولادُ علةٍ وإن كان مخضاً في العمومة مخولاً^(٣)
 وليس أخوك الدائم المهد بالذى يسوءك إن وليّ ويرضيك مقبلاً
 ولكنَّ الأخ النَّائِي إذا كُنْتَ آمِنًا وصاحبك الأذنى إذا الأمراً غَضَلَا^(٤)
 وقال الحسن بن عبد الرحمن^(٥) .

توحشتُ ولكنِّي أسرَّ بالوحشة أحياناً

(١) في > : أبو الفتح .

(٢) في ١ : توفّر .

(٣) العلة : الضرة ، وأولاد العلات هم أبناء أمهات شتى ورجل واحد ، ومحض : خالصا .

(٤) انظر الأبيات في ديوانه ٢٢ .

(٥) ابن خلاد الرامهرمزي ، محدث العجم في زمانه ، ومن أدباء القضاة ، له شعر حسن أورد بعضه الثعالبي في اليتيمة ، وكان الحسن محتصا بابن العميد ، وله اتصال بالوزير المهلبى . انظر في ترجمته يتيمة الدهر ٣٨٦/٣ (الأعلام ٢/٢٠٩) .

وَفِي الْوَحْشَةِ مَا يُؤْتِي نِسْ مِنْ صَحْبَةٍ مِنْ خَانَا

وَقَالَ أَيْضًا :

يَا جَبْذَا الْوَحْشَةِ مِنْ أُنَيْسٍ إِذَا خَشِيتَ مِنْ أَذَى الْجَلِيسِ

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ^(١) :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَاهِمُ فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدَةِ
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وَمَا أَقَلَّهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

كُتِبَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ عَلَى بَابِ دَارِهِ : جَزَى اللَّهُ عَنَّا مِنْ لَا نَعْرِفُهُ ^(٢) وَلَا
يَعْرِفُنَا ^(٣) خَيْرًا ، وَأَمَّا أَصْدِقَاؤُنَا الْخَاصَّةُ فَلَا جَزَامَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَإِنَّا لَمْ نُؤْتَ
إِلَّا مِنْهُمْ .

قَالَ سُفْيَانُ : مَا وَجَدْتُ مَنْ يَغْفِرُ لِي ذَنْبًا ، وَلَا يَسْتُرُ لِي عَيْبًا ^(٣) ، فَرَأَيْتُ فِي
الْهَرَبِ مِنَ النَّاسِ السَّلَامَةَ .

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ : دَلَّنِي عَلَى رَجُلٍ أَجْلِسُ إِلَيْهِ ، قَالَ :
تِلْكَ ضَالَّةٌ لَا تَوْجِدُ .

(١) ديوانه ٩٠ .

(٢) ساقط من > ، م .

(٣) ١ : على زلة .

(١) قال أكنهم بن صيفي : الاقتباس عن الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأنس
مكسبة لقرناء السوء (١) .

وقال سهلُ الوراق :

ألا ما لَدَا الناسِ قد بُدِّلُوا فهم كذئاب عليها (٢) ثيابُ
تواطئوا على كلِّ مستقبَحٍ فما لقبيحٍ لديهم مُعَابُ
وخانوا الأمانة ما يَينهم وهل بالأمانة تُوفى الذئابُ

قال الأصبط بن قريع :

أذودُ عن حوضِهِ ويدفَعُنِي يا قومٍ من عاذِرِي من الخُدَعَةِ (٣)

أنشد الحريري (٤) لنفسه :

مخالطُ الناسِ في الدنيا على خَطرٍ وفي بلاءٍ وصَفو شيبٍ بالكَدَرِ
كراكبِ البحرِ إن تسلم حُشاشَتُهُ فليس يسلم من خَوفٍ ومن حذرٍ

وقال قدامة بن إبراهيم الجُمَحِي (٥) :

(١) ساقط من > .

(٢) في > : عليهم .

(٣) البيت في أمالي الفاي ١/١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) لم أشر على من تصدق عليه هذه النسبة في كتب التراجم وأطمئن إلى أنه هو المقصود وليس هو بالطبع الحريري صاحب المقامات فقد ولد هنا في سنة ٤٤٦ وتوفي ٥١٦ هـ ، أي أنه ولد بعد وفاة المصنف ، فلهذا الحريري (عبد الملك بن إدريس) انظر البيهقي ٨٨/٢ .

(٥) المدني ، لم يذكر عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ ، إلا أنه من الثقات ، ثم أورد أسماء الرجال الذين روى عنهم ، وأسماء من روا عنه .

العجزُ ضعفٌ وما بالحزم من ضررٍ وأحزمُ الحزم سوءُ الظنِّ بالناسِ
لا تترك الحزم في أمرٍ تحاذرُهُ فإنَّ أصبتَ فما بالحزم من باسٍ

أنشدني عبد الرحمن بن أبان ، عن عثمان ، قال : أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي^(١) لنفسه :

أشعرنُ قلبك ياساً ليسَ هذا الناسُ ناساً
قد مضى الإبريزُ منهم وبقوا بعدُ مُحاساً
سامريّينَ يَتَقُولُو نَ جميعاً لا مَساساً

لهلال بن العلاء^(٢) :

لما عفوتُ ولم أَحْقِدْ على أحدٍ أرحتُ نفسي من همِّ العداواتِ
إني أحبيّ عدويّ عند رؤيته لأدفعَ الشرَّ عنيّ بالتحياتِ
وأحسِنُ البشَرَ للإنسانِ أبغضُهُ كأنَّه قد ملأَ قلبي محباتِ
ولستُ أسلمُ ممن لست أعرفُهُ فكيف أسلمُ من أهل الموداتِ

(١) الأندلسي الإشبيلي ، أعرف أهل زمانه باللغة والأدب ولد ونشأ واشتهر بإشبيلية ، وعاش في قرطبة مدة ، ثم رجع إلى إشبيلية وتولى بها القضاء ، له تصانيف كثيرة في النحو واللغة ، توفي سنة ٣٧٩ هـ . انظر بنية الملتبس ٥٦ ، معجم الأدباء ٥١٨/٦ (الأعلام ٣١٢/٦) .

(٢) أبو عمرو الرقي ، قال عنه ياقوت في المعجم ٢٩٤/١٩ : « كان من أهل العلم واللغة بالرقّة ، مات سنة ٢٨٠ هـ ، ولا أعلم من أمره غير هذا » .

وقال ابن الرومي^(١) :

يا ذا الذي منه التَّغِيُّ رُ والتَّنَكُّرُ والنُّبُوُّ
إن كان أدركك الملا ل فقد تداخلني السُّلُوُّ

آخر :

قد كنت عبداً والهوى مالكي فصرتُ حراً والهوى خادِي
وصرتُ بالوَخْدَةِ مستأنساً من شرِّ أولادِ بني آدمِ
ما في اختلاط الناس خير ولا ذو الجهل بالأشياء كالعالمِ
يا عاذلي في تركهم^(٢) جاهلاً عُذْرِي منقوش على خَاتَمِي

وكان في خاتمه منقوشاً : ﴿وما وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ من عَهْدٍ﴾^(٣)

وقال منصور الفقيه :

نفرتُ من كلِّ من وثقتُ به إِذْ كُلُّهُمْ خَائِنِي ولم أُخْنِ
من لَانِ لِي جانبَاهُ لِنْتُ لَهُ ومن أَبَى أَنْ يَلِينِ لم أَلِينِ

وقال آخر :

هذا زمانٌ ليس إِخْوَانُهُ^(٤) يا معشرَ الناسِ يا إِخْوَانِ

(١) ديوانه ٣٠١ .

(٢) في ١ : لومهم .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٠٢ .

(٤) في ٢ : لي هله .

إخوانُ سَوْءٍ كُلُّهُمْ فَاسِقٌ له لسانانِ ووجهانِ
يلقاك بالبشرِ وفي قلبه داءٌ يواريه بكتانِ
حتى إذا ما غبتَ عن وجهه رماك في النيب بهتانِ
يأيها المرء فكنْ واحدًا فردًا ولا تأنسْ بإنسانِ

منصور الفقيه :

الناسُ بحرٌ عميقٌ والبُعدُ منهم سفينةُ
وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة^(١)

طرفة بن العبد :

كلّ خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحة
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة^(٢)

وقال منصور الفقيه :

يا أخا الدهر إن وفا وأخا الدهر إن غدَرُ
كن من الناس كيف شئت ت على غايةِ الحدَرُ

كان يقال : صحبةُ الأشرارِ تورثُ سوءَ الظنِّ بالأخيار .

(١) البيتان في مجمع الأدباء ١٨٦/١٩ ، التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .

(٢) سبق البيتان في ص ٦٥٤ .

وقال ابنُ وكيعة .

فسد الناس كلهم واتقضى الودُّ (١) فما في الررى أخٌ ذو صفاء
وأرى طالبَ الفرارِ من النا سِ ومُرْتَادَ قَرَبِهِمْ فِي بَلَاءِ
ذاك بالانقباضِ (٢) يكسب المنة ت ويُعْزِي بِهِ إِلَى الْكِبْرِيَاءِ
وأخو الألبساطِ يخشى انقلاباً من صديقٍ يُضِيعُ حَقَّ الْإِخَاءِ
وإذا ما الصديقُ عادَ عدواً فهو مستفْرَه (٣) من الأعداءِ

وقال منصور الفقيه :

في الناسِ خيرٌ كثيرٌ والشر في الناسِ أكثرُ
وقد نصحتك حَهدى فانظر لنفسك واحذرُ
فإن وثقتَ بقولي فيهم وإلا فتررُ

وله أيضاً :

إنما الناسَ فَرْعَةٌ ليس في الناسِ مَفْزَعُ
ذم من شئت منهم فهو للذمِّ موضعُ

ولما حضرته الوفاة ، قال (٣) : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ .

(١) في : لا تقباض .

(٢) ١ : مستكره .

(٣) ساقطة من ١

قال سُوَيْدُ بْنُ مَنَجُوفٍ :

فَبَلَغَ مُصْعَبًا عَنِّي رَسُولًا وهل تجدد النصيح بكل وادٍ
تَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ تُنَاجِي وإن ضحكوا إليك هم الأعدا^(١)

أَنشَدَ الزَّيْبِرُ لِأَبِي هَمَّامَةَ :

إِخْوَةَ مَا حَضَرْتَ سَرُّونَ بَرُّو نَ^(٢) فَإِنْ غَبْتُ فَالسَّبَاعُ الْجِيَاعُ
بَايَنُونِي حَتَّى إِذَا عَايَنُونِي بَانَ مِنْهُمْ تَضَاوُلٌ وَاسْتِشَاعُ
^(٣) فَهُمْ يَغْمَزُونَ مِنِّي قَنَاقَةً لَيْسَ يَأْلُونَ غَمَزَهَا مَا اسْتَطَاعُوا^(٤)
مَا كَذَا يَفْعَلُ الْكَرَامُ وَلَكِنْ هَكَذَا يَفْعَلُ اللَّثَامُ الْوِضَاعُ

قال أبو غسان مالك بن عبد الله غلام أبي العتاهية : ^(٥) كنت عند أبي العتاهية^(٤)
قبل موته بثلاثة أيام ، وإنه لشديد العلة لما به ، فرفع رأسه إلى وقال :
يا أبا غسان !

لَهُ دَرُّ أَيْكَ أَيْ زَمَانٍ أَصْبَحْتُ فِيهِ وَأَيَّ أَهْلِ زَمَانٍ
كُلُّ يُوَازِنُكَ الْمَوْدَةَ دَائِبًا^(٥) يُعْطَى وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِالْمِيزَانِ

(١) الببتان في الحيوان ٥/٥٩٤ ، وفيه : فأباد مصعبا ، أكثر من نواحي .

(٢) ١ : سُرُوا وَبَرُوا فَإِذَا .. الح .

(٣) ساقط من ج .

(٤) ' ساقط من أ .

(٥) ١ : جَاهِدًا .

فإذا رأى رُجْحَانٌ حبةَ خردلٍ مالتْ مودتُهُ مع الرُّجْحَانِ
في كلِّ يومٍ منه تبدو قصَّةٌ تنعَى إليك مودَّةَ الإخوانِ^(١)

وقال منصور الفقيه :

أَيَّ زمانٍ نشأتَ فيه كذبي ضلالٍ بأرضٍ تيه
ما شئتَ من عالمٍ خبيثٍ فيه ومن جاهلٍ سفيه

وقال أبو العتاهية^(٢) :

إنَّ الزمانَ يغرُّني بأمانه ويذيقني المكروهَ من جذائمه
فأنا النذيرُ من الزمانِ لكلِّ من أمسى وأصبحَ واثقًا بزمانه
ما الناسُ إلا للكثيرِ المالِ أو لمسلطٍ ما دام في سُلطانِه
فإذا الزمانُ رماها^(٣) بملمةٍ كان الثقاتُ هناك من أعوانِه

قال إبراهيم بن العباس الصولي^(٤) :

بلوتُ الزمانَ وأهلَ الزمانِ فكلُّ بدمٍ ولومٍ حقيق
وأوحشني من صديقي الزمان وآنسني بالعدوِّ الصديق^(٥)

(١) الأبيات الثلاثة الأولى فقط في ديوانه ٢٦١ .

(٢) الأبيات في ديوانه ٢٨٠ .

(٣) في الديوان : رمى الفتى .

(٤) ساقطة من ج .

(٥) ديوانه ٤٤ .

وله أيضاً

وربّ أخ ناديتُه في ملةٍ فالفيتُه منها أجلّ وأعظماً^(١)

أنشدني محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

تطلبُ سبيلَ الهدى جاهداً ودعَ عنك مُشْتَبَهَاتِ السُّبُلِ
وأصْبَحَ من الناسِ مستوفزاً فأكثرُهم راصدٌ للزَّلِ
وأجبن من قد ترى منهمُ لعمرك يُرْدى الشجاعِ البطلُ
وتُصْى المقاتِلَ أقوالُهُمُ بالسنةِ وقعا كالأسلِ
ومن حكّم الناسَ في عِرْضه فن جَارَ أكثرُ من عدلٍ^(٢)

وقال آخر :

وإذا دعوتَ أخاً إياكَ عِنْدَ نائبةٍ تنوبُ
ألفيتَه أَحَدَ الخُطوبِ بَ إِذَا تَتَابَعَتِ الخُطوبُ

وهذا كله عندي — والله أعلم — مأخوذ من قول القائل :

كنت من كربتي أفر إليهم فهم كربتي فأين الفرار^(٣)

(١) ديوانه ٥٧ .

(٢) الأبيات في فتح الطيب ٥/٢١٧ وفيه : وأخير بدل أجبن ، وترى بدل تصي .

(٣) البيت في عيون الأخبار ١/٧٨ ، العقد الفريد ٤/٢٢٨ .

منصور الفقيه :

تبارك من لو شاء ملكنى نفسى وصَيَّرَ فى الإيحاش من خلقه أنسى
وباعد دارى عاجلاً عن ديارهم كبُعْدِ مغيبِ الشمس عن مطلع الشمس
لعلّ أن أُمسى من الشر آمناً وأُصبح مسروراً بذلك كما أُمسى
فما نكّدت الدنيا على طيب ظلمها وقرب جناها العذب شئ سوى الإنس

قال أعرابي ، وهو جابر بن ثابت ، ويعرف بتأبط شرا :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر
درى الله أنى للأئیس لسانى وتبعضهم لي مُقَلَّةٌ وصَمِيرٌ^(١)

وقال آخر :

قد بلوتُ الناس طُرّاً لم أجد فى الأرض حُرّاً
صارَ أخلّى الناس فى عيّ نى إذا ما ذيق مُرّاً
ووجدت الحلوى منهم عندما جرّبت صَبِراً^(٢)

وقال منصور الفقيه :

إنّ بنى دهرنا أفاع ليس لمن سآورت طيب

(١) البيتان فى الحيوان ٣٧٩/١ ، المؤلف ٣٦ ، ٣٧ ونسبهما فيه للأخیر السعدي ، وفيه : لوح بدل صوت ، ويرى بدل درى .

(٢) نسبت الأبيات لابن أبي حازم فى العيون ٣٨٤/٢ ، ووردت فى العقد الفريد ٣١٤/٣ بدون نسبة .

فلا يكن فيك بعد هذا لواحدٍ منهم نصيبُ

وقال آخر :

قد لزمتُ السكوتَ من غير عيٍّ ولزمتُ الفراشَ من غير علةٍ
وهجرتُ الإخوانَ لما أتتني عنهم كلُّ خصلةٍ مضحكةٍ
فعلى أهلِ ذا الزمانِ جميعاً ضعفتُ قطر السماءِ من لعنةِ الله

وقال آخر :

لا تعرفنَّ أحداً فلستَ بواحدٍ أحداً أضرتُ عليك بمن تعرفُ
أما نظيرُك فهو حاسدٌ نعمةٍ أو دون ذاك فذو سؤالٍ ملحفُ
أوفوق ذلك حالٌ دون لقائه بوابٍ سوءٍ واليقاعُ المشرفُ

وللشافعي الفقيه رحمه الله ، وقيل إنه تمثل بها ، وهي :

ليت السباعَ لنا كانت مجاورةً وليتنا لا نرى مما نرى أحداً
إن السباعَ لتهداً في مراضها والناسَ ليس بهادرٍ شرُّهم أبداً
فاهربْ بنفسك واستأنسْ بوحدتها تعيش سليماً إذا ما كنت منفرداً

وقال منصور الققيه :

أحذركَ الناسَ إلا قليلاً فلا تبيننَّ إليهم سبيلاً

وفارقهم عن قلى واتخذ
من الجن والجن إن تلقهم
من الإنس، لا كان مستأنسا
بهم طالب من سواهم بديلا

وقال أبو العتاهية :

أيارب إن الناس لا ينصفوننى
وإن كان لى شيء تصدوا لأخذه
وإن نالهم بذلى فلا شكرَ عندهم
وإن طرقتنى نكبة فرحوا بها
سأمنع قلى أن يحن إليهم
وأحجب عنهم ناظرى وجفونى^(١)

أنشدنى حكيم بن المنذر لنفسه :

وكنتم أخلاى الذين أعدهم
فأخلفتم ظنى بكم فقلبتكم
لصرف زمان إن ألم بداهية
فنفسى عنكم آخر الدهر سآلية

وقال آخر :

ولما رأيت الناس لا عهدَ عندهم
وصرت جليس الكتب ماعشت فيهم
صدفت - ويبت الله - عن صحبة الناس
وأعملت حسن الصبر عنهم مع اليأس

(١) ديوانه ٢٥٥ ، وفيه : رفدى بدل بدلى فى البيت الثالث ، وفكروا بدل فرحوا فى البيت الرابع .

رأيت لهم كاسًا من القنير بينهم تدارُّ وما بالقوم صبرٌ عن الكاسِ
وهذا الباب وما جانسه من معاني صحبة الناس والفرار منهم ، واتخاذ الإخوان
والزهد فيهم ، قد أكثر الناس فيه جدا ، وقد جمع فيه ابنُ وكيع فتقصى وكثر
وجود وغزر ، وغرضنا في الكتاب أن نورد فيه ما تصلح المذاكرة به من
غير تطويل ، لأن الحفظ أكثر ما يكون مع التقليل ، وبالله العون والتأييد
والحول والقوة^(١) .

(١) في ١ : وبالله العون لاشريك له .

بابُ الصِّديقِ والعدو

قال جعفر بن محمد : لقد عظمتُ منزلةُ الصِّديقِ حتى عند أهل النار ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى حاكيا عنهم : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾^(١) .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ صديقه في غيبته وبعد وفاته .

قال سويد بن الصَّامت^(٢) :

الأرب من تدعو صديقا ولو ترى مقاتله بالغيب ساءك ما يفري
مقاتله كالشهد ما كان شاهدا وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
تبين لك الأمين ما هو كاتم من الشر بالبغضاء والنظر الشر
يسرك باديه وتحت أديمه تيممه غش تبترى عقب الظهر
فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالى من يرش ولا يترى^(٣)

(١) سررة الشعراء آية ١٠١ .

(٢) ابن حارثة بن عدى الخزرجي الأنصاري، شاعر من أهل المدينة في سوق، كان يسميه قومه الكائل، اشتهر وبالجاهلية ، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم في سوق ذي الحجاز ، فدعاه إلى الإسلام ، وقرأ عليه : يثا من القرآن فاستحسنه، ثم انصرف عائدا إلى المدينة ولم يلبث أن قتل، وإن كان ابن سعد والطبري يقولان إنه شهد أحدا . انظر الإصابة الترجمة ٣٥٩٢ .

(٣) وردت الأبيات كلها في البيان ٣/٢٥٦، الأمل ٢/١٩٨ ، وماعدا الرابع في عيون الأخبار ٣/٨١، =

كان أبو العباس السّفاح إذا تعادى اثنان من أهل بطانته لا يسمع من أحد منهما في صاحبه شيئاً ، وإن كان عدّلاً ، ويقول : ^(١) العداوة تزيل العدالة .

كان يقال ^(٢) : لا تجالس عدوك فإنه يحفظ عليك عيوبك ، ويماريك في صوابك .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : ابذل لصديقك كلّ المودة ، ولا تبذل له كلّ الطمأنينة ، وأعطه من نفسك كلّ المواساة ، ولا تُفضي إليه بكلّ الأسرار .

روى عن علي بن الحسين رحمه الله ، أنه قال : لا يكون الصديق صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعةً من دينه يرقعها بالاستغفار .

قال غيره : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدوّ صديقه عدواً .

== منسوبة لسويد ، ووردت مع أبيات أخرى في اللسان مادة نشر منسوبة لزهير بن جناد ، وهي في الإصابة لسويد ، انظر الترجمة ٣٥٩٢ .

المعنى والروايات : يفرى : يختلق ويكذب ، والرواية في الأملال : لسانه بدل مقالته .

المأثور : السيف في منته أثر ، وقد فسره في العيون بأنه الذى يؤثر عنه شرّ وتهيء ، وأحسبه ليس دقيقاً ، نغرة النحر : نقرته . والرواية في العيون : كالشحم بدل الشهد ، وفي البيان : مادام بدل ما كان ، وفي الأملال : حاضرنا بدل شاهداً ، ومطرور بدل مأثور .

النظر الشرر : النظر فيه إعراس ، أو هو نظر الغضب أو الحافد بمؤخرة المعنى ، والرواية في العيون : من الضغن والشجاء بالنظر الشرر ، وفي البيان من الغل والبغضاء .

تبتري : تقطع .

راش الصديق : أصاح حاله وضده براه .

(١) ساقط من أ .

قال يزيد بن الحكم الثقفى :

تصافح من لا قيت لي ذا عداوة وأنت صديق ليس ذاك بمستوى

في أبيات قد ذكرت في باب البنى والحسد وغيره ، وفي رواية أخرى :

عدوك يخشى صولتي إن لقيته وأنت صديق ليس ذاك بمستوى

وقال آخر :

عدو صديق داخل في عداوتي وإني لمن ودّ الصديق ودود
فلا تقرب مني وأنت عدو من أصادقه فالخير منك بعيد^(١)

^(٢) وقد أنشد المبرد هذين البيتين على قافية القاف على ما رواه شيخنا^(٣) عيسى
عن ابن مقسم ، قال : أنشدني أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار ، قال : أنشدني
أبو العباس المبرد :

صديق عدوى داخل في عداوتي وإني على ودّ الصديق صديق
أعدى الذي عادى وأهوى له الهوى كأنني منه في هواه شقيق^(٤)

(١) البيتان في العقد الفريد ٣٠٧/٢ ، ورواية البت الثاني فيه :

فلا تقرب مني وأنت صديقه فإن الذي بين القلوب بعيد

(٢) في ١ : بدل هذه العبارة : وفيما رواه .

(٣) في ١ : وأهوى الهوى له ، وانظر البيتين بهذه الرواية في أمالي القالي ٨٣/١ .

وقال العتّابي :

تودّ عدوّي ثمّ تزعم أنّي صديقك إنّ الرأي عنك لعازبٌ
وليس أخي من ودّني رأى عينه ولكنّ أخي من ودّني وهو غائبٌ^(١)

قال آخر :

إذا وّلى صديقك من تعادى فقد عاداك وانقطع الكلامُ

قال معاوية : النبيل مؤاخاة الأكفاء ، ومداجاة^(٢) الأعداء .

قيل لعبد الحميد الكاتب : أيّما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : إنّما أحب
أخى إذا كان صديقي .

قال بعض علماء أهل المدينة : من ثقل على صديقه خفّ على عدوه ، ومن
أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

عذل رجل رجلاً ، فقال : أراك رطب اللسان من عيوب أصدقائك ، فلا تزدهم
في أعدائك^(٣) ، فإن الصديق يحوّل بالجفاء^(٤) عدواً ، وكذلك العدو يحول
بالصلة صديقاً^(٥) .

(١) نسب البيتاني في حاشية البحترى لمصالح بن عبد القدوس وفيها : وهو حاضر بدل رأى عينه ، وقد وردا في أمالي القالي ٨٣/١ ، العقد الفريد ٣٠٧/٢ كما هنا ، وانظر عيون الأخبار ٦/٣ وفيها : ولكن أخي من صدقته المغاييب .

(٢) المداجاة : المدارة ، والمنع بين الشدة والرخاء .

(٣) في ١ : لغرائك .

(٤) ساقط من > .

(٥) في ١ : صديقاً بالصلة .

كان يقال : لا تجترئ على عداوة رجل بصدقة ألف .

قال الشاعر :

تكثر من الإخوان ما انقطعت إنيهم بطونٌ إذا استعجبتهم وظهورٌ
وليس كثيرًا ألف خلٍّ وصاحبٍ وإن عدواً واحداً لكثير^(١)
وما أنشده المبرد :

ترفع عن مخاشنة الصديق ولا تلج العدو إلى مضييق
وإن يسئح من المعروف شيء فبادر خوف إمكان الطريق
وأحسن من مجاهدة الأعدى مجاهدة النفوس على الحقوق

كان المغيرة بن شعبه يقول : إن أنكأ لعدوك ألا تعلمه أنك اتخذته عدواً .

سئل أعرابي عن ابن العم ، فقال : عدوك وعدو عدوك .

كان يقال : من سعادة المرء أن يرى عدوه خلفه في حياته ، ويقدمه أمامه في وفاته .

كان يقال : لا تلتمس معاونة ذي عداوة بإعطائه فضل قوة يستكثر بها عليك في مخالفتك .

جمع كسرى يوماً مرارته وعيون أصحابه ، فقال لهم : من أي شيء أتم أشد حذرًا ؟ قالوا : من العدو الفاجر ، والصديق النادر .

(١) نسب البيتان في محاضرات الأدباء ٢/٢ إلى محمود الوراق .

قال موسى بن جعفر : أتقِ العدوَّ ، وكن من الصديقِ على حذر ، فإن القلوب
إنما سميت قلوباً لتَقْلِبُهَا .

منصور الفقيه :

احذر مودةَ ماذقٍ^(١) مَزَجَ المرارةَ بالحلاوةَ
يُخْصِي الذنوبَ عليك أَيَّامَ الصداقةِ للمداوةِ^(٢)

وقال جحظة البرامكي :

لا تُعِدَّنْ للزمانِ صديقاً وأعدَّ الزمانَ للأصدقاءِ^(٣)

قال آخر :

دار الصديق إذا استشاطَ تَغَضُّباً^(٤) فالغَيْظُ يُخْرِجُ كامنَ الأحقادِ
ولربما كان التغيطُ باحثاً^(٥) لمعايب الآباء والأجدادِ

استعدى أعرابي على بلال بن جرير بن الخططي إلى قُثم بن العباس فقال :

أعوذُ بعباس وَحَقْوَى مُحَمَّدٍ وَحَقْوَيْكَ^(٦) من طولِ الأذى والنوائِلِ

(١) الماذق : غير خالص الود .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ١٠٧/٣ من غير نسبة وفيه : والمداوة ، واطلرهما في الصداقة والصديق ٤١ .

(٣) البيت في التمثيل والمحاضرة ١٠٧ ، نهاية الأرب ٩٩/٣ .

(٤) في التغيطا .

(٥) في : باديا .

(٦) ساقط من ج ، والمقو : الكشح ، وهو ما بين المحاصرة إلى الضلع الخلف .

فإنّ بلاّ يابن عمّ محمدٍ عدوّ إذا جاملته لم يجاملِ
 إذا نال يوماً رشوةً من خاصمٍ رى كل حقّ أدعيه باطلِ
 قال ابن وكيع :

ليس بالْمُنْكَرِ انقلابُ صديقٍ ربما غُصَّ شاربٌ بالشَّرابِ
 وتلاقى الإخوان بعد فسادٍ كتلاقى^(١) الأرواح بعد الذهابِ
 لا تضيّع مودةً من صديقٍ فاتقلابُ الصديقِ شرٌّ انقلابِ
 قال آخر :

وروّعتُ حتى ما أَرَاعَ من النوى وإن بَانَ جيرانٌ على كرامٍ
 فقد جعلتُ نفسي على النأيِ تَطْوِي وَعَيْنِي عَلَى هَجْرِ الصديقِ تنامُ^(٢)
 وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا وَتَرْتَ امرئاً فاحذِرْ عداوتَه من يزرع الشوكَ لا يحصد به عنباً
 إن العدوَّ وإن أبدى بشاشته إذا رأى منك يوماً فرصة وثباً^(٣)

(١) في ١ : وتلاف ... كتلاف .

(٢) نسب البيتان في وفيات الأعيان ٣٩٠/٤ ، وهامش الحاشية ١٠٣/١ إلى عبد الصمد بن المفضل والرواية

في الأعيان : وفارقت بدل روعت ، وغاب بدل بان ، وعلى فقد الحبيب بدل هجر الصديق .

(٣) البيتان في نهاية الأرب ٧٩/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

قال الصاحب بن عباد :

لقد صدقوا - والراقصات إلى منى - بأنّ مُدْرَاةَ العدى ليس تنفعُ
ولو أننى دارأتُ عمرى حيةً إذا استمكنت يوماً من اللّسع تلسع^(١)

وقال آخر :

ليس الصديقُ الذى إن زلَّ صاحبهُ يوماً رأى ذلك ذنباً غيرَ مغفورٍ
إن الصديقَ الذى تلقاه يَعْذِرُ فى ما ليس صاحبهُ فيه بمعذورٍ^(٢)

وقال آخر :

كان صديقى وكان خالِصتى أيامَ تجرّى مجارى السّوقِ^(٣)

قال أبو تمام الطائي :

وحسبك حَسرةٌ لك من صديقٍ رأيتَ زمامه يبدى عَدُو^(٤)

قال العَطَوى :

إذا أنكرت أخلاقَ الصديقِ فلستَ من التحيرِ فى مضيقٍ

(١) البيتان فى التمثيل والمحاصرة ١٢٣ ، نهاية الأرب ١٠٩/٢ ، قيمة الدهر ٢٧٨/٣ ، وفيها : إذا مكنت بدل استمكنت ، وفى ١ : من السم بدل اللسم .

(٢) ساقطان من ١ ، وانظرهما فى المقدم الفريد ٣٠٧/٢ .

(٣) السوق : عامة أفراد الناس ، ومعنى البيت : أنه كان صديق أيام كنا فردين من عامة الناس ، وقد ورد البيت ضمن أربعة أبيات فى عيون الأخبار ٧٤/٣ منسوبة لمحمد بن مهدى ، وبعد البيت الوارد هنا فى العيون :

حتى إذا راح واللوك ممأً عداطراحي من صالح الخاق

(٤) البيت ساقط من ١ ، وانظره فى ديوانه ٢٦٧ ، والرواية فيه : يكون زما .

طريقاً كنتَ تسلكه سليماً فأسبع فاجتنبه إلى طريقِ
فإن قابلتَ يُسرَى منه عُسرَى فراجع من قطعَت من الصديقِ
وقال عبدُ بنى الحَسْحَاسِ^(١) :

رأيتُ الحبيبَ لا يُملُ حديثه ولا ينفعُ المشنوءَ أن يتودّدا
وقال زياد الأعجم :

عدوك مسرورٌ وذو الودِّ بالذى أتى منك من غيظٍ على كظيظ
تلينُ لأهل الغلِّ والغَمزِ منهم وأنتَ على أهلِ الصفاء غليظُ
نسيٍّ لما أوليتُ من صالحٍ مَضَى وأنتَ لتأنيبٍ على حفيظُ
وسُيِّتَ غيظاً ولستَ بفائِظٍ عدواً ولكنَّ الصديقَ يَغِيظُ^(٢)

وقال أبو الطيب :

وأرحمُ أقواماً من العيِّ والغَبَا وَأَعْدِرُ في بُغْضِي لأَنَّهُمْ ضِدُّ
ومن نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى عدواً له ما من صداقته بدُّ^(٣)

(١) اسمه سحيم ، كان شاعراً رقيق الشعر ، أصله عبد نوبي ، أعجمي اللسان ، اشتراه بنو الحسحاس ،
وهم بطن من أسد ، فنشأ فيهم ، مولده في أوائل عصر النبوة ، ورآه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعجب
بشعره ، قيل : قتله بنو الحسحاس في آخر خلافة عثمان حوالي سنة ٤٠ هـ ، وأحرقوا جثته لتشبيبه بنسائهم . انظر
نوات الوفيات ١/١٦٦ ، الشعر والشعراء ١٥٢ (الأعلام ٣/١٢٤) .

(٢) نسبت الآيات في أمالي القالي ٢/١٩٨ ، المؤلف ٨٨ للحسين بن المنذر يقولها في ابنه « غياظ » .

(٣) البيت الأول في الديوان ١٦٩ ، والثاني في ص ١٦٨ ، أي أن الثاني يرد في الترتيب قبل الأول
في القصيدة .

(١) وقال آخر:

شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكسب الإنسان ما يصم^(٢)

وقال منصور الفقيه:

إذا تخلفت عن صديق فلم يعاتبك في التخلف
فلا تعد بعدها إليه فإنما وده تكلف
وإن تعد بعدها إليه فلا تلمه على التصلف^(٣)

وقال آخر:

إذا كنتم الصديق أخاه سراً فما فضل الصديق على العدو^(١)

وقال ابن الرُّومى:

عدوئك من صديقك مستفاد^١ فأقلل ما استطعت من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب
وإنك قلما استكثرت إلا وقعت على ذئاب في ثياب
فدع عنك الكثير فكم كثير يُعاب^٢ وكم قليل مستطاب
وما اللجج الملاح برويات^٣ وتلقى الرئى في النطف العذاب

(١) ساقط من جـ .

(٢) البيت للمتنبى أيضاً ، انظر ديوانه ٣٧٧ .

(٣) البيتان الأول والثاني في خامس الحاس ١٠٧ ، التمثيل والمحاضرة ١٠٥ ، معجم الأدباء ١٩/١٨٩ .

إذا انقلبَ الصديقَ غدا عدوًّا مُبينًا والأمورُ إلى انقلابٍ^(١)

وقال منصور الفقيه :

احذرْ عدوكَ مرةً واحذرْ صديقك ألفَ مرةٍ
فلربما انقلبَ الصديقُ قُفْكانَ أتعلمَ بالمضرة^(٢)

قال آخر :

كنْ من صديقك خائفًا فلربما حال الصديق^(٣)

وقال آخر :

احذر صديقك لا عدوكَ إنما مَسْئورُ سرِّك عند كلِّ صديقٍ^(٤)

قال أبو بكر الخالدي^(٥) :

ما في زمانك ما يعزُّ وجودُهُ إن رمتَه إلا صديقٌ مُخلصٌ^(٦)

(١) ديوانه ٤٦ .

(٢) ورد البيت في محاضرات الأدباء ١٩/٢ منسوبين إلى علي بن عيسى .

(٣) في ١ وردت الشطره الثانية من البيت : فلربما حال الصديق فكان غير صدق .

(٤) في ١ : كل صدوق .

(٥) هو محمد بن هاشم بن وعله ، شاعر أديب من أهل البصرة ، اشتهر هو وأخوه سعيد باسم الخالدين ، وكانا من خواص سيف الدولة ولاهما خزانة كتبه ، ولهما عدة مؤلفات في الأدب ، انظر فوات الوفيات ٢٧١/٢ الأعلام ٢٥٣/٧ .

(٦) بيت في نهاية الأرب ١٠٣ ، التنبيل والمحاضرة ١١٣ ، بتهمة الدهر ١٩٨/٢ .

وقال الكُمَيْتُ يَخاطبُ بنى العباس^(١) :

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا فِي زَمَانٍ عَدُوُّكُمْ وَخَفْنَاكُمْ إِنَّ الْبَلَاءَ لَرَاكِدُهُ^(٢)

وقال آخر :

وَبَغْضُكَ لِلتَّقِيٍّ أَقْلُهُ ضُرًّا وَأَسْلَمُ مِنْ مَوْدَةِ ذِي الْفُسُوقِ
وَلَنْ تَنْفَكَ تُحْسَدُ أَوْ تُعَادَى فَأَكْثَرُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ^(٣)

خالفه ابن الرومي فقال :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَأَقْلِلْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ تَحُلُو فِي الْخُلُوقِ^(٤)

أَكْثَرُ رَجُلٍ عَلَى رَجُلٍ بِالسَّلَامِ وَقَالَ لَهُ : أَنَا صَدِيقُكَ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي
أَسْلَمْتُ عَلَيْكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَئِنْ كَانَ مِنْ قَالَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَمُدُّ صَدِيقًا فَالْصَّدِيقُ كَثِيرٌ

(١) الصحيح أنه المستهل بن الكُمَيْت بن زيد الأسدي ، كما في عيون الأخبار ومعجم الشعراء ، لأن
الكُمَيْت مات سنة ١٢٦ هـ ، أي قبل قيام الدولة العباسية ، والمعروف أن المستهل هو الذي وفد على أبي العباس
السفاح بالأخبار ، فأخذه الحرس فحبسوه ، فكتب إلى أبي العباس شعرا منه هذا البيت فأطلقه وأحسن جائزته .
انظر الأغاني ١١٧/١٥ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، وانظر الأعلام ١٠٧/٨ .

(٢) في ج : لواحد وانظر البيت في عيون الأخبار ٣/٢٠ ، معجم الشعراء ٤٧٩ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٢/٣ ، وفيها : وبغضاء التقي أقل ضيرا .

(٤) ديوانه ١١٠ ، المصنوع ١٥٢ .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

لَا تُهِنَنَّ لِلصَّدِيقِ تَكْرِمُهُ نَفْسَكَ حَتَّى تَعُدَّ مِنْ خَوْلِهِ
يَحْمِلُ أَثْقَالَه عَلَيْكَ كَمَا يَحْمِلُ أَثْقَالَه عَلَى جَمَلِهِ
لَيْسَ الْفَتَى الَّذِي يَحُولُ عَنْ أَلٍ مَهْدٍ وَيُؤْتِي الصَّدِيقَ مِنْ قَبْلِهِ
وَلَسْتُ مُسْتَبْقِيًا أَخَاكَ لَكَ لَا تَصْفَحَ عَنْ جَهْلِهِ رَعْنُ زَلَّةٍ^(١)

وقال آخر :

إِنَّ الصَّدِيقَ فَلَا تَأْمَنُ بَوَاقَهُ أَسْوَا الْعَدُوِّ إِذَا مَا سُؤْتَهُ أَثَرَا

وقال رجل من بني سليم :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رَبَاجٍ عَلَى حَالِ التَّكَاشُّرِ مِنْذُ حِينِ
فَأَبْغَضُهُ وَيَبْغُضُنِي وَأَيْضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي
فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبْحَنَا جَرَى الدَّمِيَّانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ

وقال المُتَمَلِّسُ :

أَحَارْتُ إِنْ لَوْ تُشَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَايِلُنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمًا^(٢)

(١) الأبيات في عبون الأخبار ١٧/٣ ، حساسة البحري ١٧/٣ ، والبيت الأول فيها : لاتهن لئيم ، وتصفح
هما يكون من زلله .

(٢) تشاط : تدفك وتختلط ، وبرى : تشاط وهما عسى ، تزايلن : افترقن ، والبيت في العقد الفريد
٣٥٩/٥ ، البيان والتبيين ٥٧/٣ ، الجواهر ١٣٦/٣ ، فصلي المال ١٣٢ .

وقال آخر :

إذا كنتَ ممن لا تُرى نافعاً صديقاً ولا بعدوً تضرُّ
فسيانَ إنْ متَّ أو إنْ حييتَ فلا ذا يسوء ولا ذا يسرُّ

لأبي عينة المهلب،^(١) أو علي بن جبلة^(٢) :

ولما رأيْتُكَ لا فاجراً قوياً ولا أنتَ بالزاهدِ
وليسَ عدوُّكَ بالمتقي وليسَ صديقُكَ بالحامدِ^(٣)
دخلتُ بك السُّوقَ سوقَ الرقيقِ وناديتُ هل فيكَ من زائدٍ؟^(٤)
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهمٍ واحدِ
^(٥) سوى رجلٍ حانَ منه الشقا وحلت به دعوة الوالدِ^(٦)
مُحاطٌ به^(٧) معه درهمٌ ردىءٌ فأقبل كالراصدِ
فبعْتُكَ منه بلا شاهدٍ مخافةً ردِّكَ بالشاهدِ

(١) زيادة في - .

(٢) يرد بدل هذا البيت في العقد بيت آخر هو :

ولا أنتَ بالرجل المتقى ولا أنتَ بالرجل العابد

(٣) بعد هذا البيت في العقد :

على رجل خائن للصديق كفور بأنسه بجاهد

(٤) سائط من - ، هذا ولم يرد هذا البيت ولا الذي بعده في 'العقد بل ورد مكانهما بيت آخر هو :

سوى رجل رادني دافعا ولم يك في ذاك بالحامد

(٥) في - : سوى رجل .

وَأَبْتُ إِلَى مَنْزِلِي غَانِمًا وَحَلَّ الْبَلَاءُ عَلَى النَّاقِدِ^(١)
وقال آخر^(٢):

سَأَصْبِرُ مِنْ صَدِيقِي إِنْ جَفَانِي عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهُوَ نَا
فَإِنَّ الْمَرْءَ يَجْزَعُ فِي خِلَاءِهِ^(٣) وَإِنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ أَنْ يَهَانَا
قال العَطَوِيُّ :

إِذَا مَا الْخُرْثَ فَازَ^(٤) بِحُسْنِ حَالٍ أَجَازَ صَدِيقَهُ مِنْ سُوءِ حَالٍ
إِذَا أَثَرَى رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ لَهُ الْإِفْضَالُ مِنْ قَبْلِ السُّوَالِ
لَعَمْرُكَ مَا رَأَيْتُ فِتًى كَرِيمًا يَحِبُّ الْمَالَ إِلَّا لِلذَّوَالِ
أَبَا حَسَنٍ ثَكَلْتُ الْحَزَمَ فِيهَا أَحَاوَلُ مِنْ مَقَالِي أَوْ فَعَالِي
^٥ لَقَدْ كَذَبْتَ ظَنُونِي فَيْكَ أَنْ لَمْ أَتُبْ مِنْ حُسْنِ ظَنِّي بِالرِّجَالِ^(٥)

وقال آخر:

إِذَا مَا الْمَرْءُ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ فَبِرُّ صَدِيقِهِ فَرَضٌ عَلَيْهِ

(١) انظر الأبيات كما هنا في الصداقة والصدق ٨٦ ، وانظرها مع الخلاف الذي أوضحت في العقد الفريد ٤٥٢/٣ ، ولم تنسب في كليهما .

(٢) هو عمير بن جميل التلمبي كما في معجم الشعراء ٢٤٥ ، وسماه في العقد الفريد ٣١١/٢ عمر بن جميل التلمبي وهو تحريف ، انظر البيتين فيهما ، وفي السكائل ١٩٩/١ ، عيون الأخبار ١٥/٣ .

(٣) في : - في هوان .

(٤) ١ : إذا ما المرء جاز بحسن حال .

(٥) ساقط من ١ .

فَإِذْ عَنْهُ الصَّدِيقُ أَقَامَ يَوْمًا فَوَجَّهُ الْبَرَّ أَنْ يَسْمَى إِلَيْهِ
وَأِنْ كَانَ الصَّدِيقُ قَلِيلَ مَالٍ يَضِيقُ بِذَرْعِهِ مَا فِي يَدَيْهِ
فَمِنْ أَسْنَى فَعَالٍ الْمَرْءِ أَلَا يَضُنُّ عَلَى الصَّدِيقِ بِمَا لَدَيْهِ

وقال آخر :

مَا ضَاقَتِ النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ أَلَدَّ مِنْ وَدِّ صَدِيقٍ أَمِينٍ
مَنْ فَاتَهُ وَدٌّ أَخٍ صَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ حَقَّ الْيَقِينِ

(١) عبد الله بن طاهر ، و يروى لعلي بن الجهم ، وهى له لا غيره (١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا أبو عيسى الأعمى الخباز ببغداد ، قال : أخبرني يحيى بن المعلم ، قال : مررت بعلي بن الجهم ، وقد أذن لصلاة الظهر ، وقد دخل المسجد يريد أن يركع (٢) ، فسلمت عليه وقلت له : لا يمكنني أن أقوم حتى تصلي لأنى مبادر ، قال : فيم ذا ؟ فقلت : أبيع قميصى هذا وأكفى به صديقا له قبلي يد . قال : فلم أمش إلا قليلا حتى ردني ، فقال لي : اكتب وأنشدني (٣) :

أَمِيلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ أُمِّي وَأَحْمِلُ لِلصَّدِيقِ عَلَى الشَّقِيقِ (٤)

(١) ساقط من ١ ، م .

(٢) ١ : ابن وكيع وهو تحريف .

(٣) هذه الرواية ساقها المؤلف لتصحيح نسبه الأبيات إلى علي بن الجهم ، والواقع أنها تنسب أيضا إلى أحد اثنين ، إلى عبد الله بن طاهر وقد ورد ذلك في عيون الأخبار ٢٦٦/١ ، أمالي القفال ٣١٤/٢ ، أولي إبراهيم بن العباس الصولي كما ورد في الأغاني ٢٣/١ (بولاق) ، زهر الآداب ١٥٦/٤ ، ٥٧ ، مهجم الأدباء ١٧٤/١ .

(٤) في أمالي و"معون : أميل مع الزمام ، وفي المعين : وأحمل الصديق .

وإن ألفتني ملكاً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق^(١)
أفرق بين معروف ومي وأجمع بين مالى والحقوق
قالوا : احذر من وترته وإن أحسنت إليه ، ومن أوحشته فلا تثق به .
قال الشاعر^(٢) :

إذا وترت امرئاً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عبداً
إن العدو وإن أبدى بشاشته إذا رأى منك يوماً فرصة وثباً
وقد تقدم في باب التودد إلى الناس أبيات تصلح في هذا الباب ، فلم أروجها
لتكرارها .

(١) في معجم الأدباء وزهر الآداب : حرا بطل ملكا .

(٢) هو صالح بن عبد القدوس كما سبق في ص ٩٦٠ ،

باب جامع متخير في الإخوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخال » .

(١) قال الأوزاعي : الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب ؛ إن لم تكن مثله شاتته (١) .

قال الشاعر :

وما صاحب الإنسان إلا كرقعة على ثوبه فلينخذه مُشًا كلا

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خير في صحبة من لا يرى لك كالذي يرى لنفسه » .

وفي الخبر المرفوع أيضا « شيطان لا يزدادان إلا قلة : درهم حلال ، وأخ في الله (٢) تسكن إليه » .

وقد روى مرفوعا : « المرء كثير بأخيه » .

قال علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه : لا خير في صحبة من تجتمع فيه هذه

(١) ساقط من ج .

(٢) ساقط من ا .

الخلال : من إذا حدثك كذبتك ، وإذا أئتمته خانتك ، وإذا أثمتك اتهمك ،
(١) وإذا أئتمت عليه كفرَكَ (٢) ، وإذا أنعم عليك منّ عليك .

ومن كلام أبي الدرداء : معاتبهُ الأخ أهونُ من فقدِهِ ، ومن لك بأخيك كله ،
فأعط أخاك ، وهب له ، ولا تطع فيه كاشحاً فتكون مثله .

وعن ابن عباس أنه قال : أَحَبُّ في الله ، وَأَبْغَضُ في الله ، وَعَادِي في الله ، فَإِنَّهُ
لَا تُنَالُ مَوَالَاةُ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ — وَلَوْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ
وَصَوْمُهُ — حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ . قال : ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر
الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله (٣) ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) ، وقرأ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٥) الآية .

قال المغيرة بن شعبه : النَّازِلُ لِلْإِخْوَانِ مَنَزُولٌ .

قال المنصور لإسحق بن مسلم العقيلي : مَا بَقِيَ مِنْ لَدُنِّكَ ؟ قال : أَخٌ أَشْتَهَى مَعَهُ
طُولَ السَّهْرِ ، وَدَابَّةٌ أَشْتَهَى مَعَهَا طُولَ السَّفَرِ .

قال جعفر بن محمد : حَفِظْتُ الرَّجُلَ أَخَاهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي تَرْكِهِ كَرَمٌ .

(١) ساقط من ١ .

(٢) في ١ : وذلك لا يجرى على أهلها .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

كان يقال : أنصحُ الناسَ لك^(١) من خاف الله فيك .

قال موسى بن جعفر : من لك بأخيك كله ، لا تستقص^(٢) عليه فتبقى بلا أخ .
كان يقال : الأخوة قرابةٌ مستفادة .

كان يقال : ما شيءٌ أسرع في فساد رجل وصلاحه من صاحبه .

ذكر الرياشي ، عن الأصمعي ، قال : ما رأيت شعراً أشبه بالسنة من قول
عديّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه
فكلُّ قرينٍ بالْمُقَارِنِ مُقْتَدِي
وصاحبُ أولي التَّقْوَى نلّ من تُقَادِمُ
ولا تصحب الأزدى فتزدى مع الرّدى^(٣)
وقال أبو العتاهية :

من ذا الذي يخفي عليّ لك إذا نظرت إلى قرينه^(٤)

قال الخوارزمي :

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالحٍ بفسادٍ آخر يفسدُ

(١) في ح : فيك .

(٢) في ١ : لا تستقص .

(٣) ورد البيتان معاً في : شعراء النصرانية ٤٦٦ ، جبهة أشعار العرب ١٠٢ ، وورد الأول في : معجم الشعراء ٢٥ ، عيون الأخبار ٧٩/٣ ، حاسة البحري ٣٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ٥٢ ، وقد نسب البيت لطرفة وورد في ديوانه ، ولكن الراجح أنها لهي .

(٤) ديوانه ٢٨٢ ، وفيه : خدينه بدل قرينه .

عدوى البلیدِ إلى الجلیدِ سريعةٌ والجرُّ يُوضعُ في الرمادِ فيخمدُ^(١)

كان سفيان بن عيينة يتمثل :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ يقرُّ بعينه وقرّة عين الفسل أن يصحب الفسل^(٢)

وقال صالح بن جَنَاح :

وصاحبٌ إذا صاحبَ حرًّا مُبرِّزاً زَيْنٌ وَيُزْرِي بالقُتَي قرناؤه^(٣)

وقال سهل الوراق :

تخيّرَ قرينًا لا يعيبُ^(٤) فإنه يقاسرُ لعمري بالقرين قرينه

وشرُّ خدينِ قاطعُ خدينه إذا حادَ يوماً عن هواه خدينه

وقال آخر :

إن النديمَ وإن الكأسَ صيرني كما تراني سليبَ العقلِ والدينِ^(٥)

^(٦) قالوا : من أراد أن يدوم له ودُّ أخيه ، فلا يمازحه ، ولا يعده موعداً

فيخلفه^(٦) .

(١) البيتان في التمثيل والمحاضرة ١٢٥ .

(٢) البيت في البيان والتبيين ٣/ ١٧٥ ، الحيوان ٧/ ١٥٨ . والفسل : النذل الذي لا مروءة له .

(٣) في ١ : وزراؤه .

(٤) في ٢ : لا يعاب .

(٥) في معاضرات الأدباء ١/ ٣٢٠ ، ورد الشطر الأول من البيت : إني غفلت عن الساق فصرقي .

(٦) ساقط من ١ .

أوصى رجلُ ابنه فقال : يا بني ! اصحب من إذا غبتُ عنه خَلَفَكَ ، وإن
حضرتَ كَنَفَكَ ، وإن لقي صديقَكَ استزادهُ لك ، وإن لقيَ عندوك
كَفَّهُ عَنْكَ .

وقال بعضهم : لا تؤاخذ شاعراً ؛ فإنه يمدحك بـشمن ، ويهجوك بمجاناً .

لابن أخى زُرِّ بن حُبَيْش^(١) :

وما استخبأتَ في رجلٍ خبيثاً ككدينِ الصَّدقِ أو حَسَبِ عتيقٍ

كان من كلام خالد بن صفوان : اصحب من إن صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ،
وإن أصابتك فاقة مانك^(٢) ، وإن رأى حسنة عدها ، وإن رأى سيئة كتمها وسترها ،
لا تخاف بوائقه ، ولا تختلف طرائقه .

قال أبو العتاهية :

لَكَ الخَيْرُ إِنِّي ناصِحٌ لَكَ فاسْمَعْ طمعتَ من الإنسانِ في غيرِ مَطْمَعٍ
طمعتَ من الإنسانِ في صَفْوٍ وُدِّهِ ألا ليس يَصْفُو ذُو طَبَائِعٍ أَرَبِعَ

(١) زر بن حُبَيْش بن حباشة بن أوس الأسدي ، من جلة التابعين ، وقد عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام
ولسكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان زرعاً عالماً بالقرآن فاضلاً ، سكن الكوفة وعاش فيها حتى مات
في وقعة بدر الجراح سنة ٨٣ هـ . انظر الإصابة ٥٧٧/١ (الأعلام ٧٥/٢) هذا ولم أستطع معرفة ابن أخيه
هذا الذي نسب المصنف إليه البيت ، وقد نسب في حماسة البحري ٢٥٦ يزيد بن الحسك الثقفي ومن المؤكد أن
يزيد ليس ابن أخى زر ، فيزيد ثقفي من الطائفة ، وزر أسدي كوفي .

(٢) مانك : احتمل مؤونتك .

خذ العفو من كل امرئ ثمّت ودّه وإن ضاق عما سُمّته فتوسع^(١)

ولأبي العتاهية أيضا :

ياربّ خدنٍ كنت آمن غيبه أصبح تنطف في يديه جراحه
سلّحه ليردّ بأس عدوه فعدا على فبزني بسلاحه^(٢)

وقال العاقولي^(٣) :

من يُكرم الناس يُكرّمه ومن يُهنهم يجد هواناً
ومن يُقل عثرة يُقلها ومن يُعن لم يزل مُعاناً
كان أخاً صاحباً زماناً فال عن وصلنا وخاناً
تاه علينا ، وصدّ عنا فما نراه ولا يرانا

وقيل لخالد بن صفوان : أيّ إخوانك أحب إليك ؟ قال : الذي يغفر زلّى ،
ويقبل على ، ويسدّ خللى .

قال المأمون : الإخوان على ثلاث طبقات : فإخوان كالغذاء لا يُستغنى عنهم أبداً ، وهم إخوان الصفاء ، وإخوان كالدواء يُحتاج إليهم في بعض الأوقات ، وهم

(١) لا توجد هذه الأبيات في ديوانه المطبوع .

(٢) هذه النسبة إلى دير العاقول وهي بلدة بالقرب من بغداد ، ذكر ابن الأثير في اللباب ٢/ ١٠٥ ، ٦
بعض من ينسب إليها من العلماء ، ولا يمكن القطع بنسبة الأبيات إلى أحدهم لجرد أنه عاقولي ، هنا وقد ورد
في ديوان ابن المعتز ٢/ ٢٣ البيتان الأخيران مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

الفقهاء ، وإخوان كالداء لا يحتاج إليهم أبدا ، وهم أهل الملق والتفاق
لا خير فيهم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : اصحب من ينسى معروفه عنده ،
ويذكر حقوقك عليه .

كان^(١) ابن عيينة ماشيا بمكة مع بعض إخوانه ، فنظر فإذا أحداث يتبعونه ،
فقال له : انظر من صار جلاسى اليوم بعد ثمانين سنة ... لقد كنت ابن عشرين سنة
وما كنت أجالس أبناء العشرين ، وإنما كنت أجالس الشيوخ والكهول ، ألم
تسمع إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ؟ قلت : لا . قال : قال عبيد الله :

أَلَا أبلغَا عني عِرَاكَ بْنَ مَالِكٍ فَإِنْ أَتَمَّا لَمْ تَفْعَلَا فَأَبَا بَكْرٍ^(٢)

ويروى : ولا تدعَا أَنْ تُثَنِّيَا بِأَبِي بَكْرٍ

(١) من هنا حتى آخر أبيات أبي الأسود الدؤلي في الصفحة التالية زيادة في ١ .

(٢) أما عراك فهو عراك بن مالك الففاري السكتاني المدني ، تابعي جليل ومحدث ثقة ، كان من أشهد
أصحاب عمر بن عبد العزيز على بي مروان في انتزاع ما حازوا من المي والظالم من أيديهم ، فلما ولي يزيد
ابن عبد الملك نفاه إلى دهلك على حدود اليمن ، ومات بها في خلافته على الأصح . انظر تهذيب التهذيب ١٧٣/٧ ،
١٧٣ ، وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المزرجي . فاضى الدينة وأميرها له ،
بن عبد العزيز ، كان عابدا ثقة كثير الحديث ، ويقال : إنه كان أعلم أهل المدينة بالقضاء ، توفي عن سن عالية
نحو سنة ١٢٠ هـ . انظر : شذرات الذهب ١٥٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٨/١٢ . هذا وقد ورد البيتان ضمن
أربعة أبيات لمبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه في مالى المرتضى ٣٩٨/١٢ ، ٣٩٩ ، وذكر هناك القصة الأصلية لها ،
كما وردت القصة أيضاً برواية مختلفة في الأغاني ٩١/٨ ، ٩٢ . وملخصها أن عراك بن مالك وأبا بكر بن حزم
وعبيد الله كانوا يتجالسون بالمدينة زمانا ، ثم إن ابن حزم ولي امرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا يمران بعبيد
الله فلا إسمان ولا يقنان ، وكان صريحا فأخبر بذلك فأنشأ يقول : وأورد الأبيات انظر البيهقي أيضا في عيون
الأخبار ١/٣ ، ٨ ، الحيوان ١٥٨/٧ .

فكيف تُلومَانِ ابنَ سبعينَ حجةً على ما أنى وهو ابنُ عشرينَ أو عشرينَ
وقال آخر :

أبن لى فكن مثلى، أو ابتغِ صاحبًا كمثلِكَ إني مبتغٍ صاحبًا مثلى
ولا يلبث الإخوان أن يتفرقوا إذا لم يؤلفَ روحَ شكلٍ إلى شكلٍ
قيل لبعض المدنين : أى الهوى أغلب ؟ قال : هوى مُتَشَاكِذَيْنِ .

ولعبد الصمد بن المعدل :

الناس أشكالٌ فكلُّ امرئٍ يعرفُه الناسُ بمتابِه
لا تسألنَّ المرءَ عن حالِه ما أشبهَ المرءَ بأصحابِه

وقال أبو الأسود الدؤلى :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ من الناسِ مثلهُ وكلِّ امرئٍ يَهْوَى إلى من يُشَاكِلُه
ومالكُ بُدٌّ من نزيلٍ فلا تسكنِ نزيلًا لمن يسعى به من يُنَازِلُه
وإن أنت نازلتَ الكريمِ فلاقِه بما أنت من أهلِ المروءةِ قائلُه
وإن أنت نازلتَ اللئيمِ فكنِ فتى تزياله فى فمِه وتحامِلُه
إذا لم تُدَاخِلْ رزٌّ من كان ذا حجبٍ وعزمٍ وحزمٍ لم تجذ من تُدَاخِلُه
وما الناسُ إلا بالأصولِ فإنما يُنَبِّتُ أعلى كلِّ بيتٍ أسافلُه (١)

وقال جرير^(١) :

وإني لأستحي أخى أن أرى له على من الحق الذى لا يرى لي

وفى هذا الشعر يقول جرير :

ألا تخافاً نبوتى فى مُلّة وخافا المنايا أن تقوتكما لي
تعرّضت فاستمررت من دون حاجتى خالك إننى مستمرّ لحاليا
وإنى لمنرور أعلل بالمنى لىالى أرجو أن مالك ماتيا
فأنت أخى مالم تكن لى حاجة فإن عرّضت أيقنت ألا أخاليا

وهذا البيت من شعر جرير هذا قد أدخله عبد الله بن معاوية^(٢) بن عبد الله

بن جعفر^(٢) فى أبياته التى يقول فيها ، فلا أدرى من تقدم صاحبه إليه :

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فكشفه التمحيص حتى بدا لي
فأنت أخى مالم تكن لى حاجة فإن عرّضت أيقنت ألا أخاليا
فلا زاد ما بينى وبينك بعد ما بلوتك فى الحاجات إلا تنائيا
ولست براؤ عيب ذى الود كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا

(١) الأبيات الآتية فى ديوان جرير ٥٠٦ ، وانظرها من قصيدة طويلة فى النفاذ ١٧٧ ط أوربا ، وفيها :

مأنه أبى ... لا أباليا .

(٢) ساقط من ١ ،

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانياً^(١)

وقد أدخل بعضهم في هذه الأبيات بيتين ، وهما :

ولست بهيَّابٍ لمن لا يهابُني ولست أرى للمرء مالا يرى لي
مضى تَدُنْ مِنِّي تَدُنْ منك مَوَدَّتِي وإن تَنَأَ عَنِّي تُلفني عنك نَأِيًّا^(٢)

^(٣) وقال روح أبو همام :

فَعَيْنُ السَّخَطِ تُظْهِرُ كُلَّ غَيْبٍ وعَيْنُ أَخِي الرِّضَا عَنْ ذَاكَ تَعْمَى^(٤)

وقال معن بن أوس :

إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني عيئك فانظر أي كَفٍّ تبدل^(٥)

(١) هذا البيت وارد في القطب ، وانظر الأبيات لمبداء بن معاوية في عيون الأخبار ٧٥/٣ ، الكامل ١٢٥/١ ، زهر الأدب ١٢٥/١ .

(٢) نسب هذا البيت في حماسة أبي تمام ١٦٤/١ لأبي بن حمام المديني ، وورد في بيت جرير الأول : وإلى لأسحسي ، والبيت الأخير من أبيات عبد الله : كلانا غنى . في قصيدة طويلة في أمالي القائل ٧٣/٣ ، ٧٤ لسيار بن هبيرة أحمد بن ربيعة الجوع بن مالك ؛ زيد مناة في عتاب أخويه خالد وزيداد ، كما نسب البيتان المذكوران في التمثيل والمحاضرة ٣١٠ للمنطبي ولا يوجد في ديوانه .

(٣) ساقط من ح ، وفي أ : قال أبو العتاهية وهو خناً قالبت ليس له ولم ير في ديوانه ، وسباني بالنسبة الصحيحة فيما بعد ، وانظره في الصداقة والصديق ٩٠ .

(٤) وزه البيتان لموسى لمن في حماسة أبي تمام ٣/٢ ، ٤ ، الكامل ٣٦٤/١ السوادري ٢١٨ ، حماسة البحتري ٢٨ ، ٩ ، العقد الفريد ٤٤٤/٤ ، ونسب في البيون ١٨/٣ لجرير وليس في ديوانه .

كتب ابن عمار^(١) إلى برجوان كتاباً فيه قول الشاعر :

بستقطع في الدنيا إذا ما قطعني^٢ يمينك فانظر أي كف تبدل

فدعا برجوان شاعراً كان قد استخضه يعرف بابن أعين ، وقال له : أجب عن

هذا البيت ، فقال :

ومازلت أهدى النصيح حتى أطرحته وأقبلت عن سبيل الهداية تعدل

فهبك عيني استخبثت فقطعتها لتسلم لي نفسي أم الهلك أوجل

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن المرء تدوى عينه فيقطعها عمداً ليسلم سائرته

فكيف تراه بعد يمناه فأعلاً بما ليس منه حين تدوى سائرته^(٢)

أنشدني أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان ، قال : أنشدنا أبو محمد^(٣) قاسم

ابن أصمغ ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبي خيثمة لأبي الشيص محمد^(٤) بن عبد الله

ابن رزين^(٥) :

(١) لعله إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل الأسدي ، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأندلسية والعباسية ، كان هجاء مرأ ، وقدايمه إلى الكوفة بأنه من الفراء ، وأنه من دعاة المختار بن أبي عبيد القفي ، فبجته ولم يطلق سراحه طيلة ولايته ، فلما تولى الكوفة لحكم بن الصلت أطلقه وأحسن إليه فأكثر من مدحه ، وقد توفي ابن عمار حوالي سنة ١٥٧ هـ . انظر الأغاني ١١/٣٦٤ وما بعدها (طبعة دار الكتب) . هذا ولم أعثر على ترجمة لبرجوان أو شاعره ابن أعين فيما تحت يدي من مراجع .

(٢) تدوى : تمزق ، وانظر البيتين في الثبيل والمحاضرة ١٠٣ ، نهاية الأرب ٩٦/٣ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) انظر الأبيات في الصفحة التالية في الصداقة والصديق ٥٣ ، ومع اختلاف في الترتيب في عيون الأخبار ٨١/٣ ،

وهذه الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ في العمدة للزبيد ٢/٣٤٧ مذكورة لابن أبي حارم ، وانظر المحاسني والأصهار ٤١ ،

صاحبٍ كان لي وكنتُ لهُ أشفقَ من والدٍ على ولدٍ
 كنا كساق تَسْمى بها قدمُ أو كذراعٍ نِيْطتْ إلى عَضْدٍ
 وكان لي مُؤْنِسًا وكنتُ له لبستُ بنا حاجةً إلى أحدٍ
 حتى إذا حلتِ الحوادثُ مِن ساحتِي وحلَّ الزمانُ من عُقْدِي
 احوَلَّ عني وكان ينظرُ مِن عَيْنِي ويرمي بساعدي ويَدِي
 'حتى إذا استرفدتْ يدي يدهُ كنتُ كمسترفدٍ يد الأسدِ' (١)

وقال آخر :

وإني لأستحي أخى أن أبرُّهُ قريباً وأن أجفوهُ وهو بعيدُ

وقال آخر :

قلت للفرقدَيْنِ إذ طال لَيْلي وهما في السماء مُقترنانِ
 [ابقيا كيف شِئتما عن قليلِ سوف تُطَوِّي السَّما وتُفترقانِ] (١)

فيل لأعرابي : لم قطعت أختاك من أهلك ؟ فقال : إني لأقطع الفاسد من جسدي
 الذي هو أقرب إلي من أبي وأمي وأعز فقدا .

قال ابن ميادة :

ألم تك في مِئني يدك جعلتني فلا تُجعلني بعدها في شِمالِكَا

وقال آخر :

لا تهنّ بعد أن أكرمّني فشدّيدٌ عادةٌ منتزعة^(١)

وقال آخر :

وكلُّ أخٍ مفارقةٌ أخوه لعمرُ أهلك إلا الفرقدان^(٢)

وقال آخر^(٣) :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارٌ

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لم يك من شكلي ففارقته والناسُ أشكالٌ وألأف^(٤)

وقال ابن الرومي^(٥) :

* وبعض السجايا ينتمين إلى بعض *

^(١) نسب البيت في مهين الأبحان ١٩٥/٣ لأبي العياد ، ونسب في حاسة البعري ٤٠٩ ، إلى أنس بن أبي أنس اللبي ، وليهما ؛ بعد إكرامك لي ، ونسب في زهر الأذباب ٣٦٦/١ إلى أبي الأسود ، وورد في إعقاب الكتاب ٢٥٥ بدون نسبة .

^(٢) ورد البيت في المؤلف ٨٥ ، حاسة البعري ٢٣٤ منسوباً إلى حضرمي بن عامر ، ونسب إلى عمرو ابن معد يكرب في الكامل ٢/٢٩٨ ، البيان والنبين ١/٢٣٣ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٢٣٥ بدون نسبة .

^(٣) هو جزير ، انظر ديوانه ٢٠١ .

^(٤) في : لم يك لي شكلا ، وانظر البيت في المؤلف والمختاب ٨٥ ، الحياض والمساوي ٢/٢٠٦ ،

^(٥) لم ترد هذه الشطره فيما طبع من ديوانه .

قال حبيب :

ولن تنظم العِقْدَ الكَعَابُ لَزِينَةٍ كما ينظمُ السَّمْلَ الشَّتِيتَ الشَّمَائِلُ^(١)

وقال المُسَاحِقِي :

تَزَهْدَنِي فِي وَدَّكَ ابْنَ مُسَافِغٍ مودُ تَكِ الْأَرْذَالَ دُونِ ذَوِي الْفَضْلِ
وَأَنْ شِرَارَ النَّاسِ سَادُوا خِيَارَهُم زَمَانَكَ إِنْ الرَّذْلُ لِلزَّمَنِ الرَّذْلُ^(٢)
قال أكرم بن صيفي : أحقُّ من يَشْرَكَكَ في النعمة شرَكَؤُكَ في المكاره .

أخذه دعبل فقال ، ويروى لحبيب :

وإن أَوْلَى البرايا أَنْ تَوَاسِيَهُ عند السُّرُورِ لِمَنْ وَاسَاكَ فِي الْحَزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا مَا خَلِيلِي أَسَا مَرَّةً وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِهَا مُجْمَلًا
شَكَرْتُ الْمَقْدَمَ مِنْ فَعْلِهِ وَلَمْ يُفْسِدِ الْآخِرُ الْأَوَّلَا^(٤)

(١) ديوانه ٣٠٥ .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٨/٣ .

(٣) نسب البيتان لأبي تمام في خاص الحماص ٩٥ ، عيون الأخبار ٢٠/٣ ، وانظرهما في ديوانه ٣١٤ ، ونسبا لاصول ووردا في ديوانه ١٧٧ ، وانظر وفيات الأعيان ٢٩/١ ، معجم الأدباء ١٩٢/١ ، ويروى لمن والاك بدل واساك ، وانظر التحقيق في ديوان دعبل ٣٥٧ .

(٤) ورد البيتان في العقبة الفرید ٢٧٧/٢ لمسويين لطاهر بن عبد العزيز ، ونسبا في محاضرات الأدباء ٥/٢ لابي منصور القتيبي .

وقال امرؤ القيس بن عانس الكندي^(١) :

إِنِّي بِحَبْلِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي وَبِرَيْشِ نَبْلِكَ رَائِشُ نَبْلِي
وَشِمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَمَا نَبَحَتْ كَلَابُكَ طَارِقًا مِثْلِي

قال عَمِيْدُ^(٢) :

لَا أَلْفَيْتُكَ بِعَمَّةِ الْمَوْتِ تَنْدُمُنِي وَفِي حَيَاتِي مَارُودُنِي زَادِي
الْخَيْرُ أَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِي

قال آخر :

وَإِذَا تَكُونُ عَظِيمَةً أُدْعَى لَهَا وَإِذَا يَحْأَسُّ الْحَيْسُ يُدْعَى جَنْدَبُ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ وَيَحْمِلُ مِنْكَ الْحَقُّ فَالْتَرَكْ^(٤) أَجْمَلُ

(١) مضمون ترجمته لها سبق ، وانظر البيتين في الأغاني ٢١٣/١

(٢) انظر البيتين لعبيد بن الأبرص في التمثيل والمحاضرة ٥٥٠ ، الشعر والعجاء ١٤٥ ، اللسان ٣٩٧/١٥ ، والأول في البيان والبيان ١٠٥/٣ فصل القال ٢٠٥ ، الصداقة والصدق ٨١ ، وورد الثاني في العقد الفريد ٣٠/٤ إلى النافذة ، هذا وقد فصل ناسخ اللسعة ج بين البيتين بكلمتي : قال آخر ، وهو خطأ .

(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن فيعجن شديدا ثم ينذر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق ، هذا وقد ورد البيت وحده ومع أبيات في كثير من كتب الأدب ، واختلفت نسخته فيها . ففى حاسة البحرى ١٠٩ قال : إله لعامر بن جوين الطائى أو منقذ بن مرة السكتانى ، وفى المؤلف ٣٨ ، أمالى القالى ٨٥/٣ نسب لابن أحمر السكتانى أو زرافة الباهلى ، ونقلت هذه النسبة بنصها فى اللسان مادة حيس ، وانظر البيت ضمن سبعة أبيات فى عيون الأخبار ١٨/٣ و ١٩ ، وانظر التحقيق فى هامشه ، فقد أورد للأبيات نسبة أخرى .

(٤) فى ح : فالصبر .

وفي البُعْد منجاةٌ وفي الصرم راحةٌ وفي الأرضِ عن لا يواتيك مرَّحِلٌ^(١)
وقال آخر :

لَهُ حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ ومَهْمَا قال فالحسنُ الجميلُ
وقد كان الرسولُ يرى حقوقًا عليه لأهلها وهو الرسولُ^(٢)
قال آخر :

وددُّتُك لما كان ودُّكَ خالصًا وأعرضتُ لما صار نهبًا مُقسَّمًا
ولن يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه على كُرِّهِ الوَرَادِ أن يتهدَّمًا^(٣)
وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

”نعم الزمانُ زمارني والشانُ في إخواني
ممن رمايَ لَمَّا رأى الزمانُ رمايَ“
لو قيل لي خذ أمانًا من أعظم الحداثِ

(١) ويروي : مزحل وما يعني ، وانظر البيهقي في عيون الأخبار ١٩/٣ ، وفيها : وفي العيش منجاةٌ وفي الهجر راحةٌ .

(٢) نسب البيهقي في الكامل ٣٢٢/١ إلى عبد الله بن حسن بن حسن ، ووردا في عيون الأخبار ٢٠/٣ بدون نسبة ، وفيهما : عليه لغيره بدل أهلها ، وفي زهر الآداب ١٢٦/١ أنهما لأبي عامر محمد بن حمزة الأسدي في الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

(٣) البيهقي في زهر الآداب ٢٦/٤ ، محاضرات الأدباء ١٠٥/٢ وفيها : تبعك لما كنت عني ممثما بدل الشطرة الأولى .

(٤) سائط من ١ .

لما أَخَذْتَ أَمَانًا إِلَّا مِنَ الْإِخْوَانِ^(١)

وقال أيضاً :

وَكُنْتَ أَخِي بِإِخَاءِ الزَّمَانِ فَلَمَّا نَبَأَ صَرْتَ حَرْبًا عَوَانًا
وَكُنْتَ أَذْمُ إِلَيْكَ الزَّمَانِ ^(٢)فَأَصْبَحْتَ فِيكَ أَذْمَ الزَّمَانَا
وَكُنْتَ أَعْدُكَ لِلنَّائِبَاتِ^(٣) فَمَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا^(٤)

وقال آخر — وهو كُثِيرٌ عَزَّة^(٥) :

خَيْرَ إِخْوَانِكَ الْمَشَارِكِ فِي الْمَرَّةِ (م) وَأَيْنَ الشَّرِيكَ فِي الْمَرَّةِ أَيْنَا
الَّذِي إِنْ حَضَرْتَ زَانِكَ فِي الْحَيِّ (م) وَإِنْ غَبْتَ كَانَ أَذْنًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَبْتَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا حَضَرْتَ قَالُوا جَمِيعًا : أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْعِبَادِ عَلَيْنَا

وقال آخر :

لَحَا اللَّهُ وَصَلًا إِنْ تَغَيَّبْتَ سَاعَةً فَأَنْتَ وَأَقْصَى النَّاسِ فِيهِ سَوَاءُ
وَخِلًا إِذَا لَمْ تَأْتِهِ بِهَدِيَّةٍ^(٥) بَدَتْ لَكَ مِنْهُ غَفْلَةٌ وَجَفَاءُ

(١) الأبيات في ديوانه ١٦٨ .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) الأبيات في ديوانه ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) وردت الأبيات غير منسوبة في المقدم الثريد ٣٠٨/٢ ، وانظرهما في ديوان كثير ١٩٤/٢ .

(٥) ساقطة من ١ .

وقال المُثَقَّبُ العبَّدي^(١) :

تَوَاعِدُنِي مَوَاعِدَ كَذِبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَاخُ الصَّيْفِ دُونِي
فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍّ فَيَعْرِفَ مِنْكَ غَيًّا مِنْ سَمِينِي^(٢)
وإِلَّا فَاطْرِحْنِي^(٣) وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتَتَّقِينِي
فَإِنِّي لَوْ تُعَانِدُنِي شِمَالِي عُنَادُكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
إِذَا لَقَطَعْتُهَا وَلَقَلْتُ يَدِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مِنْ يَحْتَوِينِي

وقال آخر :

أَفَّا وَتَفًّا لِمَنْ مَوَدَّتُهُ إِنْ زُلْتَ عَنْهُ سُوَيْعَةً زَالَتْ
إِنْ مَالَتْ الرِّيحُ هَكَذَا وَكَذَا مَالَ مَعَ الرِّيحِ حَيْثَا مَالَتْ^(٤)

وقال صالح بن عبد القدوس^(٥) :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَحْحٌ أَمْ عَلَى غَشٍّ يُدَاجِينِي

(١) ديوانه ٢٩ .

(٢) في عيون الأخبار ٧٧/٣ حماسة البحتري ٧٩ : فأعرف منك غيًّا من سميني .

(٣) في ديوانه وفي الشعر والشعراء ٢٣٤ فاتركوني ، وفي عيون الأخبار : فاجتذبي .

(٤) انظر البيتين في التمثيل والمحاضرة ٢٤٢ .

(٥) وردت أبيات صالح في حماسة البحتري ٧٩ ، ٨٠ ما عدا الأبيات ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ووردت كلها في تهذيب ابن عساكر ٤٥/٣ منسوبة إلى أسماء بن خارجة ، ووردت مفردة في محاضرات الأدباء ١٤١/١ (٣ أبيات) ، الصداقة والصدق ١٢١ (٤ أبيات) ، فصل المقال ٤٣ (٦ أبيات) مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية من كتاب إلى آخر .

إِنِّي لَأَكْثَرُ مِمَّا سُمِّتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشَجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُورُنِي
تَتَنَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخِرِينَ ، وَكُلُّ عَنْكَ يَا تَبَنِي
هَذَا أَمْرَانِ شَتَّى الْبَوْنُ بَيْنَهُمَا فَكَفَفْ لِسَانَكَ عَنْ ذَمِّي وَتَرْبِيَنِي
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْكَ الْوَدَّ هَانَ إِذَا عَلَى بَعْضِ الَّذِي أَصْبَحْتَ تَوَلِيَنِي
لَا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ مَا فِي ضَمِيرِي لَهُمْ مِنْ ذَاكَ يَكْفِينِي
أَرْضَى عَنِ الْمَرْءِ مَا أَصْفَى مَوَدَّتَهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَغْضَاءِ يُرْضِينِي
وَاللَّهِ لَوْ كَرِهْتَ كُنْتُ مَصَاحِبَتِي لَقُلْتُ إِذْ كَرِهْتَ قُرْبِي لَهَا يَبْنِي
ثُمَّ اثْنَيْتُ عَلَى الْآخَرَى فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ تَسْنِدِينِي وَإِلَّا مَثَلَهَا كَوْنِي
لَا أَبْتَغِي وَدًّا مِنْ يَبْغِي مَقَاطِعِي وَلَا أَلِينُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيَنِي
إِنِّي كَذَاكَ إِذَا أَمْرٌ تَعَرَّضَ لِي خَشِيتُ مِنْهُ عَلَى دُنْيَايَ أَوْ دِينِي
خَرَجْتُ مِنْهُ وَوَعَرَضِي مَا أَدْنَسُهُ وَلَمْ أَقُمْ غَرَضًا لِلنَّذْلِ يَرْمِينِي
رُبَّ أَمْرٍ أَجَنَّبِي عَنْ مُلَاطَفَتِي مَحْضِ الْمَوَدَّةِ فِي الْبَلَوِ يَوَاسِينِي
وَمُلْطَفٍ بِي مِدَارٍ ذِي مَكَاشِرَةٍ مُغْضٍ عَلَى وَغَرٍ فِي الصَّدْرِ مَكُونِي
لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تُخْشَى بَوَادِرُهُ وَلَا الْعَمْدُ عَلَى حَالٍ بِأَمُونِي
يُلْوِمُنِي النَّاسُ فِيمَا لَوْ أَخْبَرْتُهُمْ بِالْعَذْرِ مَنَى فِيهِمْ يُلْوِمُونِي

وقال آخر :

لسانك معسول ونفسك شحّة^١ ودون الثريا من صديقك ما لكأ

وقال آخر :

بنو عبس أشدّ الناس بغضاً لنا وأشدّهم بغضاً إلينا
فلا تقبل شهادتنا عليهم ولا تقبل شهادتهم علينا

قال لقمان لابنه : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة .

قال بعض الحكماء : الإخوان بمنزلة النار ؛ قليلها متاع ، وكثيرها بوار ، فلا تسرنّ بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أخياراً .

قال أسماء بن خارجة : إذا قدّمت المودة سُمّج الشاء .

قال أبو العتاهية :

انت ما استغنيت عن صا جبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه ساعة جبك قوة
لو رأى الناس نبيّاً سائلاً ما رحموه^(١)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٩٥ ، وفيه : ما وصوره بدل ما رحموه .

وقال سويد بن منجوف :

فأبلغ مُصعباً عنى رسولا وهل تجدُ النصيحَ بكلِّ وادٍ
تعلّم أن أكثرَ من تناجي وإن ضحكوا إليك هم الأعداى

وقال آخر :

لعمرك ما وُدَّ اللسانِ بِنافعٍ إذالم يكن أصلُ المودة في القلبِ^(١)

كان يقال : تناس مساوى الإخوان ، يَدُم لك ودُّهم .

وقال آخر :

يا غارساً شجر الكرو م بجبله وسط السباخ
ومحضناً ييض القطا تحت الحدّ الرجا الفِراخ
إن الذين تودُّهم هم ناصبوا شبك الفخاخ
ذهب الزمانُ بأهله فانظر لنفسك من تؤاخ^(٢)

وقال عبدة بن الطيب :

إن الذين تروّهم إخوانكم يشفي صداع رؤوسهم أن تُصرَّعوا

(١) البيت في عيون الأخبار ٧٨/٣ ، البيان والتبيين ٢٢٢/١ ، وفيه : في الصدر بدل القلب .

(٢) وردت أبيات قريبة من هذه في ديوان أبي نواس ١٥٤ هـ :

يا واضحا ييض القطا تحت الزمامج للفراخ
لو أيقنت ما تحتها لم تخل من فقر الصاخ
فسد الحلاق كلهم فانظر لنفسك من تؤاخ

فَضَلَتْ عِدَاوَتَهُمْ عَلَى أَخْلَامِهِمْ وَأَبَتْ ضَبَابَ صَدُورِهِمْ مَا تُنَزِعُ
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشُبُّ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعِدَاوَةِ يَرْضَعُ^(١)

قال لقمان لابنه : يا بني ! إياك وصاحبَ السوء ، فإنه كالسيف المسلول ، يعجبك
منظره ، ويقبح أثره .

قال المثقّب العبدي^(٢) :

وَمُصَاحِبُ السَّوِّءِ كَالذَّاءِ الْعِيَاءِ إِذَا مَا رَفَضَ فِي الْجُوفِ يَجْرِي مَاهُنَا وَهَنَا^(٣)
يُنْبِي وَيُخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وَمَا رَأَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفَنَّا^(٤)
كَمِهرِ سَوِّءٍ إِذَا رَفَعَتْ سِيرَتَهُ رَامَ الْجِمَاحَ وَإِنْ أَخْفَضَتْهُ حَرَنَّا^(٥)
إِنْ يَحْيَ ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِعَمَلَةٍ أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَقْرُبْ لَهُ جَنَنَّا^(٦)

ولقنّب بن أم صاحب ، وهو قنّب بن حمزة ، أحد بني عبد الله بن غطفان ،
^(٧) يهجو بني ضبة - حتى من غطفان -^(٧) :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسَوِّءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٢/٢١ ، حساسة البحوى ٢٤١ .

(٢) الأبيات في ديوانه ٣٣ ، وقد نسبت في أمالي القالي ٢/١٨٢ إلى رافع بن إبراهيم اليربوعي ، ولست
في البيان والتبيين ٣/١٣٩ إلى الملقنّ الكندي .

(٣) ورد هذا البيت في نسخة ح على هيئة كلام نثرى . والرواية في الأمالي الغميص بدل العياء .

(٤) في أ : يفتي بدل ينبي ، وفي الأمالي : يبدى ويظهر . . وما رأى من فعال صالح ... الخ .

(٥) في أ : راحت مسرته بدل رفعت سيرته ، وفي الأمالي : سكنت بدل رفعت ، ورفعت بدل أخفضته .

(٦) الجنن : القبر ، والرواية في الأمالي : إن عاش ذاك فأبعد عنك منزله ... الخ .

(٧) ساقط من أ وانظر الأبيات التالية في حساسة أبي تمام ٢/١٧٩ ، عيون الأخبار ٣/٨٤ .

فَطَّائِفَةٌ فَبَطَّسُوهُمَا لَوْ تَكُونُ لَهُمُ مَرُوءَةٌ أَوْ تَتَّقِي اللَّهَ مَا فَطَّسُوا
 إِنْ يَسْمَعُوا سَبِّكَ طَارُوا بِهِ فَرَحًا مَنِّ ، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
 جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُهِنَا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِثْتَ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ
 فَلَنْ يَرَا جَعَ وَدَّى وَدَهُمْ أَبَدًا وَكُنْتَ مِنْ بَعْضِهِمْ مِثْلَ الَّذِي زَكَّنُوا^(١)
 روى عن معاذ بن جبل ، وقد رفعه بعضهم ، قال : إذا أحببت أخا في الله فلا تماره
 ولا تشاره ولا تسلم عنه أحدا ، فربما صادفت له عدوا فأخبرك بما ليس فيه ، فخال
 بينك وبينه .

قال أبو الأسود الدؤلى :

وَصِلُهُ مَا اسْتَقَامَ الْوَصْلُ مِنْهُ وَلَا تَسْمَعْ بِهِ قِيْلًا وَقَالَ^(٢)

قال محمود الوراق :

لَسْتُ مِنْ يَمَازِقِ الصَّاحِبِ الْوَدِ إِذَا أَظْهَرَ الْجَفَاءَ الصَّرِيحَا
 أَنَا أَنَاهُ مَا اسْتَطَعْتُ فَإِنْ لَسَجَّ أَعْرَتْ الْفَوَادِ يَأْسَا مُرِيحَا
 غَيْرَ أَنِّي عَلَى الْقَطِيعَةِ لَا أَظْهَرُ هُجْرًا وَلَا أَقُولُ قَبِيحَا

(١) زَكَّنُوا : ظَنُّوا عَنْ يَقِينٍ ، وَيُرْوَى : قَلْبِي بَدَلُ وَدَى ، وَأَمْرُهُمْ بَدَلُ بَعْضِهِمْ ،

(٢) الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ٢٠٦ .

بَابُ الْعِتَابِ

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : أَعْقَلُ النَّاسِ أَعْذَرُهُمْ لَهُمْ .

قال الأحنف : العتابُ مفتاحُ التَّقَالِي ، والعتابُ قرينُ الحقد .

وعن الأعمش قال : قال أعرابي : طابُ من ترجو رجوعه .

قال بعض الحكماء : العتاب علامة الوفاء ، وملاح الأَكْفَاء ، وحاصد الجفاء^(١) .

قال العتابي : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وضربةُ الناصح خير من محبة الشاني .

قال بعض الحكماء : من كثر حقه قلَّ عتابه .

قال محمد بن داود : من لم يعاتب على الزَّلة ، فليس بِحَافِظٍ لِلْخَلَّةِ .

قال أسماء بن خارجة : الإكثار من العتاب ، داعية إلى الملل .

قيل لبعض الأعراب : من الأديب العاقل ؟ قال : الفَطِنُ المتغافل .

قال بعض الأدباء : من أحب أن يسلمَ له صديقه ، فليقبلْ عُذْرَهُ ، وليقبلْ عتابه ؛

فإن العتاب يجرُّ الملل^(٢) .

(١) في ١ : صلاح الأكفاء ، وعاضد الجفاء .

(٢) في ٢ : بحر العتاب .

قال غيره : العتاب مفتاح القطيعة .

قال عمرو بن بحر : العتاب رَأْدُ الإِنصاف ، وشفيع المودة ، ويد للمحافظة .

أنشدنا الرياشي ، وهى لهشام الرقاشي ^(١) :

أبلغ أبا مِسْمِجٍ عني مُغْلَمَةً وفي العتاب حياةً بين أقوامٍ ^(٢)
 قدّمت قبلي رجلاً لم يكن لهمُ في الحق أن يلجوا الأبواب قدّامي ^(٣)
 لو عدّ قبرٌ وقبرٌ كنت أكرمهم قبراً ، وأبعدهم من منزل الدّام ^(٤)

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أعاتبُ من يحلو بقلبي عتابه وأتركُ من لأشتهي ، لأهاتبه

وقال آخر :

وليس عتابُ المرء للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لبّ يعاتبه ^(٥)

(١) وردت الأبيات منسوبة لهشام الرقاشي في البيان والتبيين ٣/٣٢٤ ، العقد الفريد ١/٨٠ ، ونسبت إلى عصام بن عبيد الزماني في معجم الشعراء ٢٧٠ ، تاج العروس مادة غل ، حساسة أبي تمام ١/٤٧٥ ، ونسبت إلى أبي القمقام الأسدي في عيون الأخبار ١/٩١ ، ٩٢ ، وانظر التنبيل والمحاضرة ٤٦٥ .

(٢) المغنلة : الرسالة المحمودة من بلد إلى بلد . والرواية في العيون : أبا مالك بدل أبا مسمج .

(٣) رواية الحناسة : قوماً بدل رجلاً . وأن يدخلوا بدل يلجوا .

(٤) اختلقت رواية هذا البيت في المراجع ، فقد وردت كما هنا في البيان ، ثم اختلفت بعد ذلك ، ففى العقد : لوعد قوم وقوم كنت أقربهم قرى . وفي العيون : ... بيت وبيت كنت أقربهم بيتاً ، وفي الحناسة ومعجم الشعراء وتاج العروس : أكرمهم ميتاً ... إلخ .

(٥) البيت لبشار ، من قصيدته المعروفة : إذا كنت في كل الأمور معاتباً ، انظره في ديوانه ١/٣٠٩ .

وقال آخر:

أُعَاتِبُ مَنْ أَحْبَبْتُ فِي كُلِّ زَلَّةٍ لِيَحْتَمِيَ الْأَمْرَ الَّذِي مَعَهُ الْقَتَبُ
فَإِنِّي أَرَى التَّأْدِيبَ عِنْدَ وَجُوبِهِ بِمَنْزِلَةِ النَّيْثِ الَّذِي قَبْلَهُ الْجَدَبُ^(١)

وقال علي بن الجهم:

أُعَاتِبُ ذَا الْمَوَدَّةِ مِنْ صَدِيقٍ إِذَا مَا رَأَيْتُ مِنْهُ اجْتِنَابُ
إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدٌّ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ^(٢)

وقال آخر:

لَوْلَا مَحَبَّتُكُمْ لَمَا عَاتَبْتُكُمْ وَلَكِنْ كُنْتُ عِنْدِي كِبَاضُ النَّاسِ^(٣)

وقال نصر بن أحمد:

وَتَعَاتَبُ الْإِخْوَانُ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِمَثَلِ عَلَى الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ
لَوْلَا اعْتِرَافِي بِاعْتِرَافِكَ فِي الَّذِي تَأْتِي وَتَتْرُكُ مَا أَتَاكَ مَلَامِي

وهذا يشبه قول البحتري^(٤):

أَبَاحَسِّنْ مَا كَانَ عَتِيكَ دُونَهُمْ لَوَاحِدَةٍ إِلَّا لِأَنَّكَ تَفْهَمُ

(١) ق ١: فَإِنِّي رَأَيْتُ الْعَنْبَ، وانظر البيت في التمثيل والمحاضرة ٢٢٩.

(٢) انظر البيت في ديوانه ٧.

(٣) نسب البيت في وفيات الأعيان ٢/٢٣٠ إلى العباس بن الأخنف ولم أعثر عليه في ديوانه.

(٤) ديوانه ٢/١٤٦.

وقال نصر بن أحمد :

إن كان لفظي كريها فاضطرب فعلى
لولا العوارض ما طاب العتاب لنا
كُره العلاج يُصحُّ الله أبداناً
لولا قِصَارُتُنَا للشوب ما زاناً^(١)
إني أعاتب إخواني وهم ثقتي
طورا وقد تُصَنِّقُ^(٢) الأسياف أحيانا
هي الذنوب إذا ما كُشِفَت دَرَسَتْ
من القلوب وإلا صِرْنَ أضغاثا

وقال ابن وكيع :

عتابي أخى في كل ذنب أتى به
ولست أرى وجهاً لترك عتابه
خوفٌ على حال الأخوة في الودِّ
على ما جرى إذ كان خيرا من الحقْد
وقال ابن بسّام :

عاتب أخاك إذا هفأ
وإذا أتاك بغيثه
واعطف بؤذك واستعده
واش فقل لم يعتمده
من ناقش الإخوان لم
يُبدِ العتاب ولم يُعده

وقال محمد بن أبي حازم :

خل عنك العتاب إن
خان ذو الودِّ أو هفأ

(١) قصارة التوب : فضله وتبويضه .

(٢) في ١ : تفتل .

عَيْنُ مَنْ لَا يُحِبُّ وَصَهْ لَكَ تُبْدِي لَكَ الْجَفَا^(١)

وقال بشار المقيلى :

إذا كنتَ فى كلِّ الأمور معاتباً صديقك لم تلقِ الذى لا تُعَاتِبُهُ
فَعَشَ واحداً أو صل أخاك فإنه مُقَارَفَ ذنب مرة ومجانبة
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئتَ وأى الناس تصفو مشاربُهُ^(٢)

وقال آخر :

البس الناس ما استطعت على النَّقْصِ وإلا لم تستقم لك خُلَّةٌ
عش وحيداً إن كنت لا تقبل العُدْ رَ وإن كنت لا تجاوز زَلَّةً^(٣)

وقال آخر :

خذ من صديقك ما صَفَا لَكَ لا تكن جَمَّ المعايِبِ
إن الكثير عتابُهُ إِنْ إخوان ليس لهم بصاحب

وقال أحمد بن يوسف^(٤) :

رَأَيْتُكَ لَا تَمِيلُ إِلَى صَوَابٍ وَلَا تَرْضَى الصَّوَابَ مِنَ الْجَوَابِ

(١) عيون الأخبار ١١٠/٣ ، العقد الفريد ١٣٤/٣ ، والثانى فى فصل المفال ٣٨٤ .

(٢) الأبيات فى الديوان ٢٠٩/١ .

(٣) البيتان لأبى المتاهية ، انظر الديوان ٢٣٦ .

(٤) ابن القاسم بن صبيح المعروف بالكاتب ، وزير من كبار الكتاب ، ولى ديوان الرسائل للمأمون .
ثم استوزره بعد خالد الأحول ، وكان فصيحاً قوى البديهة ، يقول الشعر الجيد . انظر : تاريخ بغداد ٥/٢١٦ ،
لوزراء والكتاب ٣٠٤ (الأعلام ١/٢٥٨) .

وتركك ما يريئك في كثير
أحف عليك من طول العتاب
ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

خليّ لو كان الزمان مساعدي
وعاتبتماني لم يضق عنكما صدري
فأما إذا كان الزمان معاندي
فالكما أن تؤذياني مع الدهر
وقال آخر :

إن الظنّين من الإخوان يُبرّمه
طول العتاب وتغنيه المعاذير
وذو الصفاء إذا مسّته معتبة
كانت له عظة منها وتذكير
وهذا قول مميّز منصف ، حكم فعدل ، وشرح فأوضح .

أنشد نَفْطَوَيْه :

وكم من مُليم لم يُصِب بَمَلامَةٍ
ومُتَّبِع بالذَّنْب ليس له ذنبُ
وكم من محبّ صد من غير بغضة
وان لم يكن في ودّ خلّته عَثْبُ^(١)
وقال أبو العباس الناشي :

ولست معاتباً خِلاًّ لِأَنِّي
رأيتُ العتبَ يُغري بالعتُوقِ
ولو أني أوقفتُ لي صديقاً
على ذنبٍ بقيتُ بلا صديق

(١) انظر البيتين في أمالي الغالي ١٦/١ .

وله :

إني ليهجرني الصديقُ تجنيًا فأريه أن لهجره أسبابًا
وأخاف إن عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتابًا^(١)

وقال آخر :

عتبت عليّ ولا ذنب لي بما الذنب فيه بلا شك لك
وحاذرت لومي فبادرتني إلى اللوم من قبل أن أدرك^(٢)
فكنا كما قيل فيما مضى خذ اللعس من قبل أن يأخذك^(٣)

(١) البيان في وفيات الأعيان ٣/٥٣ .

(٢) ن ١ . وبادرت بدل حاذرت ، وفي العيون : قبل أن أهدرك .

(٣) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٣/١٠٨ .

بابُ الثَّقَلَاءِ وَالطُّفَيْلَيْنِ

سئل جعفر بن محمد عن المؤمن ، هل يكون بغيضاً ؟ قال : لا يكون بغيضاً ،
ولكن يكون ثقيلاً .

قال سفيان بن عيينة : قلت لأيوب السخيتاني^(١) : لِمَ^(٢) لَمْ تَكْتَبْ عَنْ
طاووس^(٣) ؟ قال : أُتَيْتُهُ فوجدته بين ثقلين ؛ عبد الكريم بن أبي المخارق^(٤) ،
وليث بن أبي سليم^(٥) .

(١) هو أيوب بن (أبي تيمية) كيسان السخيتاني البصري ، سيد فقهاء عصره ، من السابك الرهاد ،
ومن أجل حفاظ الحديث الثقات . توفي سنة ١٣١ هـ . انظر في ترجمته تهذيب التهذيب ٢٩٧/١ ، الباب
٥٣٦/١ .

(٢) و ١ : مالك لم تكتب الخ .

(٣) هو طاووس بن كيسان المولاني ، من كبار التابعين تفقه في الدين ورواية للحديث ونفسه في العيش ،
وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، أصله من الفرس ، وولده وشأته باليمن ثم سكن البصرة ، وتوفي حاجاً بالمدعة
أومى سنة ١٠٦ هـ . انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ٨/٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٢٣٣/١ (الأعلام
٣٢٢/٢) وانظر هامشه .

(٤) عبد الكريم بن أبي المخارق أو ابن أبي أمية واسم أبيه (صاحب هاتين السكتين) قيس وبنال طارق ،
وعبدالكريم معلم بصري ، نزل مكة وعاش فيها ، قال عنه معمر : ما رأيت أيوب اغتاب أحدا قط إلا عبدالكريم
أبا أمية فإنه ذكره فقال : رحمه الله كان غير ثقة ، لقد سألتنا عن حديث لعكرمة ثم قال سمعت عكرمة .

وكان ابن عيينة يستضعفه ، وقال ابن عبد البر : يجمع على ضعفه . انظر لتفصيل أكثر تهذيب التهذيب
٣٧٦/٦ وما بعدها .

(٥) ابن ريم القرشي ، ولهم ، روى عن طاووس وعاهد وعطاء وغيرهم ، قال عنه عبد الله بن أحمد
ابن حنبل عن أبيه لأنه مضطرب الحديث ، وقال أيضا : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا منه في أحد مثل ليث
ابن أبي سليم . والأقوال كثيرة في ضعفه ولينه . انظر : تهذيب التهذيب ٤٦٥/٨ وما بعدها .

قال الحسن البصري، في قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾^(١)، قال: نزلت في الثقلاء.

وقال السري^(٢): ذكر الله تعالى الثقلاء في القرآن، في قوله: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾.

وقال أبو أسامة^(٣): كنا عند الأعمش^(٤)، فجاء زائدة بن قدامة^(٥)، فقال الأعمش حين رآه:

وما الفيلُ تحمله مَيِّتًا بأثقلَ من بعض جُلَّاسِنَا^٦

كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا، قال: اللهم اغفر لنا وله، وَأَرْحِنَا منه. رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

(٢) ابن يحيى بن لباس الشيباني، أحد رجال الحديث الثقات، توفي حاجا بمكة سنة ١٦٧ هـ. تهذيب التهذيب ٤٦١/٣.

(٣) الكوفي، حماد بن سلمة بن زيد القرشي ولاء، محدث ثقة، كان أعلم الناس بأمر الناس وأخبار أهل الكوفة، توفي سنة ٢٠١ هـ. تهذيب التهذيب ٢/٣ وما بعدها.

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد الملقب بالأعمش، رابع مشهور، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، توفي ١٤٨ هـ. انظر ابن سعد ٢٣٨/٦.

(٥) الثقفى، أبو الهيثم الكوفي، محدث ثقة، صدوق من أهل العلم، مات غازيا في أرمس الروم سنة ١٦١ هـ. تهذيب التهذيب ٣/٣٠٠.

(٦) البيت في العقد القريد ٢٩٦/٣، عيون الأخبار ٣٠٩/١.

[كان حماد بن سلمة^(١) إذا رأى من يستثقله ، قال : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) .

وعن حماد بن سلمة أيضاً ، أنه قال : الصوم في البستان من الثقل^(٣) .

كان يقال . مجالسة الثقل تُثَمِّمُ الروح .

قيل لأبي عمرو الشيباني : لأي شيء يكون الثقل أثقلَ على الإنسان من الحمل الثقل ؟ فقال : لأن الثقل يقعد على القلب ، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من الثقل .

كان فلاسفة الهند يقولون : النظرُ إلى الثقل يورث موت الفجأة .

قال ثقل لمريض : ما تشتهي ؟ قال : أشتهى ألا أراك .

مرض الأعمش فعاده أبو حنيفة ، فقال : يا أبا محمد ! لولا أنه يشغل عليك ، لعدت كل يوم . فقال الأعمش : والله إنك على ثقل وأنت في بيتك ، فكيف إذا عدتني ؟

قال معمر^(٤) : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة : محادثة الإخوان ، وحك الجرب ،

(١) ابن ديار البصري ، محدث صحيح السماع ، لم يكن بالبصرة من أقرانه من هو مثله في الفصل والعلم والعلافة في السنة والقيم لأهل البدع ، توفي سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ١٣/٣ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ١٢ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) ابن راشد بن أبي عمرو الأزوي ، أبو عروة ، فقيه حافظ للحديث ثقة ، من أهل البصرة سكن =

والوئمة في الثقلاء ، وهي أفضل الثلاث .

وقال عبد الرزاق عن معمر ، قال : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة : محادثة الإخوان ، وأكل الفديد ، وحث الجرب . وأزيدكم واحدة : الوقيعة في الثقلاء ، وأنشد :

ليتني كنت ساعة مَلَكَ الموتِ تِ فَأُفِي الثَّقَالِ حَتَّى يَبِيدُوا

قال : وسمعت معمرًا يقول : رحم الله عبد الكريم أبا أمية ، إن كان لتقيلا غير ثقة .

قال لأبي النصر^(١) : لم تكثر عن شعبة^(٢) ؟ قال : كان يستثقلني ، وكنت أهلا لذلك .

قال أبو هفان :

مشتملٌ بالبغضِ لا تنثنِي إليه طوعاً مُقَسِّلُ الرَّامِنِ

١-الدين ولما أراد العودة كره أهل صماء أن يفارقوه ، فزوجوه فأقام ، وهو عند مؤرخي الحديث أول من صنف باليمن ، توفي سنة ١٥٣ هـ . اطر تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣ (الأعلام ٨/١٩٠) .

(١) البغدادي ، هاشم بن القاسم بن سلام اللبني الحافظ ، سمع من شعبة جميع ما أملى ببغداد ، وهو أربعة آلاف حديث ، وكان ابن حنبل يقول : أبو الضر شيخنا من الأمرين بالمروء ، الناهين عن المنكر ، مات سنة ٢٠٧ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١١/١٩٨ .

(٢) ابن الحجاج بن الورد العتكي ، من أئمة رجال الحديث حفظا ودراية وثبتا ، ولد ونشأ بواسط ، وسكن البصرة إلى أن توفي ، قال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وكان إلى جانب هذا عالما بالأدب والشعر ، مات سنة ١٦٠ هـ ، اطر تهذيب التهذيب ٤/٣٣٨ (الأعلام ٣/٢٤٢) .

يَظُنُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِدًا أَثْقَلَ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقٍ^(١)

كان الأعمش إذا قام من مجلسه ثقیلاً یتمثل :

إِنْ غَاب عَنْكَ ثَقِيلٌ كُلُّ قَبِيلَةٍ مِمَّنْ يَشُوبُ حَدِيثَهُ بِمِرَاوِ
فَهَنَّاكَ طَابَ لَكَ الْجَدِثُ وَإِنَّمَا طَلِبُ الْحَدِيثِ مَخْفَةُ الْجَلَسَاءِ^(٢)

وقال آخر :

إِنِّي أَجَالِسُ مَعْدَرًا نَوَّيْتُ أَخْفَهُمْ ثَقِيلُ
قَوْمٍ إِذَا جَالَسْتَهُمْ صَدِثَتْ بِقُرْبِهِمُ الْعُقُولُ
لَا يَفْقَهُونَ مَقَالَتِي وَيَدِّقُ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا جَلَسَ الثَّقِيلُ إِلَيْكَ يَوْمًا أَتَتْكَ عُقُوبَةٌ مِنْ كُلِّ بَابٍ
فَهَلْ لَكَ يَا ثَقِيلُ إِلَى خِصَالٍ تَنَالُ بِيَعُضِهَا كَرَمَ الْمَاءِ
إِلَى مَالِي فَتَأْخُذْهُ جَمِيعًا أَحَلَّ لَدَيْكَ مِنْ مَاءِ السَّحَابِ
وَتَذْتَفِ لِحْيَتِي وَتَدَقُّ أُنْفِي وَمَا فِي فِيٍّ مِنْ ضِرْسٍ وَنَابِ

(١) البيتان في زهر الآداب ١٣٦/٢ ، وفيه : لخطا بدل طوعا .

(٢) في ١ : لحفة التغلاء .

(٣) نسبت الأبيات في العقد القرئيد ٢٩٩/٢ للشعبي ، وانظرها في عبون الأخبار ١/٣٠٩ .

على ألا أراك ولا تراني مقاطعة إلى يوم الحساب^(١)

كان يقال : مجالسة الثقيل عذابٌ وويل .

قال عبد الأعلى بن مسهر^(٢) : كان نقش خاتم أبي : « أبرمت فقم » فكان إذا استثقل جلسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه .

وهذا الخبر رواه أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر ، قال : قال لي هشام بن يحيى : كان نقش خاتم إليك . . . فذكر الخبر^(٣) .

سلمّ ثقيل على إبراهيم بن عبد الله القاري^(٤) صاحب هرون ، فقال له : يا هذا ! قد - والله - بلغت منى غاية الأذى ، أسلفني سلامَ شهر وأرحني منك .

قال معمر : كنت جالساً مع سمالك بن الفضل^(٥) في مجلس بصنعاء ، فدخل

(١) في ١ : بدل الشطرة الأخيرة ورد : على حال إلى شيب الغراب .

(٢) الغساني الدهشق ، من حفاظ الحديث وبعده شيخ الشام وعالمها بالحديث والمغازي وأيام الناس ، امتحنه المأمون العباسي وهو في الرقة وأكرمه على القول بخلق القرآن ، فامتنع ، فوضعه في النطع وجرّد السيف ولكنه لم يأبه بهذا وأبى أن يجيب ، فسجنه فكث في السجن نحو مائة يوم ثم مات سنة ٢١٨ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٨/٦ ، تاريخ بغداد ٧٢/١١ (الأعلام ٤٢/٤) .

(٣) يختلف هذا الخبر في محاضرات الأدباء ٣٣٤/١ عنه هنا ، فهناك قال : قال ثعلب لرجل استثقله : خانم طاووس . فلم يعلم الرجل ماعناه . فقال له ثعلب : إن طاووساً نقش على خاتمه : « أبرمت قم » ، فإذا استثقل رجلاً دفعه إليه وقال اقرأه .

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن عبد ، القاري المدني ، عمه ابن حبان في الثقات ، وأورد ابن حجر له ترجمة موجزة في تهذيب التهذيب ١٣٤/١ .

(٥) سمالك بن الفضل الخولاني اليماني الصنعاني ، محدث جليل القدر ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الثوري : لا يكاد يسقط له حديث لصحته . انظر تهذيب التهذيب ٢٣٥/٤ .

علينا صاحب له ثقیل فلما جلس قال لی سماک : یا معمر ! تعال حتی ندعوا علی کل
ثقیل بصنماء .

قال الشاعر :

أنت یا هذا ثقیل وثقیل وثقیل
أنت فی المنظر إنسا نٌ وفی المیزان فیل^(١)

وقال ابن أمیة^(٢) :

شهدت الرقاشی فی مجلس . وكان إلى بغیضاً مقیتاً
قال : اقترح بعض ما تشتهی فقلت : اقترحتُ علیك السکوتاً

فقال أبو حازم : عود نفسك الصبر علی المجلس السوء ؛ فإنه لا یکاد یحطّثک .

قال الهیثم بن عدی : كنت يوماً عند مسعر بن کِدام ، فأناه رقبته بن مصقلة
العبدی ، فقال له مسعر : مالک یا ابن مصقلة ؟ قال : صریع فالزوج . قال : وأین ؟ قال :
عند من قضی أبوه فی الجماعة^(٣) ، وحکم فی الفرقة .

(١) البیتان فی العقد الفريد ٢/ ٢٩٦ .

(٢) لم أعثّر له علی ترجمة فیما بین یندی من مراجع .

وفد ورد البیتان بهذه النسبة فی البیان والتبیین ١/ ٣٧٩ ، ونسباً لک أبی نواس فی العقد الفريد ٢/ ٢٩٩ ،
وقد وردا فی دیوانه ٣١٢ .

(٣) ١ : فی الحفاة ، وهو یقصد بهذه العبارة أبا موسى الأحمري ، فقد کان قاضی السکوفة فی عهد علی ،
وأنابه فی قضية التحکیم المشهورة بینہ و بین معاوية .

دعانا الوليد بن الحارث بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري^(١) ، فأتيننا بخوان كعبية من الأرض ، وأتيننا برقاق كآذان الفيلة ، وجرجير كآذان المعزى ، ثم أتيننا بساكنة الماء كأن ظهرها ظهر طائر قيراطى ، ثم أتيننا بفالودج عديد ، كأن الزئبق والجادى^(٢) ينبعان من خلاله ، يرى نقش الدرهم من تحته ، فوضع على رأس حُب^(٣) فنحن على لذة من هذا وعلى يقين من ذلك . فقال له مسعر : أراك طفيلياً . فقال : يا أبا محمد ! كل من ترى طفيلياً إلا أنهم يتكاثرون ، فوالله ما برحنا حتى طلع علينا الحارث من بعض أبواب المسجد يخطر بيديه ، فقال رقة : انظروا إلى هذا وكيف يعيش ! لو كان أبوه جدد أنف^(٤) عمرو بن العاص ما زاد على هذا .

(١) الراجع أنه بلال بن عامر بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، أما الاسم الذى أورده له المؤلف : الوليد بن الحارث ، فقد ذكر ابن حجر أن عامراً يسمى الحارث فى بعض الأقوال ، أما بلال فلم أعثر على من سماه الوليد ، وعلى هذا فهناك عدة احتمالات للتحقيق : فلما أن يكون زيادة من النسخ ، لأن الاسم ورد بعد ذلك فى «س الجبر : الحارث ، ولما أن يكون المؤلف يحفظ لبلال اسماً آخر هو الوليد ، ولما أن يكون هناك ابن آخر للحارث أو عامر بن أبي بردة اسمه الوليد . وأنا أرجح أن المقصود هو بلال بن عامر بن أبي بردة ، وذلك لسببين ، الأول : أن الثلاثة رقة ومسعر وبلال كانوا متعاصرين فقد توفى الأول نحو سنة ١٢٩ هـ ، وتوفى الثانى سنة ١٥٢ هـ ، وتوفى الثالث أو قتل سنة ١٢٦ هـ ، على حين أن أباه توفى سنة ١٠٣ هـ وهو زمن بعيد لحدوث هذه الفصحة نوعاً ، السبب الثانى أن بلال هو الذى تنطبق عليه ملامح القصة ، فقد كان من أبرز صفاته صفتان : السكرم وخفة العقل أو النرج ، أما الأولى فهو ممدوح ندى الرمة وأبيات هذا الشاعر بوصف بلال بالسكرم سائرة مشهورة وأما خفة العقل فالمعروف عنه أنه حين ولى قضاء الكوفة لم يحمّد سيرته ، وكان يقول : لى ليأتينى الحصمان فأجد أحدهما أخف من الآخر على قلبى فأحكم له ، ولم يعرف ذلك عن أبيه ، وقد كان هو الآخر قاضياً . وعلى ذلك لم يبق أمامنا إلا أن نقول : إن المؤلف يحفظ اسماً آخر لبلال هو الوليد ، وأن الاسم سقط بعد ذلك من الجبر سهواً لما من المؤلف أو من النسخ .

(٢) الجادى : الزعفران .

(٣) الحب : الجرة العظيمة ولعل المعنى أنهم فى لذة من أكل الفالودج وعلى يقين من أنهم سيحسرون بما فى الحب من شراب .

(٤) ١ : جد عمرو بن العاص .

قال له مسعر : أجل ، قد مضى إلى لعنة الله وسقره ^(١) .

وقال حبيب بن أوس ^(٢) :

يا مَنْ تَبَرَّمَتِ الدُّنْيَا بَطْلَعَتِهِ كما تَبَرَّمَتِ الْأَجْفَانُ بِالسَّهْدِ
يمشى على الأرض مختالاً فأحسبُه لبُغْضِ طَلْعَتِهِ يَمْشَى عَلَى كَبْدِي

وقال آخر :

لَخَرِطُ قَتَادَةٍ وَلِحْلُلُ فِيلٍ وماء البحر يعرفُ في زَيْلٍ ^(٣)
وفكُّ الماصِغَيْنِ وقلعُ ضرسٍ لأهونُ من مجالسةِ الثَّقِيلِ

ولأبي الحسن علي بن العباس الرُّومى :

ولى أصدقاؤه كَثِيرُو السَّلَامِ عَلَيَّ وما فيهمُ نافعٌ
إذا أنا أدلَجْتُ في حاجةٍ لها مطلبٌ نازحٌ شاسِعٌ
فَلَيْسَ أَبَدًا معهمُ وقفةٌ وتسليمَةٌ وَقْتُهَا ضَائِعٌ
وفي موقفٍ المرءِ عن حاجةٍ يُتِمُّهَا شاغلٌ قاطِعٌ
ترى كلَّ غثٍ كثيرِ الفضولِ ومُصْحَفُهُ مصحفٌ جامعٌ

(١) ف ١ : فقم إلى لعنة الله وحر سقره .

(٢) ديوانه ٥٢ ، محم الأديب ٢٦٦/٦ وفيه : بالرمد بدل السهد ، وفيه وفي الديوان مجتزأ بدل مختالا .

(٣) الزيل : الفقة أو الرعاء .

يقول الضميرُ إذا ما بدا : ألا مُبَّح الرجلُ الطَّالِعُ
يحدُّثني من أحاديثه بما لا يلدُّ به السَّامِعُ
أحاديث هنَّ مثال الضَّرِيعُ فأَكَلُهُ أبداً جائِعُ
غدوتُ وفي الوقتِ لي فسحةٌ فضاقَ بي المنهلُ الواسِعُ
تقدَّمتُ فاعتاقني أسرُهُ إلى أن تقدَّمتني النَّابِعُ
وقالت بُلُقَيَانِه حاجتي : ألا هكذا النكدُ البارِعُ
أولئك لاحتيم مؤنسٌ صديقاً ولا ميتهم فاجعُ

دق طفيليُّ باب دار قوم فيها طعامٌ ، فقيل : من هذا ؟ فقال : أنا الذي كفاكم
مؤونة الرسول .

لطفيلي :

نحن قومٌ إذا دُعينا أجَبْنَا ومتى مُنْسٍ يَدْعُنَا الشُّطْفِيلُ
فنَقُلُ : عَلَّنا دُعِينَا فَعُبْنَا أو أتاَنَا فلم يَجِدْنَا الرَّسُولُ^(١)

دخل طفيليُّ دارَ قوم بنيرِ إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار في القول ، فأغلظ
له اللطفيليُّ في الجواب ، وقال : والله إن قمتُ لأَدْخِلَنَّكَ من حيث خرجت .

(١) البيتان في عبون الأخبار ٢/٢٣٢ ، العقد الفريد ٦/٢١٢ ، وفيهما . متى دعينا .

فقال له صاحب المنزل : أما أنا فأخرجُك من حيث دخلت . وأخذ يديه فأخرجه .

قيل لبعض الطفيليين : كم اثنين في اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

قال مُطَرِّفُ بْنُ مَازِنٍ ، قاضى اليمن : قال لى الرشيد يوماً : من عبد الرِّزَاقِ ابنِ هَمَّامِ الصنعاني^(١) ؟ فقلت : رجل من أهل الحديث ، سليم الحديث ثقة . فقال : إن صاحب خبرنا باليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن . فقلت : صدق يا أمير المؤمنين فكتبني فيهم . قال : ولم كتبك فيهم ؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس ، فما أمتثقل منك ؟ قلت : عظم قلنسوتي ، وطول عنق بغلتي . فضحك هرون ، فما خرجتُ من عنده حتى أمر لى بكسوة وحملا .

ولطفيل^(٢) :

كل يومٍ أدور في عَرَصَةِ الْحَصَى أَشْمُ الْقَتَارِ شَمَّ الدُّبَابِ^(٣)
فإذا ما رأيت نارَ عَرُوسٍ أَوْ خِتَانًا أَوْ دَعْوَةَ لَصْحَابِ^(٤)

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، مولاهم ، أبو بكر الصنعاني ، من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث ، وقال عنه الذهبي : إنه خزانة علم ، انظر : تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ ، وفيات الأعيان ١/٣٠٣ (الأعلام ٤/١٢٦) .

(٢) الأبيات التالية في العقد الفريد ٦/٢٠٥ ما عدا الأخير ، وانظرها كلها في كتاب الطفيل ٤٠،٣٥ .

(٣) في العقد والطفيل ٣٥ : في عرصة الدار ، والقتار : رائحة القدر والشواء .

(٤) في العقد : آثار عرس أو دخان .

لم أعرج دون التقحّمِ لَأَرَاهُ بُ شتاً ووَكْزَةَ البوابِ^(١)
 مستخفاً بمن دخلتُ عليهم غير مُسْتَأْذِنٍ ولا هَيَّابِ
 فترانى أَلْفٌ بالرغمِ منهم كلٌّ ماقدَّمُوا كَلَفَ الثُّقَابِ
 ذاك أَهْنا من النمر مَ وغيظِ البقالِ والقصابِ^(٢)

كان يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها ، والمتأمر على رب البيت . . . وقد ذكرنا الحكاية بتامها في جامع النوادر من هذا الكتاب .

(١) في البعد : لا أرب طعنا ولكزة البواب .

(٢) ساقط من - .

بَابُ الشَّمَاتَةِ

قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام : ﴿ فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ، وَلَا تَجْمَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

وقيل لأَيُّوب عليه السلام : أى شىء من بلائك كان أشد عليك ؟ قال : شماتة الأعداء .

قال ابن الكلبي : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شمتت به نساء كندة وحضرموت ، وخَضَبْنِ أَيْدِيَهُنَّ ، وأظهرن السرور لموته ، وضربن بالدفوف ، فقال شاعر منهم :

أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ إِذَا مَا جِئْتَهُ أَنْ الْبَغَايَا رُئِمْنَ شَرَّ مَرَامٍ
أَظْهَرْنَ مِنْ مَوْتِ النَّبِيِّ شِمَاتَةً وَخَضَبْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالْعَنَامِ ^(٢)
فَاقْطَعِ هُدَيْتَ أَكْفَمْنَ بِصَارِمٍ كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي مَتُونِ غَمَامٍ ^(٣)

قال النبي عليه السلام : « لَا تَظْهَرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ ، فَيَعَاقِبَهُ اللَّهُ وَيَتْلِيكَ » .

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٠ .

(٢) العم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب فيقال : دان معم أى مخضوب ، والرواية و عبون الأخبار : بالعلام أى الحناء .

(٣) هذا الخبر والأبيات في عيون الأخبار ١١٦/٣ ، وبقية فيها : أن أبا بكر كتب إلى المهاجر عامله ، فأخذهم وقطع أيديهم .

من مُنتقى الدعاء : اللهم اجعل رزقي رَغداً ، ولا تشمتُ بي أحداً .
ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أعوذ بك من دَرَكِ الشقاء ، ومن
جَهْدِ البلاء ، ومن شماتَةِ الأعداء » .

قال عدى بن زيد العبادي^(١) :

أيها الشامتُ المعيّرُ بالدهرِ رَأَيْتُ المبرأَ الموفورُ
أَمْ لَدَيْكَ العهدَ الوثيقُ من الأيامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المنونَ خَلَدَنَ أَمْ مَنْ ذا عليه من أَلَّا يُضَامُ خفيرُ^(٢)

وقال أبو ذؤيب :

وتجلّدي للشّامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع^(٣)

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت أشهب بن عبد العزيز يدعو على محمد
ابن إدريس الشافعي^(٤) بالموت ، أظنه قال في سجوده ، فذكرت ذلك للشافعي رحمه
الله^(٤) ، فتمثل :

تمتني رجالٌ أن أموتَ وإن أُمْتُ فتلك سبيلُ لستُ فيها بأوحدٍ

(١) انظر أبيات عدى من قصيدة طويلة في معجم الشعراء ٢٤٩ ، ٢٥٠ حماسية البجترى ١٢٢ ، عيون الأخبار ١١٥/٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢٢٤/٢ .

(٢) في العيون : أم بدل بل في البيت الثاني ، ومن أن يضام بدل من ألا يضام .

(٣) البيت في ديوان الهذليين ٣/١ .

(٤) ساقط من ١ .

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْنِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَهِيًّا لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنُ قَدْ^(١)
 قَالَ مُحَمَّدٌ : فَمَاتَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَاشْتَرَى أَشْهَبَ مِنْ تَرْكْتِهِ مَمْلُوكًا ، ثُمَّ
 مَاتَ أَشْهَبُ بَعْدَهُ بِنَحْوِ مِنْ شَهْرٍ ، أَوْ قَالَ : خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا أَوْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ
 يَوْمًا ، وَاشْتَرَيْتُ أَنَا ذَلِكَ الْمَمْلُوكَ مِنْ تَرْكَةِ أَشْهَبَ^(٢) ، وَالْبَيْتَانِ الَّذِي تَمَثَّلَ بِهِمَا
 الشَّافِعِيُّ لَطْرَفَةَ .

قَالَ مَهْلَهْلُ :

كَأَنَّ الشَّامَتَيْنِ بِقَبْرِ جَدِّي عَلَى مُلْكِ الْخَوَرَنَقِ وَالسَّيْدِ
 كَأَنَّ رَمَاحَنَا فِينَا وَفِيهِمْ إِذَا مَا أَشْرَعْتَ أَشْطَانُ يِيرِ
 وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ قَرْظَةَ ، خَالَ الْفَرَزْدَقِ :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بَاخِرِينَ
 فَقُلْ لِلشَّامَتَيْنِ بَنَا أَفِيقُوا سِيلَقِي الشَّامَتُونَ كَمَا لَقِينَا^(٣)

وَقَالَ نَصِيبُ :

أَتَصْرِمُنِي عِنْدَ الْأَلَى هُمْ لَنَا الْعِدَا فَتَشْتَمُهُمْ بِي أَمْ تَدَوِّمُ عَلَى الْعَهْدِ^(٤)

(١) البيتان كما قال المؤلف لطرفة ، انظر ديوانه ٤٥٠ .

(٢) انظر هذا الخبر والبيتين معه في وفيات الأعيان ١/٢١٦ .

(٣) نسب البيتان للفرزدق في عيون الأخبار ٣/١١٤ ، ولم أعثر عليهما في ديوانه ، ونسبا في حماسية
 الجعفي ١٤٩ ، ١٥٠ لملك بن عمر الأسدي ، وانظرهما بالنسبة التي هنا في العقد الفريد ٢/٣٢٢ .

(٤) انظره في الشعر والشعراء ١١٤ ، معجم الشعراء ٢٥٠ ، التمثيل والمحاضرة ٥٣ .

وقال عدى بن زيد ، وتثل به معاوية عند موته :

فهل من خالدٍ إمّا هلكنا وهل بالموت يا للناسِ عارُ

عبد الله بن أبي عينة :

كلُّ المصائب قد تمرُّ على المتى قهونٌ غيرَ شماتةِ الحُسادِ^(١)

وقال منصور الفقيه :

يا مَنْ يُسرَّ بموتِي إذا أتاه البشيرُ

إن البشيرَ بموتِي — فلا تُسرَّ — نذيرُ

واسمعَ فما أنت ممن تخفى عليه الأمورُ

ألَسَ من كانَ مثلي إلى مصيري يصيرُ

وله :

أيُّها المظهرُ الشَّامُ تَهْ إن متُّ قبلَه

عَنْ قليلٍ يصيرُ مثيَ لي مَنْ كنتُ مثله

وله :

يا شامتَينَ بصرعي اليومُ لي ولكم غدُ

(١) البيت في معاصر الأدياء ١/ ١٢٢ .

وله :

يا شامتاً بى إن هلكت لكلّ حىّ مدى ووقتُ
وللمنـايا وإن تراخت فى السـير - يا ذا الشـماتِ - بَغْتُ^(١)
وأنتَ فى قبضةِ الليالى تخافُ منها الذى أمنتُ
والكأسُ مَلأى فَعَن قَريبِ تشربُ منها كما شربتُ

وقال أيضاً :

ما بينَ يومِ المَنياتِ وبينَ يومِ المَعزّياتِ
وإن توهّمته طويلاً إلّا كما بينَها وهاتِ
ومما يُنسب لابن المبارك - وليست له - وإنما هى للمبارك الطبرى :
لولا شِمتُهُ أعداءُ ذوى حَسَدٍ أو اغتَمامُ صديقٍ كان يَرجونى
لما طَلبت من الدنيا مَراتبها ولا بذلت لها عِرضى ولا دينى^(٢)

وقال آخر :

فن يكُ عَنى سائلاً لَشِماتِهِ بما نالنى أو شامتاً غيرَ سائِلِ

(١) فى ١ : الدهر بدل السـير .

(٢) وردت الأبيات فى المقدم الفريد ١٩/٣ بدون نسبة .

فقد أبرزت مني الخطوبُ ابنَ حُرّةٍ صبورًا على ضراءِ تلك الزلازلِ
 إذا سرّ لم يفرحْ وليس لنكبةٍ إذا نزلت بالخاشع المتضائلِ
 لأعرابيٍّ وقد أُغِيرَ على إبله :

لَا — والذي أنا عبدٌ في عبادته — لولا شماتُهُ أعداءِ ذوى إحسنِ
 ما سرّني أنْ إيلي في مَبَارِكِهَا وأنْ شَيْئًا قضاؤه الله لم يكن^(١)

(١) البيان في عيون الأخبار ١١٤/٣ ، المقد الفريد ٢٩/٣ ، الصداقة والصدق ٩٤ ، البيان والتبيين ٢١٤/٣ ، وقد ورد البيت الأول فيه :

لولا مسرة أقوام تصعدني أو الشمنة في قوم ذوى إحسن

باب مؤاخاة من ليس على دينك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخال . وهذا معناه — والله أعلم — ' أن المرء ' يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه ، والدين العادة ، فلهذا أمر ألا يصحبَ إلا من يرى منه ما يحل ويحمل ، فإن الخير عادة . وفي معنى (١) هذا الحديث قولُ عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلُّ قرين بالمقارن مُقتدي
وقول أبي العتاهية :

من ذا الذی يخفی عليّ ك إذا نظرت إلى خديته

وهذا كثيرٌ جداً ، والمعنى في ذلك : ألا يخالط (٢) الإنسان من يحمله على غير ما يُحمد من الأفعال والمذاهب ، وأما من يؤمنُ منه ذلك فلا حرج في صحبته .

قال ابن عباس : لو قال لى فرعونُ خيراً لرددت عليه مقاله .

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (٣)

(١) ساقط من .

(٢) في ١ : أن يخالط .

(٣) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

(١) وجاء في التفسير : أحسن منها لأهل الإسلام ، أو ردوها لأهل الذمة (١) .

وقيل لسعيد بن جبير : المجوسى يولبنى خيراً فأشكره ؟ قال : نعم . قيل : فإن سلم على أفارد عليه ؟ قال : نعم .

وأما ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال فى أهل الذمة : « لا تبدؤهم بالسلام ، وإذا لقيتموهم فى طريق فاضطروهم إلى أضيقة » فقد قال بذلك طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس رحمه الله . روى بشير بن عمر الزهرانى ، عن مالك ، أنه كان يكره السلام على أهل الذمة كلهم . قال بسير : فقلت : أترى أن يُبدؤوا بالسلام ؟ قال : معاذ الله ! أما سمعت قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٢) .

وقال مالك : أكره مؤاكلة أهل الذمة ، لأن المؤاكلة تُوجب المودة .

وقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا يبدؤون بالسلام كل من لقوه (٣) من مسلم أو ذمى . فالمنى فى ذلك ، والله أعلم ، أنه ليس بواجب أن يبدأ المسلم المائر القاعد الذمى ، والراكب المسلم الذمى الماشى ، كما يجب ذلك بالسنة على من كان على دينه ، فإن فعل فلا حرج عليه . فكأنه قال

(١) ساقط من > .

(٢) سورة المتحنة ، الآية ١ .

(٣) فى > : يقوه .

صلى الله عليه وسلم : « ليس عليكم أن تبدؤهم بالسلام » بدليل ما روى الوليد بن مسلم عن عروة بن رُويم ، قال : رأيت أبا أمانة الباهلي^(١) يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي ، ويقول : هي تحية لأهل ملتنا ، وأمان لأهل ذمتنا ، واسم من أسماء الله نفسه بيننا . ومحال أن يخالف أبو أمانة السُّنة ، لو صحت في ذلك . بل المعنى على تأويلنا^(٢) — والله أعلم ، وعلى هذا يصحّ تخريج هذه الأخبار ووجوها .

ذكر ابن أبي شبيب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهاني ، وشرجيل بن مسلم ، عن أبي أمانة ، أنه كان لا يمرّ بمسلم ولا يهودي ولا بنصراني إلّا بدأه بالسلام .

وروى عن ابن مسعود وأبي الدرداء ، وفُضالة بن عبيد^(٣) ، أنهم^(٤) كانوا يبدؤون أهل الذمة بالسلام .

وقال ابن مسعود : إنَّ من التواضع أن تبدأ بالسلام كلَّ من لقيت .

وعن ابن عباس ، أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب : السلام عليك .

(١) هو مصري بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمانة ، صحابي جليل ، كان مع علي رضي الله عنه في مهدي م سكن الشام ودفن بأرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . انظر الإصابة الترجمة ٤٠٤ ، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٤٠ ، (الأعلام ٣/ ٢٩١)

(٢) ١ : علي ما قد تأولنا .

(٣) ابن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي ، صحابي من الذين بايعوا تحت الشجرة ، شهد أحدا وما بعدها ، وشارك في فتح الشام ومصر ، ثم ولده مارية قضاء الشام ، وتوفي بها سنة ٥٣ هـ . انظر : الإصابة الترجمة ٦٩٩ ، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٦٧ .

(٤) ساقط من ج .

وسئل عبد الله بن وهب ، صاحب مالك ، عن غيبة النصراني ، فقال :
أو ليس من الناس ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(١) .

وقيل لمحمد بن كعب القرظي : إن عمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل النعمة
بالسلام فقال ترد عليهم ولا تبدؤهم . فقال محمد بن كعب : أمّا أنا فلا أرى
بأساً أن تبدأهم بالسلاّم ، قيل له : لِمَ ؟ فقال : لقوله عز وجل : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ
وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ ^(٢) .

ومن حُجّة من ذهب إلى هذا قوله عز وجل : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ ^(٣) الآية . وذهب جماعة من العلماء إلى مثل ما ذهب إليه
عمر بن عبد العزيز في ذلك .

وَرَوَى ابن المبارك عن شريك عن أبي إسحاق ، قال : كان يقال : من الحق ^(٤)
أن تؤاكل غير أهل دينك .

(١) سورة البقرة الآية ٨٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨٩ .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

(٤) في ١ : الجفاء .

قال أبو الطمحان الأسدي^(١) :

كَأَن لَمْ يَكُنْ بِالْقَصْرِ قَصْرٌ مُّقَاتِلٌ وَزُورَةٌ ظُلٌّ نَاعِمٌ وَصَدِيقٌ
وَإِنِّي وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أَجِئْتُهُمْ وَيَرْتَاخُ قَلْبِي نَحْوَهُمْ وَيَتَوَقُّ

ولبعضهم في مجوسى ساق عنه صداق امرأته ، وهو الأقبشر الأسدى :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطَيْبِ الْمَشَاشِ^(٢) وَأَنَّكَ حُرٌّ جَوَادٌ خِصَمٌ
وَأَنَّكَ سَيِّدٌ أَهْلِ الْجَحِيمِ إِذَا مَا تَرَدَّدْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ
كَفَانِي الْمَجُوسِيُّ مَهْرَ الرَّبَّابِ فَدَى لِلْمَجُوسَى خَالٌ وَعَمٌ^(٣)

روى إسماعيل بن إسحاق ، قال : سمعت ابن أبي أُوَيْسَ^(٤) ، يقول : سُئِلَ
مَالِكٌ ، أَتَرَى بَأْسًا إِذَا أَهْدَى الْيَهُودِيُّ أَوْ النَّصْرَانِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكْفِئَهُ ، فَقَالَ : مَعَاذَ
اللَّهِ ! وَمَا لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْبَلَ هَدِيَّتَهُ حَتَّى يَكْفِئَهُ .

وقال آخر :

وَجَدْنَا فِي الْيَهُودِ رِجَالَ صِدْقٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ دِينٍ يَرِيبُ

(١) ورد البيتان بهذه النسبة في الحيوان ١٥٧/٥ ، ١٥٨ ، ووردا في الكامل ٢٦/١ ضمن خمسة
أبيات منسوبة لطمخيم بن أبي الطمحاء الأسدى ، يمدح قوما من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد بن مناة
ابن قميم ، ثم من رهط عدى بن زيد البادى ، وكذلك وردت بهذه النسبة في المؤلف ١٥٠ ، وقد وفق
الأستاذ عبد السلام هرون بين النسبتين بأن ذكر أن أبا الطمحاء هو كنية طخيم ، انظر هامش الحيوان
١٥٧/٥ ، ١٥٨ .

(٢) المشاش : النفس والطبيعة والأصل .

(٣) الأبيات في عبون الأخبار ٢٩٦/٢ ، الحيوان ١٥٩/٥ .

(٤) ابن أبي أُوَيْسَ : إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أُوَيْسَ بن مالك الأصبحى ، أبو عبد الله

خليلان اكتسبتهما وإني لخلّة ماجدٍ أبداً كسوب^(١).

للمريي الشاعر، وهو القاسم بن يحيى، من ولد أبي مريم السلمي صاحب النبي عليه السلام، يخاطب أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب العبادي عند إسلام الوليد ابن أخيه، وكان إسحاق هذا كاتب أبي الجيش بن طولون صاحب مصر^(٢) :

تَمَرَّ فَإِنَّ الْحَرَّ لَا بَدَّ يَخْلُقُ	وكلُّ امرئٍ للخيرِ والشرِّ يَخْلُقُ
وَمَا فُرَجُ الْأَيَّامِ إِلَّا مَوَاهِبُ	فمن بين محرومٍ وآخرَ يرزقُ
وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ يُنَزَّهَ نَفْسَهُ	قَيَّ كَادَ فِي بَحْرِ مِنْ أَلْهَمٍ يَفِرُّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي رَدٍّ مَا فَاتَ حِيلَهُ	فإن الفتي بالصبرِ أُحْرَى وَأَخْلَقُ
أَتَانِي غَمٌّ مِنْ سُرُورٍ سَمِعْتُهُ	فلا أنا مأسورٌ ولا أنا مُطْلَقُ
سَرَرْتُ بِإِسْلَامِ الْوَلِيدِ دِيَانَةً	وَأَقْلَقْنِي عِلْمِي بِأَنْكَ مُقْلَقُ
فَقَلْبِي بِهِ شَطْرَانِ جَذْلَانُ وَاحِدُ	وآخرُ محزونٌ من أَجْلِكَ مَحْرَقُ
أَنَارَ لَكُمْ فِينَا وَأَشْرَقَ كَوْكَبُ	لنا مثله فيكم ينير ويشرقُ
فَكَمِ رَاعِنًا مِنْ مُسْلِمٍ مُتَنَصِّرٍ	فهذا بهذا والسَّعِيدُ ^(٣) الْمَوْفَّقُ

== ابن أبي أويس، ابن أخت الإمام مالك ونسبه، حدث روى عنه الشيخان، توفي سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين للهجرة، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣١١/١ وما بعدها.
(١) البيتان ضمن ثلاثة أبيات في الحيوان ١٥٧/٥ منسوبة لأبي صالح مسعود بن قند الفزاري وبعد البيت الأول :

لعمرك إني وإني غريضي لئلا الماء خالطه الحليب

(٢) ساقط من حـ .

(٣) في ١ = والمعبد .

(١) لزيبا النصراني - وكان يثشيع - :

عدىٌ وتيم لا أحاول ذكركم
بسوءٍ ولكني محبٌ لهاشم
وما تمتريني في عليٍّ ورهطه
إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال نصارى تحبهم
وأهلُ النهى من أعربٍ وأعاجم
فقلت لهم : إني لأحسبُ حبهم
سرى في قلوب الخلق حتى البهائم (٢)
وله أيضاً :

عليٌّ أميرُ المؤمنين خليفة
وما لسواه في الخلافة مطمع
فلو كنت أبني ملة غير ملتي
لما كنتُ إلا مسلماً أنشيع (١)

(١) ساقط من ج .

(٢) وردت الأبيات في المحاسن والمساوي ٥٠/١ منسوبة لعماد الدين النصراني ، وفيها : عدى وتيم ، هذا وقد ذكر أحمد تيمور باشا في كتابه الحب عند العرب ١٥٨ أن هذه الأبيات وردت في تفتح الطبيب منسوبة إلى زيب بنت إسحاق النصراني .

باب الولد والوالد

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبرُّ يا رسول الله ؟ قال : « أمُّك
قال : ثم من يا رسول الله ؟ قال : أمُّك . قال : ثم من ؟ قال : أباك ثم أدناك »
ومنهم من يرويه : أمك ثلاث مرات ، والأول أثبت .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : « الصلاة
لوقتها ، وبرُّ الوالدين » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « البرُّ والصلة وحُسن الجوار ، عمارةُ الديار وزيادة
في الأعمار » .

وقال الحسن : البرُّ أن تطيعَهما في كلِّ ما أمراك به ، ما لم تكن معصية الله ،
والمعقوق هجرانُهما ، وأن تحرمَهما خيرك .

قال عروة في قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ^(١) . هو ألا
يُعَنِّيهما من شيء أراداه .

قال يزيد بن أبي خُنيب : كان العلماء يقولون : حقُّ الأم أعظم من حق الأب ،
ولكلِّ حق .

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

رأى ابنُ عمر رجلاً يطوف بالبيت حاملاً أمّه ، وهو يقول لها : أترينى جزيتك يا أمّه ؟ فقال ابنُ عمر : ولا طَلقة واحدة ، أو قال : ولا زَفرة واحدة .

وروى فى الخبر المرفوع : « ما برَّ أباه من سدّد النظر إليه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن يصل أباه بعد موته ، فليصل إخوانَ أبيه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الوُدُّ يُتَوَارَثُ ، والبَغْضُ يُتَوَارَثُ » .

وقال عليه السلام : « ثلاثٌ يطفئن نورَ العبد : أن يقطع ودَّ أهل بيته ، ويبذل مسنةً صالحةً ، ويرى بصره فى الحجرات » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة عاقٌّ ، ولا منانٌ ، ولا مُدمن خمر ، ولا مدمن سِجَر ، ولا قتات ^(١) » .

للرُّيِّعِ بنِ ضَمِّع ^(٢) :

أَلَا أَبْلَغَ بَنِي بَنِي رُيِّعٍ فَأَشْرَارُ الْبَنِينَ لَكُمْ فَدَاهِ

(١) القتات : التام ، أو هو الذى يسمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون ، سواء نكحها أم لم ينكحها .

(٢) ابن وهب بن بغيض الفزارى الديالى ، شاعر جاولى معبر من الفرسان ، كان أحكم العرب وزمائه ، ومن أشهرهم وأخطاهم ، وأدرك الإسلام وقد كبر وخرف ، فقليل : أسلم ، وقيل : منعه قومه من الإسلام ، انظر خزانة البغدادى ٣/٣٠٨ (الأعلام ٣/٣٩) . وانظر أبياته فى : دراسة البجترى ٣٢٢ ، العقد الفريد ٣/٥٥ ، النوادر ٢١٥ .

بِأَنِّي قَدْ كَبُرْتُ وَرَقَّ جِلْدِي ^(١) فَلَا تَشْغَلْكُمْ عَنِّي النَّسَاءُ
 إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ فَأَدْفُؤُونِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يُهْرَمُ بِهِ الشِّتَاءُ ^(٢)
 وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ ^(٣) فَيَسِرُّ بِالْخَفِيفِ أَوْ رِداءِ
 إِذَا بَلَغَ الْفَتَى مَائَتِينَ عَامًا ^(٤) فَقَدْ ذَهَبَ الْبِشَاشَةُ وَالْفَتَاءُ

وسئل ابن عباس ، عن رجل قَتَلَ امرأته ^(٥) ما توبُّته ؟ قال : إن كان له أبوان
 فليبرهما مادامَا حَيَّين ، فلعن الله أن يتجاوز عنه . ^(٦) وقد جاء عنه مثل ذلك في المرأة التي
 تعاملت السحر ثم جاءته تطلب التوبة ^(٧)

قال مكحول ^(٨) : برء الوالدين كفارة للكبائر .

قال محمد بن المنكدر : بتُّ أنعمزُ رجل أُمِّي ، وبات عَمِي يصلي ليلته ، فأنسرتي ^(٩)
 ليلته بليلى .

(١) في حماسة البحتري : ولحق عظمي .

(٢) وفيها أيضا : يهدمه .

(٣) في ١ : إذا ما تذهبوا في كل فن .

(٤) في المقد الفريد : سبعين عاما ، وفي ج : ستين .

(٥) لعل القتل المقصود هنا هو القتل الخطأ وهو ما تجب فيه الندية لا الفصام .

(٦) ساقط من ج .

(٧) هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل الهذلي ولاء ، فقيه الشام في عصره ، أصله من فارس ،
 وصار مربي لأمراة في مصر من هذيل فنسب لآيها ، ثم أعتق ووثقه ورجل في طلب الحديث إلى العراق فالمدينة
 واستقر في دمشق ، قال الزهري : لم يكن في زمانه أبصر منه بالفتيا . انظر تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨٩ ،

(٨) في ج : فما سمعته .

قال الشاعر في ابنه :

يودُّ الرَّدَى لى من سفاهة رأيه ولو مِتَّ بانتَ للعدوِّ مقاتله
إذا ما رآنى مقبلاً غصَّ طرفه كأنَّ شعاعَ الشمسِ دونى يقابله^(١)

ومثله :

إذا أبصرتني أعرضت عني كأنَّ الشَّمْسَ من قِبَلِ تدوّر^(٢)

ولعبد الله بن بكر السهمي^(٣) :

خاللُ خليلٍ أخيك وارع إخاءه واعلمْ بأنَّ أخاك أخيك أخوكا
وبنيك ثم بني بنيك فكن لهم برًّا فإنَّ بني بنيك بنوكا
والطفْ بِجِدِّكَ رحمةً وتعطفًا واعلمْ بأنَّ أبا أبيك أبوكا

رُوى عن ابن عباس أنه قال : إنما ردَّ الله عقوبةَ سليمان بن داود عن الهدهد لبرِّه
كان بأمِّه .

(١) الصداقة والصديق ٧٩ .

(٢) البيت لشاعر من طلبة ، اختلف في اسمه ، ففي المؤلف ١٥٢ أنه عنزة بن كبرة الطائي ، وفي حسنة
أبي تمام ٨٠/١ أنه عنزة بن الأعرش المعنى الطائي ، وفي حسنة البحري ٣٩٥ أنه ضمرة بن عكرمة الطائي ،
وانظر البيت في الحيوان ١١٣/٣ ، عيون الأخبار ١١٠/٣ ، الصداقة والصديق ٧٩ من غير نسبة .

(٣) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي ، من رجال الحديث الثقات ، نزل بغداد على سعيد بن
سالم الباهلي ، وعرض عليه سوار قضاء الأبله فأبى ، ولم يزل في بغداد حتى توفي سنة ٨٨ هـ . انظر تهذيب
التهذيب ١٦٢/٥ .

رَأَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَجُلًا يَمْشِي خَلْفَ رَجُلٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَبِي . قَالَ :
لَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ وَلَا تَجْلِسُ قَبْلَهُ ، وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ .

مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : لَا تَقْطَعْ مَا كَانَ أَبُوكَ يَصِلُهُ فَيُطْفَأُ نُورُكَ
قَالَ كَعْبٌ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ ، اتَّقِ رَبَّكَ ، وَبِرِّ وَالِدَيْكَ ، وَصِلْ رَحِمَكَ ، يُمَدِّ
لَكَ فِي عَمْرِكَ ، وَيُسِّرْ لَكَ يُسْرَكَ ، وَيُصْرِفْ عَنْكَ عُسْرَكَ .

وَالْآثَارُ فِي بَرِّ الْوَالِدَيْنِ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، وَقَدْ نَصَّ ^(١) اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ خَفَضِ
الْجَنَاحِ لَهَا ، وَالْحَضَّ عَلَى بَرِّهَا مَا يَكْفِي .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْوَلَدُ الصَّالِحُ مِنْ رَيْحَانِ الْجَنَّةِ » .
وَنَظَرَ يَوْمًا إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : « إِنَّكُمْ لَتَجِبُّونَ
وَتُبَخِّلُونَ ، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ الْجَنَّةِ » .

دَخَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وَعِنْدَهُ بِنْتُ لَهُ ^(٢) ، فَقَالَ : ابْعِدْهَا عَنْكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتَ إِلَّا أَنَّهُنَّ يَلِدْنَ الْأَعْدَاءَ ، وَيَقْرَبْنَ الْبُعْدَاءَ ،
وَيُورِثْنَ الضُّعَفَاءَ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا تَقُلْ هَذَا يَا عَمْرُو ، فَوَاللَّهِ مَا مَرَضَ الْمَرْضَى ،

(١) في ١ : ذكر .

(٢) في عبود الأخبار ٩٩/٣ : وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه
نفاعة القلب . فقال : ابعدوها ... الخ .

ولا ندب الموتى ، ولا اعول على الأحزان^(١) مثلهن ، ولرب ابن أخت قد
نفع خاله .

قال محمد بن سليمان : البنون نعم ، والبنات حسنت ، والله عز وجل يحاسب
على النعم ، ويجازى على الحسنات .

قال منصور الفقيه :

لولا بناتي وسياتي لذبت شوقاً إلى المات
لأنتى فى جوار قوم نغصنى قربهم حياتى^(٢)

وله أيضاً :

أحب البنات ، فحبّ البنا ت فرض على كل نفس كريمه
لأن شعيباً لأجل البنا ت أخذمه الله موسى كلمه

وقال آخر^(٣) :

لقد زاد الحياة إلى حبّ بناتى إنهن من الضعاف

(١) فى ١ : أعان على الإخوان .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ١٨٧/١٩ ، وفيه : بغصنى بدل نغصنى ، وفى ١ : اطرت بدل لذبت .

(٣) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٢٥٨ إلى عيسى بن فالك أوعانك الخطى ، وفى الكامل أوردتهما ضمن
خسة أبيات ، وقال : إنها لأبى خالد القناني الخارجى ، وقد أرسل إليه قطرى بن العجاء يعتب عليه فموده عن
المروج معهم فكتب إليه بها ، الكامل ١٠٧/٢ ، ١٠٨ ، وانظر عيون الأخبار ٩٤/٣ .

مخافة أن ين البرؤس بعدى وأن يشربن رَتَقًا بعد صافٍ^(١)

ولأبى محمد الحسن بن عبيدة الريحاني :

حبذا من نعمة الله البنات الصالحاتُ
هن للنسل والأُنس وهن الشجراتُ
وبإِحْسَانٍ إِلَيْهِنَّ تكون البركاتُ
إنما الأهلون أرضون لنا محترقاتُ
فعلينا الزرعُ فيها وعلى الله النباتُ

كان لأبى حمزة الأعرابي^(٢) زوجتان فولدت إحداهما ابنة ، فعزَّ عليه ، واجتنبها
وصار في بيت ضررتها إلى جنبها فأحسَّت به يوماً في بيت صاحبته^(٣) ، فجعلت
ترقصُ ابنتها الطفلة^(٣) وتقول :

مالأبى حَمَزَةَ لَا يَأْتِينَا يَظْلُ في البيت الذى يلينا
غضبانَ أَلَّا نَلِدَ البنينا ^(٣) تا لله ماذلك فى أيدينا
بل نحن كالأرض لزارعينا يلبث ما قد زرعوهُ فينا
وإنما نأخذ ما أعطينا^(٣)

(١) فى الكامل : أحاذر أن يرين الفقر بعدى . وفى ج : مخافة أن ترى البرؤسى عليهم ، والرائق : الكدر .

(٢) سماء فى البيان أبا حمزة الضبي ، وانظر الرجز فى البيان والتبيين ١/ ١٩٥ ، العقد الفريد ٣/ ٣٤٢ ، ٤٨٢ ، مع اختلاف يسير فى الألفاظ .

(٣) ساقط من أ .

فعرف أبو حمزة قبح ما فعل ، وراجع امرأته .

قال منصور الفقيه :

لولا البناتُ والذنوبُ لم أكن يَرُو عني ذكرُ الحنوطِ والسكَنِ^(١)

وقال آخر^(٢) :

لولا أُمِّيَّةُ لم أجزع من العَدَمِ ولم أَجُبْ في الليالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ^(٣)
وزادني رغبةً في العيشِ معرفتي ذلِ اليتيمةِ يَجْفُوها ذَوُو الرَّحِمِ
أحاذرُ الفقرَ أن يُلِمَّ بِسَاحَتِهَا فَيَهْتِكَ السِتْرَ من لَحْمٍ على وَضَمِ^(٤)
أخشى إضاعة عِمٍ أو جفاء أخٍ وكنت أحنو عليها من أذى السكَمِ^(٥)
ما أنْسَ لا أنْسَ منها إذ تودَّعني والدمعُ يجري على الخلدَيْنِ ذَا مَسَجَمِ
لا تبرحن فإن متنا فإن لنا ربًّا تكفل بالأرزاق والقِسَمِ
تهوى حَيَاتِي وأهوى موتها شَفَقًا والموتُ أكرم نزال على العُرَمِ

(١) في ١ : لا رعت لذكر .

(٢) الأبيات لإسحاق بن خلف البهراني ، الحماسة لأبي تمام ١٠٧/١ ، عيون الأخبار ٩٣/٣ ، زهر الآداب ١٧٤/٢ ، محاضرات الأدباء ١٥٧/١ ، وانظر معجم الأدباء ١٢٣/٥ .

(٣) في الحماسة : ولم أقاس ، وحندس الظلمة شدتها .

(٤) الرضم : ما وقيت به اللحم من الأرض من خشب أو حصير ، والمراد هنا من هتك الستر عن اللحم : النل والضياغ .

(٥) في ١ : فظاظة عم ، وفي الحماسة أبقى بدل أخني .

وقال آخر (١) :

أحب بَنِيَّ وَوَدِدْتُ أَنِّي سترتُ^(٢) بَنِيَّ فِي قَعْرِ لَحْدِ
وما إنْ ذاك من مُبْغِضٍ وَلَكِنْ^(٣) مخافة أن تذوق البؤس بعدى

رأى ابنُ عباس رجلاً ومعه ابنٌ له ، فقال : أما إنَّه لو عاش فتنك ، ولو
مات أحنك .

قال محمد بن علي بن حسن لابنه جعفر : يا بني إِنْ اللهُ رَضِيَ لَكَ وَحَدَّرَنِي مِنْكَ ،
وَلَمْ يَرْضَكَ لِي فَأَوْصَاكَ بِي ، يَا بَنِيَّ إِنْ خَيْرَ الْأَبْنَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ الْبِرُّ إِلَى الْإِفْرَاطِ ، وَلَمْ
يَدْعُهُ التَّقْصِيرُ إِلَى الْعَقْوِ .

كان يقال : الولدُ رِيحَاتِكَ سَبْعًا ، وَخَادِمُكَ سَبْعًا ، وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ صَدِيقُكَ أَوْ
عَدُوُّكَ أَوْ شَرِيكَكَ .

سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين
أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم أرض ذليلة ، وسماؤ ظليمة ، وبهم
نصولُّ عند كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمتحونك ودمهم ،

(١) انظر البيت في عيون الأخبار ٩٣/٣ ، وقال : أنشدني ابن الأعرابي .

(٢) في العيون : دفنت .

(٣) في ١ ، وفي العيون : وما بي أن تهون علي لكني .

وَيُحِبُّوكَ جَهْدَهُمْ ، وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ قَفْلًا^(١) فَيَتَمَنَّوْا مَوْتَكَ وَيَكْرَهُوا قُرْبَكَ وَيَمْلُوا
حَيَاتَكَ . فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : اللَّهُ أَنْتَ ! لَقَدْ دَخَلْتَ عَلَيَّ وَإِنِّي لَمَمْلُوءٌ غَيْظًا عَلَى يَزِيدَ
وَلَقَدْ أَصْلَحْتَ مَنْ قَلْبِي لَهُ^(٢) مَا كَانَ فَسَدًا^(٣) . فَلَمَّا خَرَجَ الْأَحْنَفُ مِنَ عِنْدِ مَعَاوِيَةَ
بَعَثَ مَعَاوِيَةَ^(٤) إِلَى يَزِيدَ بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَبَعَثَ يَزِيدُ إِلَى الْأَحْنَفِ بِنِصْفِهَا .
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : يَنْبَغِي لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَتَخَيَّرَ لَوْلَاهُ إِذَا وُلِدَ الْإِسْمَ
الْحَسَنَ .

وَفِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ : مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُشَبَّهَ^(١) وَلَدَهُ .
قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : عَجَّلُوا بِكُنْيَ أَوْلَادِكُمْ لَا تُسْرِعْ إِلَيْهِمُ الْأَلْقَابَ الشُّوءَ .
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ : بَادِرُوا بِالْكُنْيِ قَبْلَ الْأَلْقَابِ . قَالَ : وَإِنَّا لَنَكُنِّي
أَوْلَادَنَا فِي الصِّغَرِ خَافَةَ اللَّقَبِ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ .
قَالَ قَتَادَةُ : رَبُّ جَارِيَةٍ خَيْرٌ مِنْ غَلَامٍ ،^(٢) وَرُبُّ غَلَامٍ^(٣) قَدْ هَلَكَ أَهْلُهُ
عَلَى يَدَيْهِ .

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ خَيْرًا مِنْ
أَدَبٍ حَسَنٍ » .

(١) فِي ١ : قَفْلًا .

(٢) سَاقَطَ مِنْ ح .

(٣) سَاقَطَةٌ مِنْ ح .

(٤) ج : يَشْهَدُ .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من عال ثلاث بناتٍ ، أو ثلاث أخوات أو ابنتين أو أختين كنَّ له حجاباً من النار ، فإن صبر عليهن حتى يزوجَّهن دخل الجنة .

كان يقال : من بلغت ابنته النكاح فلم يزوجها فزنت فعليه مثل إثمها ، وإثمها عليه

« وكما لا يصحّ الجسد بلا رأس لا تصلح المرأة بغير زوج »^(١) .

كان عقيل بن علفة^(٢) غيوراً ، فحمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول :

إني وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعُبدان وذودٌ عشرُ

أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

قال عبد العزيز بن مروان لسعيد بن العاص : كيف حبُّك لبَنَاتِكَ ؟ قال : إني لأحبهن ، على أنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ، وهن عدَدٌ ولسن بولد .

كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الأمصار : علّموا أولادكم العوم والفروسيّة ،

(١) ساقطه من ١ .

(٢) ابن الحارث بن معاوية اليربوعي ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية ، كان من بيت شرف في قومه ، ترغّب قریش في مصاهرته ، ولكنه كان ذا خيلاء وغطرسه ، قال المبرد : كان عقيل بن علفة من الغيرة والألفة على ما ليس عليه أحد ، توفي نحو سنة ١٠٠ هـ . انظر الأغاني ١١/٨٩-٨٩ (الأعلام ٤٠/٥) وانظر الأبيات في زهر الآداب ١٧٤/٢ .

ورودهم ما سار^(١) من المثل ، وما حَسُنَ من الشعر .

كان يقال : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء ، تعليمُ الكتابة والسباحة .

قال الحجاج لمعلم ولده : علم وَلَدِي السباحة قبل أن تعلمهم الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ، ولا يجدون من يسبح عنهم .

كان يقال : الدعاء على الولد والأهل بالموت يورث الفقر .

قال الشاعر :

خيرُ ما ورَّثَ الرجالُ بذِهم أدبُ صالحٍ وحسنُ الشَّناءِ
ذاك خيرُ من الدنانير والأو راق في يومِ شدةٍ أو رخاءِ

وهي أبيات كثيرة قد ذكرناها وذكرنا الاختلاف في قائلها في باب التعليم في الصغر ، من كتاب العلم . وفي ذلك الباب كثير من معاني هذا الباب ، والله الموفق للصواب .

قال أعرابي ، وهو حِطَّانُ بنُ المَعْلَى^(٢) :

أبكاني الدهرُ وياربِّما أضحكني الدهرُ بما يُرضي

(١) في ١ : وزودهم ما صار من المثل .

(٢) هو كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

(٣) شاعر إسلامي ، قامت شهرته على هذه القصيدة التي نوردتها ، انظرها في الحماسة ١/١٨٩ ، ووردت

بعض مخالفة في أمالي القالي ٢/١٨٩ ، المقدم الفريد ٢/٤٣٨ .

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حَكْمِهِ مِنْ شَاهِقِ عَالٍ إِلَى خَفَضٍ^(١)
وَابْتَزَنِي الدَّهْرُ ثِيَابَ الْغَنَى فَلَيْسَ لِي ثَوْبٌ سِوَى عَرَضِي^(٢)
لَوْلَا بُنَيَاتُ كَرْغَبِ الْقَطَا يَنْهَضُنَّ^(٣) مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
إِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَمْ تَطْعَمْ الْعَيْنُ مِنَ الْغَمَضِ^(٤)
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَنْنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ

كان الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة ويقول :

أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ مَبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصَّدِّيقِ
أَلَدُهُ كَمَا أَلَدْتُ رِيقِي^(٥)

قالوا : من كان له صبيٌ فَلَيْسَتْ تُصِيبُ لَهُ .

كانت أعراية ترقص ابنها ، أو بعض الأعراب يرقص ابنه ويقول :

أَحْبَبُهُ حَبًّا شَحِيجَ مَالَةٍ قَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْفَقْرِ مِمَّنْ نَالَهُ

(١) في العيون : من مرّب عال ، وفي الحماسة : من شامخ .

(٢) رواية الحماسة : غالى الدهر يوفّر الغنى ، وفيها وفي العيون : فليس لي مال بدل ثوب .

(٣) في الأمل : أجهن بدل ينهضن ، وفي العيون والحماسة : حططن .

(٤) في العيون : لامتعت عيني . الخ .

(٥) انظره في عيون الأخبار ٤٣٩/٢ ، ٩٥/٣ ، المقدم الفريد ٤٩/٣ .

إِذَا أَرَادَ بَذْلَهُ بَدَّالَهُ^(١)

قال محمد بن يحيى النديم^(٢): أول شعر قاله علي بن الجهم وهو غلام في المكتب، وذلك أن أباه أمر المؤدّب أن يجلسه يوم الخميس عنده في المكتب حتى يحفظ حزيه، فجلسه فكتب إلى أمه:

أُحْيِ جُعِلْتُ فِدَاكَ مِنْ أُمِّ أَشْكُو إِلَيْكَ فِظَاظَةَ الْجُثَمِ
قَدْ سَرَّحَ الصَّبِيانُ كُلَّهُمْ وَحُدِسْتُ بِالْعُدُونِ وَالظُّلَمِ

قال الزبدي: كنت رجلاً مُثَنِّئاً، فقليل لي: أكثر من الاستغفار وقت الجماع،

وامتغفر الله عند الجماع، ففعلتُ فولد لي بضعة عشر ولداً ذكراً.

قال الشاعر:

وَمَا كُلُّ مَثْنَاثٍ سَيَشْقَى بَيْنَتِهِ^(٣) وَمَا كُلُّ مِذْكَارٍ بُنُوهُ سُرُورٌ

ومن هذا المعنى ذكرني في باب النساء.

(١) الرحز في أمالي الفال ٢/٢٩٣، عيون الأخبار ٢/٤٣٩، العقد الفريد ٣/٤٧٢.

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر الصولي، كان يلقب بالنديم لأنه نادم ثلاثة خلفاء من بني العباس هم: الراضي والمكفي والقادر، وكان يلقب أيضاً بالطرنجي لذكائه من أحسن الناس إتماماً له وبراعة، توفي بالبصرة سنة ٣٣٥ هـ. انظر وفيات الأعيان ١/٥٠٨، تاريخ بغداد ٣/٤٢٧. وانظر هذا الخبر والبيتين في الأغاني في ترجمة علي بن الجهم، وقد كذبه أبو الفرج جملة وتفصيلاً.

(٣) في ١: استشقى بينته.

قال أبو الملاء محمد بن أحمد بن جعفر الوُكَيْعِي^(١) : ماسمت بكار بن قتيبة
القاضي^(٢) قط ينشد بيت شعر إلا مرة ، كنت عنده واختصم إليه رجل وابنه^(٣) ،
فكان من كل واحد منهما إلى صاحبه ما لم يحمد بكار ، فالتفت إليهما وأنا أسمع ،
فقال :

تَعَاظِيَتَا ثَوْبَ الْمُقَوِّ كَلَاكِمَا أَبُ غَيْرِ بَرٍ وابنه غَيْرُ وَاصِلٍ^(٤)

كان لعبد الملك بن مروان بيت مال كان قد حجزه من خالص غلاته وضياعه ،
لا يدخله شيء من الغلول ، يمدّه للتزويج وشراء الجوارى اللواتي يطلب أولادهن ،
وكان يقول : إنَّ الغلولَ يبقى في الولد .

قال أعرابي لأبيه ،^(٥) وهو عمر بن ذر الهمداني^(٥) يعاتبه : يا أبت إن عظيم
حَقِّكَ عليّ لا يذهب صغير حقِّ عليك ، والذي تَمَتُّ به إليّ أمت بمثله إليك ، ولست
أزعم أنا سواء ولكني أقول لا يحل الاعتداء .

(١) ساقط من ج ، وأبو الملاء عدث ثقة ثبت ، ولد بالكوفة سنة ٢٠٤ ، ثم قدم إلى مصر تاجرا فظلل
بها إلى أن توفي سنة ٣٠٠ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٢١/٩ .

(٢) ابن أسد الكوفي ، قاض فقيه عدث ، ولي قضاء مصر للمتوكل العباسي سنة ٢٤٦ هـ ، ولما صار الأمر
إلى أحمد بن طولون أمره بخلع الموفق من ولاية الهمداني ، فسجنه ، فأقام في السجن يقصده الناس ويروون
عنه الحديث ويتقاضون إليه حتى مات ، انظر وفيات الأعيان ٦١/١ ، (الأعلام وهاشمه ٣٤/٢) .

(٣) في ج : وأمه .

(٤) في ج : فاضل .

(٥) ساقط من ا ، وعمر هذا هو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني ، من رجال الحديث ، ومن
أهل الكوفة ، كان رأسا في القول بالإرجاء ، فاختلفوا في حجة حديثه . انظر : تهذيب التهذيب ٤٤٤/٧ .

قيل لأعرابي ، وكان له ابن عاق : كيف ابْنُكَ ؟ قال : عذابٌ أزعفُ^(١) عليّ
به الدهر ، فليقتلني قد أودعته القبر ، فإنه بلائٌ لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يلزم
عليها الشكر .

دخل إلى جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي أعرابي ، فسأله جعفر
عن بنيه ، فقال^(٢) :

إِنْ بَنِي خَيْرُهُمْ كَالْكَلْبِ أَبْرُهُمْ أَوْلَهُمْ — بَسِي^(٣)
لَمْ يَغْنِ عَنْهُمْ أَدَبِي وَضَرْبِي فليقتلني كُنْتُ عَقِيمَ الصُّلْبِ^(٤)
ولبعض العقلاء البررة الأدباء :

بِنَفْسِي أَنْتِ لَا أَبَايَ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجُودَ بِالْآبَاءِ نُؤْمًا^(٥)

كان يقال : من فوائد الدهر موتُ الابنِ العاق .

(١) أزعف عليه : أجهز .

(٢) انظر الرجز في أمالي القاضي ١٩٨/٢ ، الأدباء ١٥٨/١ ، المحاسن والمساوي ١٩٠/٢ .

(٣) في ١ : كلهم بدل خيرهم ، وفي الأمالي : أولاهم ، بدل أولهم ، وفي المحاسن : أدمهم بدل أبرهم .

(٤) في الأمالي : ورد بدل الشطرة الثانية من هذا البيت شطرة أخرى هي : ولا إنشأني لهم ورحبي ،
ورد بعد ذلك هو :

فليقتلني مت بغير عقب أو ليقتلني كنت عقيم الصلب

ويروى : الزب بدل الصلب .

(٥) انظر البيت في معاضرات الأدباء ١٩٣/١ .

قال أمية بن أبي الصلت ، وهو قد عتب على ابنه ^(١) :

عَذَوْتُكَ مولودًا وَعُذْتُكَ يافعا تُعَلُّ بِمَا أَسْعَى عَلَيْكَ وَمُنْهَلٌ ^(٢)
 إِذَا لَيْلَةٌ جَاءَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أَكُنْ بِشُكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ ^(٣)
 كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنِي تَهْمَلُ ^(٤)
 تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُؤْجَلٍ ^(٥)
 فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتَ قَبْلُ أَوْمَلُ ^(٦)
 جَعَلْتَ جَزَائِي غَلْظَةً وَفُظَاظَةً ^(٧) كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعَمُ الْمُنْفَضَلُ
 فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوَّتِي كَمَا يَفْعَلُ الْجَارُ الْجَاوِرُ تَفْعَلُ ^(٨)

ورضى أبو الشَّعْبِ الْعَبْسِيُّ عن ابنه فقال ^(٩) :

-
- (١) وردت الأبيات في عيون الأخبار ٨٧/٣ منسوبة إلى يحيى بن سعيد ، والصحيح أنها لأمية ، انظر ديوانه ١٠٢ ، وانظر حماسة أبي تمام ٣١٩/١ ، ٣٢٠ .
 (٢) في العيون : منتك بدل عبتك ، وأجنى بدل أسعى ، وفي الحماسة : أدنى إليك .
 (٣) رواية الحماسة : إذا ليلة نابتك ... لم أبت ، وفي العيون : نالتك .
 (٤) في العيون والحماسة : وعيني بدل فعيناي .
 (٥) لم يرد هذا البيت في العيون ، ورواية الحماسة : حَم بدل وقت .
 (٦) في العيون : فلما بلغت الوقت في العدة التي .
 (٧) العيون والحماسة : جعلت جزائي منك جبهًا وغلظة .
 (٨) في العيون والحماسة : فعلت كما الجار ... النخ .
 (٩) الأبيات التي تلي في حماسة أبي تمام ١٠١/١ ، ١٠٢ ، أمالي الناقب ٣/٢ ، الكامل للبريد ١٠١/١ ، والبيتان ٢ ، ٣ ، في عيون الأخبار ٥/٣ ، وذكر فيه : أنها في مدح الإخوان وليس الأبناء ، وقد وردت الرواية على هذا : إذا كان لإخوان الرجال ... النخ ، ولا يتفق هذا مع أي من المراجع الأخرى ، وقد نس في الكامل على أنها من أبي في ابنه ، قال : قال أبو العباس : أُنشدني التوزي لأبي رباط يقول لابنه ... النخ .

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شِبَابُهُ وَوَلَّى شِبَابِي لَيْسَ فِي بَرِّهِ عَثْبُ
 إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرِّجَالِ حَزَازَةً^(١) فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْحَلَوُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
 لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَمْبُ^(٢)
 يَخْبِرُنِي عَمَّا سَأَلْتُ بِهِتِي مِنْ الْقَوْلِ لَا جَافِيَ الْكَلَامِ وَلَا لُغْبُ^(٣)

وقال آخر :

فَلَوْ كُنْتُمْ لَكَيْسَةً أَكَّاسَتْ وَكَيْسُ الْأُمِّ أَكَيْسُ اللَّيْثِيْنَا^(٤)

(١) في الكامل : مرارة . والحزازة : وجع القلب من الغيظ .

(٢) في الكامل : أُنِيق بدل دميث ، وفيه وفي الفيون : مَرْكَبُه بدل ممتنع .

(٣) اللغب : العاسد من الكلام .

(٤) في ١ : لكستم بدل أكاست . وانظر البيت في البيان والتبيين ١/ ١٩٥ ، ٣/ ٣٤٨ ، محاضرات

الأدباء ١/ ١٥٩ .

بَابُ الْأَقَارِبِ وَالْمَوَالِي

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا رسول الله ^(١) إن لي قرابةً أصِلُّهم
ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويُسيئون إليّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا يزال معك من الله ظهيرٌ ما كنتَ على ذلك » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِن ذنبٍ أجدرُ بأن تعَجَلَ لصاحبه
العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة ، من البغى وقطيعة الرَّحِمِ » .

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم : « حقُّ كبير الإخوة على صغيَرهم ، كحقِّ الوالد
على ولده » .

وقال أبو الدرداء : مكتوبٌ في التوراة : إن أحسد الناسِ لِمِآلِمٍ وأبغاهم عليه ،
قرابته وجيرانه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه عليه وسلم : « مَوَالِي القوم منهم » .

قال ابن عباس : قد تُقَطَّعُ الرَّحِمُ ، وقد تُكْفَرُ النُّعْمَى ، ولا شيءٌ كتقارب
القلوب . وفي رواية أخرى عنه ، تُكْفَرُ النُّعْمَةُ ، والرَّحِمُ تُقَطَّعُ ، والله يؤلِّف بين
القلوب ، وإذا قارب بين القلوب لم يُزَحِّزْها شيءٌ أبداً ، ثم تلا : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ

ما في الأرضِ جميعاً ما أَلْفَتْ بين قلوبِهِمْ ، ولكنَّ اللهَ أَلَفَ بينهم ﴿١﴾ .

كان يقال : لا تُؤدِّي حَقُّ^(٢) الرحم إلا بأن تصل من أدلى بها إذا قطعك ،
وتعطيه إذا حرملك .

قال الشاعر :

وجدتُ قريبَ الوُدِّ خيراً وإن نَأَى من الأبعد الوُدُّ القريبِ المناسبِ
وربَّ أخٍ لم يُدِّنه منك والدُّ أبرُّ من ابنِ الأمِّ عند النوائبِ
وربَّ بعيدٍ حاضرٍ لك نفعُهُ وربَّ قريبٍ شاهدٍ مثلُ غائبِ

ولنصور الفقيه :

^(٣) مناسبتُك الأذنى أشدُّ عداوةً وكفراً لما أوليته من عدائِكَ
يقول الذي بيني وبينك مُوجبٌ عليك لعمري أثرتني بحياتِكَ
وما خبرٌ من عسى ويصبح ساخطاً على الله في تأخيرهِ لماتِكَ

وقال آخر^(٣) :

أشدُّ عداوةً وأقلُّ نفعاً من الرجلِ البعيدِ الأقربُونا

(١) سورة الأَنْفَال الآية ٦٣

(٢) في : - صلة .

(٣) ساقط مني ١ .

وقال آخر^(١) :

ولا خيرَ في قُرْبَى لغيرِكَ نفعُها ولا في صديقٍ لا تزالُ تعاتبُه
يحنوُكَ ذو القربى مرارًا ورُبَّما وفي لك عند الجُهد من لا تُناسِبُه

قالت الأعراب : ابن عمك عدوك وعدو عدوك .

قال الفضل بن العباس اللهي^(٢) في بنى أمية^(٣) :

مهلا بنى عمنا عن نحت أثَلْتِنَا سيروا قليلاً كما كنتم تسيرونَا^(٤)
لا تطعموا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
مهلا بنى عمنا مهلاً موالينا لا تنشروا^(٥) بيننا ما كان مدفونا
الله يعلم أنا لا نجبكم ولا نلومكم ألا تحبونا
كل يُداجي^(٦) على البغضاء صاحبه بِنِعْمَةِ الله تقليكم وتقلونا

(١) هو بشار ، انظر ديوانه ٣٠٩/١ ، محاضرات الأدباء ٢٢/١ ، الصداقة والصديق ١١١ وفيهما : تقاربه بدل تناسبه .

(٢) سبقت ترجمته في هذا الجزء .

(٣) وردت الأبيات في الحماسة لأبي تمام ٨٢/١ ، مع اختلاف في الترتيب ، وانظر البيت الثالث في الكامل ٢٧٩/٢ ، وبعضها في المؤتلف ٣٥ ، معجم الشعراء ٣١٠ ، العقد الفريد ٣٢٨/٢ ، عيون الأخبار ٧١٣/١ .

(٤) الأتلة : الشجرة العظيمة ، وتستعار للأرض ، والمقصود كفوا عن ضمنا وشتيم أعراسنا ، ورواية الحماسة : رويدا بدل قليلا .

(٥) في الحماسة : لا تبغضوا .

(٦) فيهما أيضا مداجي .

قال مضر بن القيس :

فقدت موالى الذين كأنهم
 دما ميل في وجهي على تنحس

ولما قتل الحسين بن علي ، قالت بنت عقيل بن أبي طالب :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
 ماذا فعلتم وأتم آخر الأمم
 بعثتني وبأهلي عند منطلق
 منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
 ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
 أن تخلفوني بسوء في ذوى رحمي^(١)

لسويد الحارثي أو غيره^(٢) :

بنى عننا لا تذكروا الشعر بعدما
 دفنتم بصحراء الغيم القواقي^(٣)
 فلسنا كما كنتم تصيدون مثله
 فيقبل عقلا أو يحكم قاصيا^(٤)
 ولكن حكم السيف فيكم مسلط
 فنرضى إذا ما السيف أصبح راضيا
 فإن قلتم إنا ظلمنا فإنكم^(٥)
 بدأتم ولكنا أسأنا التفاضيا

(١) انظر الأبيات في : الكامل ٩١/١ ، عيون الأخبار ٢١٢/١

(٢) وردت الأبيات في الحماسة لأبي تمام ٤١/١ ، وقال : أنها للشميز الحارثي أو سويد بن صبيح
 الرندي الحارثي ، وانظر عيون الأخبار ٧٧/١ .

(٣) في الحماسة : الغيم بدل الغيم ، والغيم موضع بين ذات عرق والبستان ، قبله بعين يوجد قبر أبي
 رغال .

(٤) في الحماسة : سلة بدل مثله ، وصيفا بدل عقلا .

(٥) فيها أيضا : فلم نكن بدل فإنكم .

وقال الأصبط بن قُريغ :

فَصِّلْ حَبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ أَجْلُ
حَبْلٍ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ^(١)

قال قيس بن زهير^(٢) :

شَفِيتَ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسِيقَى مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
قَتَلْتُ إِخْوَتِي سَادَاتِ قَوْمِي وَقَدْ كَانُوا لَنَا حُلَى الزَّمَانِ^(٣)
فَإِنْ أَكْ قَدْ شَفِيتَ^(٤) بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بِنَانِي

قال ذو الإصبع المدوانى^(٥) :

وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مَخَالَفٍ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي^(٦)
أُزْرِي بِنَا أَنَا شَالَتْ نِعَامَتُنَا^(٧) نَخَالِي دُونَهُ بَلْ خَلَّتْهُ دُونِي
اللَّهُ يَعْلَمُنِي وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِّي وَيَجْزِينِي

(١) البيت في البيان والتبيين ٢٨٠/٣ ، العقد المفريد ٢١٥/٢ ، زهر الآداب ٢٠٤/٢ .

(٢) الأبيات التالية في : حماسة أبي تمام ٧١/١ ، عيون الأخبار ٨٨/٣ ، محاضرات الأدباء ٧٥/٢ ونسبت فيها لقيس بن زياد ، وانظر معجم الشعراء ٣٣٢/٣ ، أمالي القالي ٢٦٢/١ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) في ١ : بردت وكذلك في العيون ، وفي المعجم : فإن أك قد شفيت بذلك قلبي .

(٥) الأبيات في الحيوان ٣٦٤/٤ ، عيون الأخبار ٣٢٨/٢ ، أمالي القالي ٢٥٥/١ ، ٥٦ .

(٦) في الأمالي : مختلفان فأقلبه .

(٧) شالت نعامتهم إذا انتقلوا من الموضع فلم يبق منهم فيه أحد ، والمقصود تغير حالهم من يسر إلى عسر .

ماذا عَلَيَّ وإن كنتم ذوى رحمٍ ألا أحبكم إذ لم تُحِبُّوني
قال الأعشى^(١) :

وإنَّ القريبَ من يقربُ نفسهُ لعمرُ أهلك الخيرِ لا مَنْ تَسَبَّها
وقال آخر :

وإنِّي للباسٌ عَلَى المَقْتِ والقِلَى بنى العمِّ منهم كاشحٌ وحسودٌ
أذبٌ وأرْمِي بالحصَى من ورائهمُ وأبدأ بالنعنى لهم وأعوذ^(٢)
قال ابنُ العميد :

آخرَ الرجالِ من الأبا عِدِ والأقاربَ لا تُقَارِبِ
إنَّ الأقاربَ كالقِـمَـا ربِّ أو أشدُّ من العقاربِ^(٣)

كان عبد الله بن العباس صديقاً لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فلقبه يوماً
مغتاضاً . فقال له : مالك ؟ قال : لقيتني فلانٌ — لرجل من أهله — فشتمني وآذاني .
فقال له : هوّن عليك فما من صنارٍ على طريدةٍ بأسرعَ إليها من ابن عم دَنِيٍّ إلى ابن عم
سَرِيٍّ ، فهوّن عليك .

(١) ديوانه ١١٣ .

(٢) البيتان في معاضرات الأدباء ١٧٥/١ ، وفيه : بالعصا بدل الحصى ، والحصى بدل النعمي .

(٣) البيتان في بتيبة الدهر ١٨٣/٣ ، ١٨٤ ، خاس الخاس ١٢٦ ، النمذيل والمحاضرة ١٢٢ .

من شعر طرفة ، ويروى في شعر عدى بن زيد^(١) :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند

وقال أبو فراس الحمداني^(٢) :

وهل أنا مسرورٌ بقرب أقاربي إذا كان لي منهم قلوبُ الأبعادِ

قال العتّابي : عشيرتُك مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتِكَ ، وابن عمّك من عمّك خيرُهُ
وَقَرَابَتُك من قَرُب منك نفعُهُ ، وأحبّ الناس إليك أخفّهم ثقلًا عليك .

وقال^(٣) :

إني بلوتُ الناسَ في أحوالهم وَخَبَرْتُ ما وصفُوا من الأسبابِ^(٤)
فإذا القرابة لا تُقَرَّبُ قاطعًا وإذا المودة أقربُ الأنسابِ

(١) ورد البيت في معافة طرفة ، وعلق على ذلك التبريزي في شرحه لها أنه لعدى ، انظر هامش الحيوان ١٥٠/٧ ، وقد نسب البيت لعدى في حماسة البحتري ٣٩٣ ، عيون الأخبار ٨٨/٣ ، نهاية الأرب ٦٣/٣ .
والرواية فيها كلها : أشدّ عداوة بدل مضاضة .

(٢) ديوانه ٣٦ .

(٣) ورد البيتان في حماسة البحتري ٢٧٨ ونسب فيها إلى يحيى بن زياد ، ونسبهما في العقد الفريد ٣١٤/٢ إلى أبي تمام وليس في ديوانه .

(٤) رواية حماسة البحتري لهذا البيت :

ولقد عرفت القائلين وقولهم وفهمت ما ذكروا من الأسباب

ورواية المقد :

واقعد سبرت الناس ثم خيرتهم ووصفت ما وصفوا من الأسباب

وانظر عيون الأخبار ٩٠/٣ .

وقال آخر :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يحفوكا^(١)
وهذا مأخوذ - والله أعلم - من قول أكنم بن صيفى : رب أخ لم تجمععه
معك ولادة .

قال آخر^(٢) :

قوى هم قتلوا - أميم - أخى فإذا رميت أصابنى سهمى
فلئن عفوت لأعفون جملأ ولئن سطوت لأوهن عظمى

وقال أبو الأسود الدؤلى :

إذا المرء ذو القربى وذو الود أجحفت به سنة حلت مصيبته حقدى^(٣)
قال آخر^(٤) :

سأخذ منكم آل حزنٍ لحوشب وإن كان مولأى وكنتم بنى أبى^(٥)

(١) البيت ضمن ثلاثة أبيات فى العقد الفريد ٣٠٧/٢ ، غير منسوبة لقائل .

(٢) هو الحارث بن ولة الجرمى كما فى حماسة أبى تمام ٧١/١ ، وانظر عيون الأخبار ٨٨/٣ .

(٣) فى العيون : يصيبى بدل أصابى ، وقرعت بدل سطوت .

(٤) البيت فى ديوانه ٣٦ ، ورواية ١ : جلت مصيبته عندى ، وفى عيون الأخبار ١٠٧/٣ . ذو الضعف

بدل الود ، وفى فصل المقال ١٨٠ ، ذو الذنب وفيه : نكبته بدل مصيبته .

(٥) قال فى حماسة أبى تمام ١٢٠/١ : يقال إنه جندل بن عمر ، وقد ورد البيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار ٨٩/٣ .

(٦) يروى ، وإن كان لى مولى ، وفى الحماسة والعيون : مولأى وقال الشارح وفيه الكف ، وهو حذف

التون من مفاعيلن ، ولم يرد فى الحماسة بيت مكشوف غيره .

فَإِنْ كُنْتَ لَا أُرْتَى وَتَرْتَى عَشِيرَتِي تُصِيبُ جَائِحَاتُ النَّبْلِ كَشَجِي وَمِنْكَبِي^(١)

وقال آخر :

فَلَمْ أُرْعِزْ الْمَرْءَ إِلَّا عَشِيرَةً وَلَمْ أُرْ ذَلًّا مِثْلَ نَائِيٍ عَنِ الْأَهْلِ

قال آخر^(٢) :

أَخَافُ كِلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَنَبَحَهَا إِذَا لَمْ تَجَاوِبْهَا كِلَابُ الْأَقَارِبِ^(٣)

وقال المقتنع الكندي ، واسمه محمد بن عمير بن أبي شير الكندي ، وكان من أجمل أهل زمانه وأحسنهم وجها ، وأتمهم قامة ، فكان إذا كشف وجهه يؤذى ، فكان يتقنّع دهره ، فسُمي لذلك : المقتنع . وشعره هذا من أحسن ما قيل في معناه جزالة ونقاوة وسباطة وحلاوة^(٤) :

يُعَايِنُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دُيُونِي^(٥) فِي أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا

(١) في الحماسة : كنانتي بدل عشيرتي ، وجائحات بدل جائحات .

(٢) نسب البيت في معاضرات الأدباء ١٧٣/١ إلى النعمان بن حنظلة ، ونسبت في عيون الأخبار ٩١/٣ إلى رجل من غطفان ولم يعنه ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ بدون نسبة .

(٣) في المحاضرات : وهرشها بدل نجها ، وبارشها بدل تجارها .

(٤) انظر الأبيات التالية في حماسة البحتري ٣٨٠ ، ٣٨١ ، أمالي القالي ٢٨٠/١ ، ٢٨١ ، وما عدا السابغ في حماسة أبي تمام ٣٢/٢ - ٣٤ .

(٥) يروي : تدانيت .

أَسَدٌ بِهِ مَا قَدْ أَخْلُوا وَضَيَّعُوا حَقُوقُ تُغُورٍ مَا أَطَافُوا لَهَا سَدًا
وَلِي جَفْنَةٌ لَا يُعْلَقُ الْبَابُ^(١) دُونَهَا مَكَلَّةٌ لِحِمَا مَدْفَقَةٌ رَدَا
وَلِي فَرَسٌ نَهْدٌ عَتِيقٌ جَعَلَتْهُ حِجَابًا لِيَتَى ثُمَّ أَخْدَمْتَهُ عَبْدًا
وَإِنَّ الَّذِي يَبْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلَفٌ جِدًا
إِذَا أَكَلُوا الْحِمَى وَفَرَّتْ لِحَوْمِهِمْ^(٢) وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غِيَابَهُمْ وَإِنْ هُمُ هَوُوا غَيَّيْ هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
وَلَيْسُوا إِلَى نَصْرِي سَرَاعًا وَإِنْ هُمُ دَعَوْنِي إِلَى نَصْرٍ أَتَيْتُهُمْ شَدَا
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرِي^(٣) بِنَحْسٍ يَمْرُبِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا يَمْرُبُهُمْ سَعْدًا
وَلَا أَهْمُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ^(٤) مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
لَهُمْ جُلٌّ مَالِي أَنْ تَتَابَعِيَ غَنَى^(٥) وَإِنْ قُلُ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رَفْدًا
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِئْمَةٌ لِي غَيْرَهَا تَشْبُهُ الْعَبْدَا
وَقَالَ طَرْفَةٌ :

وَأَعْلَمُ عَالِمًا لَيْسَ بِالظَنِّ أَنَّهُ إِذَا ذُلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ^(٥)

(١) فِي الْحِمَاسَةِ : وَفِي جَفْنَتِهِ مَا يَفْلُقُ الْحَجَّ ، وَكَذَلِكَ فِي الْبَيْتِ التَّالِي : وَفِي فَرَسٍ الْخ .

(٢) سَاقَطَ مِنْ أ . وَفِي الْحِمَاسَةِ : فَإِنْ أَكَلُوا بَدَلَ فِإِذَا .

(٣) فِي الْحِمَاسَةِ : طَيْرًا .

(٤) فِي حِمَاسَةِ الْبَحْرِيِّ : وَلَيْسَ كَرِيمُ الْقَوْمِ .

(٥) دِيَوَانُهُ ١٢٦ .

وقال عوف التميمي^(١) :

ولستُ لقوى بَمَيَّابَةٍ وشرُّ العشيرة من عَابَهَا
أَعِفُّ وأبْذُلُ مَالِي لَهَا ولا أَتَعَلَّمُ أَلْقَابَهَا^(٢)

وقال أبو الطمحان القيني^(٣) :

إذا كان في صَدْرِ ابنِ عمكِ إْحْنَةٌ فلا تستثرها سوف يبدؤ دَفِينُهَا^(٤)

قال آخر :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَايَ إِلَى الْهَيْجَا بغيرِ سِلَاحٍ
وإن ابن عمِّ المرء فاعلم جَنَاحَهُ وهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بغيرِ جَنَاحٍ

قال الثَّقَفِيُّ^(٥) :

(١) انظر ترجمته و البيتين في معجم الشعراء ٢٧٦ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) نسب البيت في المؤلف ٢٣ إلى الأقبيل القيني ، وفي حماسة البحتري ١٨ إلى معروف بن عمرو

الطائي .

(٤) في المؤلف : متى ما يكن ، وفي حماسة البحتري نفس ابن عمك بدل صدر .

(٥) نسب البيتان في عيون الأخبار ٣٠٤/٢ ، ٢/٣ ، فصل للمقام ٢٢٠ ، الأغاني ٧٠/١٨ (بولان)

إلى مسكين المارمي ، ونسباً في حماسة البحتري ، ٣٨٨ إلى قيس بن عاصم .

(٦) ذكر في هامش البيان ٨٢/١ أنه يزيد بن الحكم الثقفي على الاحتمال ، وقد نص في الشعر والشعراء =

من كان ذا عَضُدٍ يَدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إن الدليلَ الذي ليست له عَضُدُ
تنبؤُ يَدَاهُ إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ ويأْنفُ الغنيمُ إن أثرى له عددُ

وقال أشجع السلمي :

نسيبك من أمسى يَنَاجِيكَ طَرْفُهُ وليس لمن تَحْتِ الترابِ نسيبُ^(١)

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

رُبَّ غريبٍ ناصحٍ الجيبِ وابنُ أبٍ متهَمُ الغيبِ^(٢)
ورب عيَابٍ له منظرٌ مشتملُ الثوبِ على العيبِ

قال محمد بن أبان اللّاحقِي يخاطب أخاه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أتاها وأنت سَنَنْتَها للناس قبلي^(٣)

واللاحقِي هو القائل :

== على أنه الأجرد الثقفى ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ٢/٣ ، المصون ٧ ، العقد الفريد ٢/٤١٠ ، ٤١ ،
الحيوان ٣/٤٥٠ .

(١) البيت في التمثيل والمحاضرة ٨٤ .

(٢) انظر البيتين في البيان والتبيين ١/٧٥ ، التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، عيون الأخبار ٢/١٥ وفيه :
وكل غريب ، العقد الفريد ٢/٣١٤ وفيه : رب يعيد .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٠٨ وفيه : وأنت سَنَنْتَها في الناس ، وقد تقدمت ترجمة اللّاحقِي .

انخفض الصوت إن نطقت بليلٍ والتفتُ بالأنهار قبلَ الكلام^(١)

وفي معنى قول اللاحق في البيت الأول قول الهذلي :

فلا تقزعن من سيرة أنت سرتها فأولُ راضٍ سنّةٌ من يسيرها^(٢)

(١) البيان والتبيين^٣ ٢٦٦/١ ، عيون الأخبار ٤٤/١ .

(٢) ديوان الهذليين ١٢/١ . والرواية في عيون الأخبار ١٠٩/٤ : فلا تسجين ، ولي الشعر والشعراء :

لا تمزعن .

بَابُ الْمَمْلُوكِ وَالْمَالِكِ

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة سَيِّءُ الْمَلِكَةِ » .

كان يقال : التسلُّط على المملوك دناءة .

وقال بعضُ الحكماء : اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك ، وعند حكمتك حكم الله فيك .

كان يقال : أنعم الناس عيشاً من حَسُنَ عيشُ غيره في عيشه .

كان يقال : الإحسان إلى الخادم يُشجِّي المدو ، ويُذهب البؤس ، والكسوة تُظهر الفنى .

قال عمر بن الخطاب : أكثرُوا شراءَ^(١) الرقيق ، فرب عبد يكون أكثر رزقاً^(٢) من سيده .

اشترى عبدُ الله بن أبي ربيعة المخزومي عبدَ بنى الحَسَحَاسِ واسمه سُجَيْمٌ ، وكان حبشياً سمحاً شاعراً ، وكتب إلى عثمان بن عفان : إني قد اشتريتُ لك غلاماً حبشياً شاعراً فكتب إليه عثمان : لا حاجة لى به ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر إذا شبع أن يشبَّ بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوهم .

(١) فى ح : شرى .

(٢) ا : وفاء .

قال لقمان لابنه : يا بني إياك وخدمة العين^(١) . قال : وما خدمة العين^(٢) ؟ قال :
ألا يكون لك عبد لا يخدمك إلا حيث يراك^(٣)

باع أعرابي غلاماً له من قوم من أهل البصرة ، فجاءوه سقاءً على ظهر بعير
لهم^(٤) ، فلبث الأعرابي حيناً ثم لقيه فسأله عن حاله ؟ فقال : أنا في سفر لا ينقضي ،
وغدير لا يئزح ، وقوم لا يروون

قال بعض الحكماء : أفضل الممالك الصغار ، لأنهم أحسن طاعة ، وأقل خلافاً ،
وأسرع قبولاً .

كان يقال : استخدم الصغير حتى يكبر ، والأعجمي حتى يفصح .

روى سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن ابن معبد ، عن ابن عباس ،
قال : من حلف على ملك يمينه أن يضربه فكفارته تركه ، ومع الكفارة حسنة .

قال أبو الفتح^(٤) :

بَطَرْتُمْ فطَرْتُمْ والعصا زَجَرْتُمْ مِنْ عَصَى وَتَقْوَيْمُ عَبْدِ الْهُونِ بِالْهُونِ رَادِعُ

(١) في ١ : الفير .

(٢) في ١ : حيث يراك الناس .

(٣) ساقطة من ١ .

(٤) في ٢ : ابنه الفتح ، وأبو الفتح هذا هو علي بن محمد بن الحسين العميد ، وزير شاعر ، كان يلقب
بذي السكايتين ، تولى الوزارة بعد أبيه (ابن العميد) لركن الدولة البويهى بالرى ونواحيها سنة ٣٦٠ هـ ،
واستمر إلى أيام مؤيد الدولة حتى قبض عليه وقتله سنة ٣٦٦ هـ . انظر الأعلام وهامشه ١٤٣/٥ ، وانظر البيت
في التمثيل والمحاضرة ١٢٢ ، يتيمة الدهر ١٩٠/٣ وفيها نالغ بدل رادع ، خاص الحاس ١٢٧ .

وقال آخر :

إذا لم يكن في منزل المرء حرّة رأى خلافاً فيما تدير الولاة
فلا يتخذ منهم حرّاً قعيدةً فهن لعمر الله بثسن القمائد^(١)

قال آخر :

العبد يُزجرُ بالعصا والحرُّ تكفيه الملا^(٢)

وقال آخر :

العبد يُقرعُ بالعصا والحرُّ تكفيه الإشارة^(٣)
أخذه من قول مالك بن الرّيب :

العبد يُقرعُ بالعصا والحرُّ يكفيه الوعيد^(٤)

وقال بشار^(٥)

الحرُّ يُلحى والعصا للعبد^(٦) وليس للملحف مثل الردّ^(٧)

(١) البيتان في التمثيل والمحاضرة ٢١٨ ، محاضرات الأبا ٨٧/٢ ، المحاسن والأضداد ٢٥٤ ، وفيهما : ضبعة بدل خلا .

(٢) اسب هذا البيت في الحيوان ٤٨٣/٦ إلى خليفة الأقطم ، ونسب في البيان والتبيين ٣٢/٣ ، وفيات الأعيان ٣٨٩/٥ إلى يزيد بن مفرغ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ بدون نسبة .

(٣) البيت للصّلتان الفهمي انظر البيان ٣٣/٣ ، المؤتلف ١٤٥ .

(٤) البيان والتبيين ٣٢/٣ .

(٥) دروانه ٢٢٤/٢ ، وفيه : يوصى بدل يلحى .

(٦) ساقطة من ج .

كان يقال : الحرُّ حرٌّ وإن مسه الضرُّ ، والعبد عبد ولو مشى على الدر .
أخذه الشاعر فقال :

وإن الحرَّ في الحالات حرٌّ وإن الذلَّ يُقرن بالعبيد^(١)
وقال يزيد المهلبى :

إن العبيد إذا أذلَّتْهُمْ صَلَحُوا على الهوان وإن أكرمتهم فَسَدُوا^(٢)
قال المتنبي^(٣) :

لا تشترِ العبدَ إلا والعصا معه إن العبيدَ لأنجاسٍ منا كيدُ
وقال آخر :

إذا برم المولى بخدمة عبده تجنّى له ذنباً^(٤) وإن لم يكن ذنبُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٤ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٢٢ ، فصل المقال ٣٨٦ وفيه : إن التمام بدل العبيد .

(٣) ديوانه ٤٣٤ .

(٤) ١ : قدم له ذنباً .

باب الذكر والثناء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم » ؟
قالوا : بـم ذا يا رسول الله ؟ قال : « بالثناء الحسن والثناء السيئ ، أتم شهداء الله في
الأرض ، بعضكم على بعض » .

قال عبد الله بن مسعود : عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه .
وروى ذلك عن ابن عمر أيضاً .

قال كعب الأحبار : إذا أحببتكم أن تعلموا ما للعبد عند ربّه (١) فانظروا ما يتبعه
من حسن ثناء .

قال مطرف بن الشخير : عنوان كرامة الله لعبده حسن الثناء عليه ، وعنوان
هوانه سوء الثناء عليه .

قال بعض الحكماء : الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنهم
حديثاً فافعل .

ومن ها هنا — والله أعلم — أخذ ابن دريد قوله :

(١) في ١ : عند الله .

وإنما المرء حديثٌ بعدهُ فكن حديثًا حسنًا لمن وعى^(١)

قال آخر :

أرى الناسَ أحمدةً فكوني حديثًا حسنًا^(٢)

قال آخر :

وكلُّ جديدٍ - يا أميمَ - إلى البلى وكلُّ امرئٍ يومًا يصير إلى كائنًا^(٣)

وقد مضى قول حاتم الطائي :

أخافُ مَذَمَّاتِ الأحاديثِ مِنْ بَعْدِي^(٤)

مات ابنُ الحبيب بن المهلب^(٥) ، فقدم أخاه يزيد ليصلي عليه ، فقبل له : أتقدمه وأنت أسنُّ منه ؟ قال : إن أخى قد شرفه الناسُ وشاع له فيهم الصيت ، ورَمَتْه العربُ بأبصارها ، فكرهت أن أضعَ منه مَارِفعَ الله .

(١) في ١ : وإنما الناس حديث حسن .

(٢) ورد البيت في المتن هكذا :

أرى الناسَ أحمدةً للزمان فكن فيهم حديثًا حسن

وقد زاد الناسخ فيه كلمتين ، وهو ما لم ترد به رواية البيت في المراجع ، انظره في التمثيل والمحاضرة ٨٧ ، منسوباً لعبد الصمد بن العذل ، وانظره في الكامل ٢٣٧/١ ، معاضرات الأدباء ١٨٠/١ بدون نسبة .

(٣) البيت في حسانة البحترى ٣٣٢ ، البيان والتبيين ١٦٠/٣ .

(٤) سبق هذا مع أبيات أخرى .

(٥) ابن أبي صفرة ، أحد شجيمان العرب وأشرفهم ، كانت له ولاية كerman من قبل عبد الملك بن مروان ، وعزل عنها سنة ٨٧ ، ثم صلب أخاه يزيد في أعماله وغر وانه حين خرج بالبصرة على يزيد بن عبد الملك وقتل =

قال رجل من غنى^(١) :

فإذا بلغتكم أهلکم فتحدثوا ومن الحديث مهالكٌ وخلودٌ

قال آخر :

فأثنوا علينا لا أباً لأبيکم بإحساننا إن الثناء هو الخلد^(٢)

قال الأسدی :

فإني أحبُّ الخلدَ لو أستطيعُهُ وكالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَلَمْ^(٣)

كان أبو عمرو بن العلاء يشمل :

وسيبقى الحديث بعدك فانظر خيرَ أحدىثة تكونُ فكُنْها^(٤)

== معه سنة ١٠٢ هـ (الأعلام ١٧٣/٢ وهامشه) ، أما أخوه يزيد فقد كان أحد رجال العرب الأجواد الشجعان ، تولى خراسان بعد أبيه سنة ٨٣ فمكث نحو من ست سنين ، ثم عزله عبد الملك برأى الحجاج الذي كان يخشى بأسه ، ولما تم عزله حبسه الحجاج فهرب منه إلى الشام وظل فيها حتى ولاء سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ، فبقى عليها حتى تولى عمر بن عبد العزيز فعزله وحبسه ، ثم استطاع غلمانه أن يخرجوه بعد وفاة عمر فسار إلى البصرة وغلب عليها سنة ١٥١ ، إلى أن استطاع مسلعة بن عبد الملك هزيمته وقتله سنة ١٥٢ هـ . انظر : الأعلام ٢٤٦/٩ والمرجع الكثيرة التي أوردها عنه في هامشه .

(١) في ح : الغنوى ، والبيت أشدده الجاحظ كفاي السكامل ٢٢٣/١ ، وانظره في الحيوان ٤٧٥/٣ ، وفيه أرضكم بدل أهلکم ، ومتالف بدل مهالك ، ورواية عيون الأخبار ١٦١/٣ كما هنا .

(٢) البيت للحارثي كما في الأغاني ٢٧٥/٣ ، وانظر السكامل ٢٢٣/١ . وقال أشدده الجاحظ ، وفيه بأفعالنا بدل إحساننا ، وانظر عيون الأخبار ١٦١/٣ .

(٣) نسب هذا البيت في معجم الشعراء ٣٩٠ إلى مفرس بن ربيع بن لقيط . وانظره بالنسبة التي هنا في البيان والديبين ٢٢٣/١ ، ٢٦٤/٣ - الحيوان ٤٧٥/٣ - معاضرات الأدباء ١٨٠/١ .

(٤) نسب البيت في البيان والديبين ٢٦٤/٣ ، الحيوان ٤٧٥/٣ إلى الحادرة (قطبة بن أوس) .

قال داود بن جهور ، ^(١) وتنسب إلى منصور ، وليست له وقد رويناها لداود ،
والله أعلم ^(١) :

إذا أعجبتك طباعُ امرئٍ فكنته يكن منك ما يعجبك
فليس على الجودِ والمكرُماتِ حجابٌ إذا جنته يحجبك
قال آخر :

ذكرُ الفتى عمره الباقي وحاجته مافاتهُ وفضولُ العيش أشغالُ ^(٢)
قال التهامي ^(٣) :

يَنبَأُ يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبِرًا حَتَّى يُرَى خَبَرًا من الأَخْبَارِ

(١) زيادة من ١ ، وقد ورد البيتان في محاضرات الأدباء ١/١٤٩ ، ١٥٠ ملسوين إلى أبي العيناء

(٢) البيت في محاضرات الأدباء ٢/٣٢٠ ، وفيها عمره الآتي ، مافاته من فضول الخ .

(٣) هو علي بن محمد بن نهد التهامي ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من تهامة ، زار الشام والعراق وولى
خطابة الرملة ، ثم رحل إلى مصر متخفياً ، ومعه كتاب من حسان بن مفرج الطائي . أيام استقلاله ببادية فلسطين
إلى بنى فرة قبيل عصيانهم بمصر ، فملئت به حكومة مصر فاعتقل وحبس ، ثم قتل في محبسه سنة ١١٦ هـ .
انظر : وفيات الأعيان ١/٥٧ ؛ (الأعلام وهامشه ٥/١٤٥ ، ١٤٦) .

بابُ البكاء على ماضى من الأزمان والتلُّف على صالح

الإخوان ، والحنين إلى الأوطان

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : « فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حُثالة من الناس قد مرَّجتَ عهدهم^(١) وخفَّت أماناتهم ؟ »

قيل لبعض الحكماء : بأى شيء يُعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار ؟ قال : بحنينه إلى أوطانه ،^(٢) وتلُّفه على ما مضى من زمانه .

روى أبو العلاء زكريا بن يحيى بن خلاد ، عن الأصمعي ، قال : قال أعرابي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه^(٣) وتشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من أزمانه .

روى عروة عن عائشة : أنها تمثلت بقول لبيد^(٤) :

ذهب الذين يُعَاشُ في أَكْثَانِهِم وَبَقِيْتُ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
يَتَحَدَّثُونَ مِلَالَةَ وَخِيَانَةً وَيُعَابِ قَاتِلَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ^(٥)

(١) مرجع العهد : لم يف به .

(٢) ساقط من أ .

(٣) ديوانه ٧ .

(٤) يشغب : يبهج الشر ، ورواية الكامل ٧٠/٢ : يتحدثون مِجَانَةً ومِلَالَةً ، وفي البيان ٢٧٠/٢ :

مِغَالَةً وخِيَانَةً ، وفي ملامة بدل مِلَالَةٍ ، وانظر الحيوان ٢٧٥/٥ .

ثم قالت : كيف لو أدرك ليبد زماننا هذا ؟ قال عمرو : كيف لو أدركت عائشة زماننا هذا ؟

بلغ ابن عباس قول عائشة : رحم الله ليبدأ ، كيف لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال ابن عباس : رحم الله ليبدأ ورحم عائشة ، لقد أصبت باليمن سهما في خزان عاد ، كأطول ما يكون من رماحكم هذه ، مريشٌ مفوق مكتوب عليه :

فهل لي إلى أجيال هندٍ بنى اللوى لوى الرمل من قبل المات معاد
بلادها كنا ونحن نجيها إذ الناس ناسٌ والبلاد بلاد^(١)
(٢) قال أبو العتاهية (٣) :

لله أزمته عهدي رجالها في النابات وإنهم لكرام
ماذا أقول لو أفد الزمن الذي^(٤) هلك الأرامل فيه والأيتام
زمنٌ هوت أعلامه وتقطعت فراقاً فليس لأهله أعلام
زمن مكاسب أهله مدخولة جدًّا^(٥) فرمغ أصوله الآثام

(١) انظر هذا الخبر في العقد الفريد ٢/٣٤٠ ، محاضرات الأدباء ٢/١٦٩ مع اختلاف قليل في الرواية .

(٢) من هنا ساقط من نحو صفحة .

(٣) الأبيات التالية في ديوانه ٢٤٤ .

(٤) رواية الديوان : فلميرة أخت الزمن الذي ... الفخ

(٥) في الديوان : دخلا .

زمن ثجاي المكرمات سرائه حتى كان المكرمات حرام

روينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخلت عليه عجوز وهو في بيت عائشة ، فأكرمها وقربها ووصلها ، فقالت له عائشة : من هذه العجوز ؟ فقال : « كانت تأتينا وتزورنا أيام خديجة ، وحفظ المهد من الإيمان » .

وقال آخر :

ذهب الزمان برهط حسان الألى كانت مناقبهم حديث النـابـر
وبقيت في خلف تحلل ضيوفهم منهم بمنزلة اللثيم الغادر
سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر^(١)

وقال آخر :

مضى الذين إذا ماجئت أسألهم قالوا برحب : على العينين والرأس
وقد بقيت بأوغاد أكابرهم ليسوا بناس بلى أشباه نسناس^(٢)

وقال عتبة الأعور^(٣) :

ذهب الذين أحبهم وبقيت فيمن لا أحبه

(١) انظر الصداقة والصديق ١١٤ .

(٢) إلى هنا ينتهي القسم من . وانظر البيتين في الصداقة والصديق ١١٥ .

(٣) هو : عتبة بن أبي سفيان بن حرب ، ويسمى الأعور لأن عينه فقت يوم الجمل الذي شهد مع عائشة وكان عتبة عاقلا فصيحاً مهيباً من فحول بني أمية ، تولى مصر من قبل أخيه معاوية ، فقدمها سنة ٤٣ هـ ، ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطاً وتولى بها سنة ٤٤ هـ . انظر : لسب قریش ١٢٥ ، السيرة الحلبية ١٣٨/٢ (الأعلام ٣٦٠/٤) .

إِذْ لَا يَزَالُ كَرِيمٌ قَوْماً فِيهِمْ كَلْبٌ يَسْبُهُ^(١)

وقال الحارث بن^(٢) الوليد :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مَقْبِلًا هَشُّوا وَقَالُوا مَرْحَبًا بِالْمَقْبِلِ
وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ وَلَغُ الْكَلَابِ تَهَارَشَتْ فِي مِنْهَلٍ^(٣)

وقال الأحوص :

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ سَلَفًا وَبَقِيتُ كَالْمَفْقُودِ فِي خَلْفٍ
مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى حَنْقٍ مُتَّصِعٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِي^(٤)

وقال بشار :

فَسَدَ الزَّمَانُ وَسَادَ فِيهِ الْمُتَعَرِّفُ وَجَرَى مَعَ الطَّرْفِ الْحَمَارُ الْمُوكَفُ^(٥)
كَانَ سَفِيَانُ الثَّوْرِي يَقُولُ : ذَهَبَ النَّاسُ فَلَا مَرْتَعٌ وَلَا مَفْزَعُ^(٦) .

(١) البيتان في الحيوان ٣٠٩/٢ ، وفيه : كريم قومي ... النح :

(٢) في - : دعى الوليد ، ولم أستطع العثور له على ترجمة .

(٣) البيتان في الحيوان ٣٠٧/٢ . والولع : حركة لسان الكلب في الإناء حين يشرب .

(٤) البيتان في البيان والتبيين ٢٧٦/٣ ، الحيوان ٨٥/٣ ، وفيها : كالمفقود بدل المفقود ، وفي البيان : متصنع بدل متضجع .

(٥) المفرف : الفرس الذي أمه عربية لا أبوه وهو لا يداني الطرف أى الجواد الأصيل ، والموكف : الضعيف ، ورواية - : الفرس بدل الطرف .

(٦) المرتع : المنصب والسعة ، والمفزع : الذى يابجأ إليه عند الفزع والحاجة .

ولعبد الله بن المبارك الفقيه، ^(١) وتروى لغيره ^(٢) :

ذهب الرجالُ التَّمَتُّدى بفعَالِهِم والمنكرون لكلِّ أمرٍ مُنْكَرٍ
وبقيتُ في خلفٍ يُزَيِّنُ بعضهم بعضاً ليأخذ مُعَوِّزُ من مُعَوِّزٍ ^(٣)
^(٤) ركبوا ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ فأصبحوا متنكبِّين عن الطَّرِيقِ الأَكْبَرِ
ما أقربَ الأشياءِ حينَ يَسُوقُها قدرٌ وأبعدُها إذا لم تُقَدَّرِ
المعلمُ زينٌ للرجالِ مروءةٌ والعلمُ أنفعُ من كنوزِ الجواهرِ
أأخَى إنَّ من الرجالِ بهيمةٌ في صورةِ الرجلِ السميعِ المبصرِ
فَطَلَنَ لكلِّ مصيبةٍ في مالِهِ وإذا يُصَابُ بدينه لم يشعرِ ^(٥)

ولأبي حفص عمرو بن علي بن بحر الفلاس ^(٦) ، ^(٧) وكان أحد أئمة أهل الحديث
الحفاظ الجملة ^(٨) :

(١) ساقط من أ .

(٢) نسب البيهقي في معجم الشعراء ٣٨٣ إلى دعلج الخراعي ، ونسب في المؤلف ١٦١ إلى الحكم بن عبد الأسد ، والرواية هناك : ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا . وفي عيون الأخبار ١٢٣/٢ قال أشدهما ابن الأعرابي ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١٢/٢ ، الصداقة والصدق ١١٥ بدون نسبة ، وورد بعضها في معجم الأدباء ١٤٣/٨ منسوباً إلى الحسن بن عبد الله الأصمباني المعروف بلسكذة ، ثم وردت مرة ثانية في ج ٣٨/١٢ منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي .

(٣) الأبيات الخمسة ساقطة من ج ، وانظر الأول والثاني منهما في المحاضرات والصداقة بالأرقام السابقة .
(٤) ورد هذا الاسم في أ : أبو حفص عمرو بن علي بن حفص الفلاس ، وفي ج ، م : عمر بن علي الفلاس ، والصحيح ما أثبتناه ، وأبو حفص : باحث من أهل البصرة سكن بغداد ، ومات بسر من رأى ، وكان من حفاظ الحديث الثقات ، وله مؤلفات فيه وفي التفسير . انظر : تهذيب التهذيب ٨٠/٨ وما بعدها ، الباب ٢/٢٣٠ (الأعلام ٢٥٤/٥) .

(٥) ساقط من ج .

ألا ذهب التكرُّمُ والوفاءُ وباد رجاله وَبَقِيَ الغُثَاءُ
وَأَسْتَمْنِي الزمانُ إلى رجالٍ كأمثال الذئابِ لهم عواءُ
صديقٌ كلما استغنيت عنهم وأعداءُ إذا نَزَلَ البلاءُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

يا زمانًا أَوْرَثَ الْأَخْ رَارَ دَلًّا وَمَهَانَةً
لستَ عندي بزمانٍ إنما أنت زَمَانَةٌ
كيف نرجو منك خيرًا والعلا فيك مُهَانَةٌ
أَجْنُونًا ما نراه مِنْكَ يبدو أم مَجَانَةٌ^(٢)

وقال آخر :

كنا مُعَمِّرٌ من يَأْتِي بفاحشةٍ والناسُ يَرْعَوْنَ حقَّ الدينِ والحسبِ
فالناسُ قد تركوا التعميرَ كلهم لما استوى النَّاسُ في الفحشاء والكذبِ

وقال آخر :

ذهب الوفاءُ ذهابَ أَمْسِ الذَّاهِبِ فالنَّاسُ بينَ مُجَامِلٍ وَمُؤَارِبِ

(١) انظر الآيات مع أخرى في عيون الأخبار ٣٤٥/٢ . وفيه : إذا ذهب بدل ألا، وجهه بدل نزل .

(٢) نسبت آيات التالية في معجم الأدباء ٩/١٩ ، خاص الحاص ١١١ إلى أبي الحسن بن لنسكك البصري ، والزمانه : الماهة ، والمجانة : عدم البلاءة بقول أو فعل .

وقال آخر :

ذهب التكرمُ والوفاءُ من الورى وتقرَّضنا إِلاَّ من الأشمارِ
وفشت خياناتُ الثقات وغيرهم حتى اتَّهَمنا رؤيةَ الأبصارِ

ولعبد الله بن عبد العزيز بن ثعلبة اليعقوبى الشَّدُونى :

مضى دهرُ السَّماحِ فلا سَمَاحُ ولا يُرْجى لى أحدٍ فلاحُ
رأيتُ الناسَ قد مُسِخُوا كلابا فليس لديهمُ إِلاَّ النُّباحُ
وأضْحى الظَّرْفُ عَندَهُمْ قَبِيحا ولا واللهِ إِنَّهُمْ القَبَاحُ
سلامُ أهلِ إبليسِ عَلَيْكُمْ فإنَّ البَينَ أوشكهُ الرِّواحُ
نروح فنستريحُ اليومَ منكم ومن أمثالكم قد يُستَرَّاحُ
إذا ما الحَرْهُ هَانَ بِأَرْضِ قومٍ فليس عليه فى هربٍ جُنَاحُ

وقال آخر :

مضى الجودُ والإحسانُ واجْتُثَّ أَصْلُهُ وأُخِذَ نيرانُ النَّدى والمكارمِ
وصرتُ إلى ضربٍ من الناسِ آخرِ يَرَوْنَ العُلا والمجدَ جمعَ^(١) الدَّراهمِ
كَأَنَّهُمْ كانوا جميعًا تعافدُوا على اللُّؤمِ والإِمسالِ فى صُلْبِ آدمِ

(١) فى ١ : كسب .

كان بلال لما قدم المدينة يشد تشوقاً إلى مكة ، ويرفع عقيرته^(١) :

ألا ليت شعري هل أيتنَّ ليلةً بوادٍ وحولٍ إذْ خُـرَّ وجَلِيلُ^(٢)
 وهل أَرَدَنْ يوماً مياهَ بَحَّةٍ وهل يَبْدُونُ لي شامةً وَطْفِيلُ^(٣)

ولابن ميادة واسمه الرِّمَّاح^(٤) :

ألا ليت شعري هل أيتنَّ ليلةً بِحَرَّةٍ لَيْلى حَيْثُ رَيَّسَنِ أَهْلِي
 بلادُ بها نِيطَتْ عَلَى تَمَائِي وَقُطِّعْنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي^(٥)

وقال آخر :

أَحَبُّ بلادِ اللَّهِ ما بينَ مَنَعِجٍ إِلَى وَسَامِي أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
 بلادُ بها عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِي وَأَوَّلَ أَرْضِ مَسِّ جِلْدِي تَرَائِي^(٦)

وقال آخر :

أَحْنُ إِلَى دَهْرٍ مَضَى بِفَضَارَةٍ إِذَا الْعَيْشُ رَطَبٌ وَالزَّمَانُ مُوَاتِي

(١) انظر البيتين في أمالي القالي ١/٢٤٦ ، الممد العريد ٥/٢٨٢ ، معجم البلدان مادة مكة .

(٢) في معجم البلدان بفتح ، والإذخر حشيش طيب الرائحة ، والجليل ويسمى أيضا الثمام نبت يستعمل في بعض علاجات العين ، وحنة جبل لبنى رتل بتهامة ، وشامة وطفيل جبلان قرب مكة .

(٣) ساقط من أ .

(٤) البيتان في الأغاني ٢/١٠٤ ، زهر الآداب ٣/١٠٣ ، المصون ٢٧ . وفي أ : بوادي الخزامى بدل حرة لى ، ونيطت : شدت ، والتمايم : ما يعلق على الصبيان من الأحذية لحفظهم من البر ونحوها .

(٥) نسب البيتان في عيون الأخبار ٢/٢٧٦ إلى امرأة من طيء ، وانظر زهر الآداب ٣/١٠٠ ، أمالي القالي ١/٨٣ ، الكامل ١/٤٠٦ ، فهناك اختلاف يسير في الرواية ، ومنعج واد يصب في الدهناء وهى أرض =

وَأَبْكَى زَمَانًا صَالِحًا قَدْ فَقَدْتُهُ يَقْطَعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ حَسَرَاتِ
تَمَطَّى عَلَيْنَا الدَّهْرُ فِي مَتْنِ قَوْسِهِ فَفَرَّقْنَا مِنْهُ بَنَابِلَ شَتَاتِ

وقال مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ (١) :

وَكُنَّا كَبْنَدِمَانِي جُذَيْمَةَ حِقْبَةَ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنِي يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

وقال آخر :

خَمْسُونَ عَامًا تَوَلَّتْ فِي تَصَرُّفِهَا عُسْرٌ وَيَسْرٌ عَلَى الْحَالَيْنِ أَشْهَدُهُ
لَمْ أَبْكِ مِنْ زَمَنِ صَعْبٍ لَشِدَّتِهِ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ أَفْقَدُهُ
وَمَا جَزَعْتُ عَلَى مَيِّتٍ فَجَعْتُ بِهِ إِلَّا ظَلَلْتُ لِسْتِرِ الْقَبْرِ أَحْسَدُهُ
وَمَا ذَمِمْتُ زَمَانًا فِي تَقْلِبِهِ إِلَّا وَفِي زَمْنِي قَدْ صَرْتُ أَحْمَدُهُ

ولأبي عبد الرحمن العطوي ، واسمه محمد بن عطية :

سَأَلْتُ عَنْ سَبَبِ الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ وَعَنْ زَوَالِ النَّدَى فِي الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

لنسيم بنجد ، وروى بدل منعج مشرف ، وبصوب : ينزل ويراى . عى الشباب تسمى أى شقها والمسمى أننى بلغت سن الشباب بها بعد الصبا .

(١) متمم بن نويرة بن حجره البربوعى النخعي ، شاعر كبير من أشراف قومه ، اشتهر فى الجاهلية والإسلام ، وأشهر شعره هو ما قاله فى أخيه مالك الذى قتل فى حروب الردة ، وسكن متمم المدينة فى أيام عمر وثوفى بها نحو سنة ٥٣٠ هـ . اظر فى ترجمته الأعلام ١٥٥/٦ والمراجع الكثيرة فى هامشه ، واطر البيت فى السكامل ٢٩٦/٢ ، الشعر والشعراء ١٩٣ ، معجم الشعراء ٤٦٦ .

نُودِي^(١) : دَوَتْ أَنْجَمُ الْإِفْضَالِ وَاشْتَعَلَتْ
 أَنْعَى إِلَيْكَ مَوَاسَاةَ الصَّدِيقِ وَمَا
 أَنْعَى إِلَيْكَ خِلَالَ الْفَضْلِ قَاطِبَةً
 أَيْنَ الْوَفَاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ
 أَيْنَ الْجَلِيلِ الَّذِي قَدْ كَانَ مُلْتَبَسًا^(٢)
 أَيْسِرَ وَأَنْتَ صَدِيقُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 فَإِنْ وَجَدْتَ صَدِيقًا عِنْدَ نَائِبَةٍ
 لَمَّا أَنَاخَ عَلَى الدَّهْرِ كُلَّكَ
 نَادَيْتُ مَا فَعَلَ الْأَحْرَارُ كُلُّهُمْ
 قَالُوا : حَدَا بِهِمْ رَيْبُ الزَّمَانِ فَسَلْ
 أُمُّ التَّوَاصِلِ^(٣) فِي الدُّنْيَا عَلَى عُقْمٍ
 قَدْ كَانَ يَرْعَى مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالذُّنُوبِ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا دَارِسُ الْعِلْمِ
 قَوْمٌ لِقَوْمٍ وَأَيْنَ الْخَفِظِ لِلْحُرَمِ^(٤)
 أَهْلَ الْوَفَاءِ وَأَهْلَ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ
 ثُمَّ ابْنُ سِرِّهِمْ فِي حَالَةِ الْعَدَمِ
 فَلَسْتَ مِنْ طُرُقَاتِ الْخَيْرِ^(٥) فِي أُمَمٍ
 وَخَانِي كُلُّ ذِي وَدٍّ وَذِي رَحِمٍ
 أَهْلُ النَّدَى وَالْهَدَى وَالْبُعْدِ فِي الْهِمَمِ
 أَحْدَاثُهُ عَنْهُمْ تَخْبِرُكَ عَنْ رِمَمٍ^(٦)

روينا عن عبد الله بن مُصْعَبِ الزَّبَيْرِيِّ^(٧) أَنَّهُ قَالَ : خَرَجْنَا إِلَى النَّزْوِ زَمَنَ

(١) فِي : ح : مَادَى .

(٢) فِي ١ : أُمُّ الْفَوَاضِلِ .

(٣) ١ : لِلْخُدَمِ .

(٤) ١ : يَلْبَسُهُ .

(٥) ١ : الْمَزْمُ .

(٦) ١ : أُمَمٌ .

(٧) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْغُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ ، أَمِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْوَرَعِ وَالشُّعْرِ وَالْفَصَاحَةِ ، وَلِيَ الْيَمَامَةَ أَيَّامَ الْخَلِيفَةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ ، ثُمَّ وَلَاهُ الرَّشِيدُ الْمَدِينَةَ وَأَضَافَ إِلَيْهَا الْيَمَنَ تَوَفَّى بِالرَّقَّةِ سَنَةَ ١٨٤ هـ .

مروان بن محمد حتى إذا كنا ببعض الطريق أصابنا مطرٌ وابل ، قلنا إلى قصر رفع^(١) لنا فصرنا إلى فنائه ، إذ خرجت وليدة فقالت : بأبي وأمي ! من أين أنتم ؟ فقلنا : من مكة . فتنفست الصعداء ، وأنشأت تقول :

من كان ذا سَكَنٍ بالشَّامِ يَأْلِفُهُ فَإِنَّ فِي غَيْرِهِ أَمْسَى لِي السَّكَنُ
وإنَّ ذا القصر حَيٌّ مابِه وِطْنِي لَسَكُنٌ بِمَكَّةَ أَمْسَى الْأَهْلُ وَالْوَطَنُ
مَنْ ذَا يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنَزَلُنَا فَالْأَقْوَائَةُ مِمَّا مَنَزَلُ قَرْنُ
إِذْ نَلْبَسُ الْعَيْشَ صَفْوًا مَا يَكْدُرُهُ ضِغْنُ الْوُشَاةِ وَلَا يَنْبُوبُنَا الزَّمَنُ^(٢)

قال : فضينا في غزونا حتى إذا قضينا شأننا وقفنا راجعين ، أخذنا المساء عند ذلك القصر ، فأضافنا صاحبه وأحسن ضيافتنا ، فقلت له : ثمَّ حاجة . فقال : وماهي ؟ قلت : وليدة صفتها كذا ، إما أن تبيع وإما أن تهب ، فقال : ما شاء الله كان ، والله لو كانت حية ما مضيت إلّا بها ، ولكنها ماتت منذ أيام تلهفًا على مفارقة من نشأت معه .

روينا من وجوه أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فقيه مكة^(٣)

(١) في ١ : وضع .

(٢) الأبيات للحارث بن خالد المخزومي ، انظرها في الأغاني ٣/٣٢٥ ، وانظر البيت الثالث في الكامل ١٧/٢ ، والرواية فيه في ١ : من كان يسأل عنا أين منزلنا ، والأقواء : موضع قرب مكة .

(٣) كان إمام أهل المجاز في عصره ، ويعد أول من صنف التصانيف في العلم بمكة ، وهو رومي الأصل من موالى قریش ، مكى المولد والوفاء ، مات سنة ١٥٠ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠ (الأعلام ٣٠٥/٤) .

رضي الله عنه ، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة في دين ركه ، قال : فلما نزلت عليه رجب بن وسهل ، وقال : ما أقدمك هذه المدرة ؟ فقلت : دين ركبني لم تف به جائزة أمير المؤمنين ؛ فضاقت ذرعي فلم أر له سواك ، فخرجت إليك . فقال : قدمت خير مأمدم ، يُنقى دينك وتنصرف محبوباً إلى وطنك . قال : فأقت عنده شهوراً في أحسن مثوى وأكرم ضيافة ، فإني لخارج من عنده يوماً إذ رأيت الناس يتأهبون إلى الحج ، فأدركتني وحشة ، ولم أملك العبء ، وحننت نفسي إلى الوطن ، فرجعت إليه وقد اغرورقت عيناي بالدموع ، فقال لي : مالك ؟ قلت : رأيت الناس في أهبة الحج^(١) ^(٢) والخروج إلى مكة^(٣) فذكرتُ أبياتاً لعمر بن أبي ربيعة حملتني على ما ترى . قال : وأى أبياتٍ عمر هي ؟ فقلت : قوله^(٤) :

أهيهات من أمة الوهاب منزلاًنا إذا نزلنا بسيف البحر من عدن
واحتلَّ أهلك أجياداً فليس لنا إلا التذكر أو حظُّ من الحزن^(٥)
بل مانسيتُ غداة الخيف^(٥) موقفها وموقفي ، وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو سنن^(٦)

(١) في : يتأهبون للحج .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) الأبيات في ديوانه ١٢٦/٢ . وانظرها مع القصة في الأغاني ١١١/١ .

(٤) ساقط من ح . وسيف البحر : ساحله . وأجياد : موضع بمكة سمي بذلك لأن بهاجين نزل مكة

ربط فيه جياده ، وقيل غير ذلك ، انظر معجم البلدان ٢/٢١٣

(٥) الخيف : موضع بمني .

(٦) ذو سنن : ذو طرائق .

باللهِ قولى له فى غير مَعْتَبَةٍ : ماذا أردتَ بطول المكث فى اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دُنْيَاً أو رضيتَ بها فما أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ من عُثْمَنِ

فقال : أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك ؟ قلت : نعم . قال : صحبتك
السلامة ، ورُزقت العافية . وخرجت من عنده فما وصلتُ إلى موضعى ، حتى سبقني
خمسةَ عشرَ بغلاً عليها عَصْبُ اليمنِ ^(١) ، ودراهم ، وضروب من الخير ، فقصيت ديني
وتأثَّلتُ منه كنزاً ^(٢) مما بيدي اليوم .

(١) نوع من الفِزَل اليمنى مشهور .

(٢) فى ١ : كثيراً .

باب مدح منالبة^(١) الهوى وذم اتباعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمَى وَيُصَمَّ » .

قال وهب بن منبه : العقلُ والهوى يعطران ، فإيهما غلب مال بصاحبه .

قال ابن دُرَيْد :

وَأَفَقُّ الْعَقْلُ الْهَوَىٰ فَنَ عَلَا عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا

قال عمر بن عبد العزيز : أفضل الجهاد جهاد الهوى .

قال بعض الحكماء : من نظر بعين الهوى خاف ، ومن حكم بالهوى جار .

قال سفيان الثوري : أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً .

وقال : من المحقرات تنتج الموبقات .

ويقولون : إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَىٰ قَادَكَ الْهَوَىٰ إِلَىٰ بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ^(٢)

(١) في ١ : باب ذم معالنة ... الخ .

(٢) انظر البيت في السكامل ٢٣٦/١ ، معاضرات الأدباء ٢٥٤/١ ، وورد في البيان ١٦٩/٣ برواية مختلفة هي :

إِذَا مَا أَطَاعَتِ النَّفْسُ مَالَ بَكَ الْهَوَىٰ إِلَىٰ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ .

(قلت^(١)) : لو قال :

إلى كلِّ ما فيه عليك مَقَالُ^(٢)

كان أبلغ وأحسن .

قال بعضُ الحكماء : إنما يحتاج اللبيبُ ذو الرأى والنَّجربةُ إلى المشاورة ليتجرّد له رأيه من هواه .

قال بعضهم : اعص النساء وهواك ، واصنع ما شئت .

قلت^(٣) : لو قال اعص الهوى لاكتفى .

قيل للمهلب : بم ظفرت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى .

قالوا : ما ذكر الله تعالى الهوى في شيء من القرآن^(٤) إلا ذمه .

قيل لشريح : أحمد الله لما سلمك من الفتن . قال : كيف أصنع بقلبي وهواي ؟

قال بزرجمهر : الهوى غالب ، والقلوب مغلوقة .

قال امتدح بترك الهوى جماعة من الحكماء ، قال الزبير بن عبد المطلب :

(١) في ح : قال أبو عمر .

(٢) ساقط من أ .

(٣) في أ ، ح : قال أبو عمر .

(٤) أ : في كتابه .

وأجنب البوائق حيث كانت وأترك ما هويت لما خشيت^(١)

أخبرنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا نصر بن محمد الأسدي الكوفي ،
حدثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي ، حدثنا محمد بن حسين ، حدثنا هشام
ابن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : بينما عمر بن الخطاب يجوس ذات ليلة إذ سمع
امرأة وهي تقول :

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربها أم من سبيلٍ إلى نصرٍ بن حجاج

فلما أصبح قال : علي بن نصر . فجاء به ، فإذا هو أجهل الناس ، فقال : إنها المدينة
فلا تسأكني فيها . فخرج إلى البصرة فنزل على ابن عم له ، هو أمير البصرة ،
فبينما هو جالس مع ابن عمه وامراته ، إذ كتب في الأرض : إني لأحبك حباً لو
كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلك . فقرأته وكتبت تحته : وأنا . وكان
الأمير لا يقرأ ، فعلم أنه جواب كلام ، فأكفأ عليه إناءً وقام وبعث إلى من
يقرأه ، فبلغ ذلك نصراً ، فلم يجيء إليه ، ومرض حتى سلّ وصار شبه الفرخ ، فأخبر
الأمير بذلك ، فقال : اذهبي إليه ، فأبت ، فقال : عزمتُ عليكِ إلا ذهبتِ إليه
وأسندته إلى صدرك وأطعمته .

قال : فلما أتت الباب قيل له : هذه فلانة . فكأنه انتعش شيئاً ، فصعدت

إليه وأسندته إلى صدرها وأطعمته ، فأفاق ، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقه بعدها .

قال إبراهيم بن عثمان :^(١) الأمير مجاشع بن مسعود السلمي ، وامرأته الخضراء^(٢)

^(١) قال إبراهيم بن عثمان : وأخبرني محمد بن كثير ، أن نصر بن حجاج كتب إلى عمر رضى الله عنه :

لَعَمْرِي لئن سَيَّرْتَنِي وَحَرَمْتَنِي وما جِئْتُ ذَنْبًا إِنِّ ذَا حُرَامٍ^(٣)
وما لي ذَنْبٌ غَيْرَ ظَنِّ ظَنَّتُهُ وفي بعضِ تصديقِ الظنونِ أَثَامُ
أَأَنْ غَنَّتِ الدَّلْفَاءُ يَوْمًا بِمُنِيَّةٍ وبعضُ أُمَانِي النساءِ غَرَامُ
ظَنَنْتَ بِي الْأَمْرَ الَّذِي لَوْ أَتَيْتُهُ لما كَانَ لِي فِي الصَّالِحِينَ مَقَامُ^(٤)

(١) ساقط من ١ ، هذا وقد ذكر في الأغاني ١٩ / ١٤٣ أن اسم امرأة الأمير هو شميلة بنت جنادة بن أبي أرهر الزهرانية ، وفي هاش عيون الأخبار ٤ / ٢٤ أورد ماجاء في تاج العروس مادة شمل من أن اسمها هو شميلة بنت أبي أزهر الدوسي زوج مجاشع بن مسعود السلمي أمير البصرة ، وقال وفي تزيين الأسواني لداود الأنطاكي أنها شميلة بنت أبي حياء بن أبي بهر ، وكانت مع أجمل النساء وعلى أى حال فقد انفتحت الروايات على أن اسمها شميلة فلعل ما ذكره المؤلف من أنها الخضراء هو لقب لها . وبهذه المناسبة فقد وردت هذه القصة في المراجع السابقة وفي المحاسن والأضداد ١٨٩ بما لا يخرج في مضمونه عن هنا ، وأوردها ابن أبي الحديد في نهج البلاغة ٣ / ١٥٢ بفضل تفصيل إلى حد أنه تتبع حياة نصر ، وذكر له قصصا غرامية أخرى ، ويبدو أن الجزء الأول من القصة هو ما قد حدث فعلا ، أى حادث الذي وما سبقه ، أما الجزء الثانى وأبيات نصر التي كتبها إلى عمر فمشكوك فيها وقد قال ابن قتيبة عن الأبيات في العيون : أحسب هذا الشعر مصنوعا .

(٢) في العيون : لعمرى إن . وفي اصيرتنى .

(٣) في العيون : ظننت بى الظن الذى ليس بعده بقاء ومالى فى الذى كلام

وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَمَنَّتْ حَفِيزَتِي وَأَبَاءُ صِدْقٍ صَالِحُونَ كِرَامٌ^(١)
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا وَيَتُّ لَهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامٌ^(٢)
فَهَاتَانِ حَالَانَا فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعِي فَقَدْ جُبَّ مَنِّي غَارِبٌ وَسَنَامٌ^(٣)

قال بعض الحكماء : الهوى عدو العقل ، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرك من
تشاوره فاجتنب أقربهما إلى هواك .

ومما ينسب إلى الشافعي ، وأظنه لسهل الوراق :

إِذَا حَارَ ذَهْنُكَ فِي مَعْنِينَ وَأَعْيَاكَ حَيْثُ الْهَوَى^(٤) وَالصَّوَابُ
فَدَعْ مَا هُوِيَ فَإِنَّ الْهَوَى يَقُودُ النُّفُوسَ إِلَى مَا يِعَابُ

قال غيره : اغتنم من الخير ما عجلت ، ومن الهوى ما سوفت .

كان يقال : إذا غلب عليك عقلك فهو لك ، وإن غلب عليك هواك فهو
لعدوك .

قال عمر لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال : من كان رأيه رادًّا لهواه .

(١) في البيون : تسكرمي بدل حفيظتي ، وسالفون بدل صالحون .

(٢) رواية البيون : خباؤها وحال لها مم عفة .

(٣) رواية البيون : وقد خف مني كاهن وسنام .

(٤) في ١ : الهوى .

قال أعرابي : ما أشدَّ جولة الرأى عند الهوى ، وأشدَّ فطام النفس عند الصبر .

قال نفطويه :

إِنَّ الْمَرَأِيَّ لَا تَرِيكَ خَدُوشَ وَجْهِكَ فِي صَدَاهَا
وَكَذَلِكَ نَفْسُكَ لَا تَرِيكَ عِيُوبَ نَفْسِكَ فِي هَوَاهَا^(١)

وعن نفطويه ، قال : تضيّف صديقٌ لى من أهل الأدب إلى امرأة من أهل البصرة ، فتعرض لها ، فقالت : أيها الرجل ! مالك حظ في غيرة الرجال على الحرم ، فيكون ذلك زاجراً لك عن التعرض لحرم غيرك ، إن لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ أما علمت أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها ، وإن من عود نفسه الرّفث والخنا كان كمن اتخذ المزابل مجلساً ، وقلما يجن^(٢) رجل إلا هلك .

قال الشاعر :

الْحُبُّ زُورٌ وَالْهَوَى بَاطِلٌ وَالْقَلْبُ مَا أَجْرِيته يَجْرِي
وَتَرَكْتُ مَا تَهْوَى يَسِيرٌ إِذَا أَعْمَلْتُ فِيهِ سَمَةَ الطَّسْدِرِ

وقال منصور النمرى :

(١) نسب البيتان إلى منصور الفقيه في : محاضرات الأدباء ٧/١ ، فصل المقال ٢٤٤ ، التمثيل والمحاضرة

وإنَّ امرئاً أودى الغرام^(١) بلبه لعيان من ثوبِ الفلاح سَلِيبُ

قال آخر :

عينُ المحبِّ كليلَةٌ عن عيبِ كلِّ فتى يود

قال عمر بن أبي ربيعة :

حَسَنٌ في كُلِّ عَيْنٍ من تود^(٢)

وقال رَوْحُ أبو هَمَّام^(٣) :

وعَيْنُ السُّخْطِ تبصرُ كلَّ عيبٍ وعَيْنُ أخِي الرِّضَا عن ذاك تَعْمَى

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فَعَيْنُ الرِّضَا عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ ولكنَّ عَيْنُ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

قال أبو العتاهية :

والمرءُ يَعْمَى عَمَّنْ يَحِبُّ فَإِنْ أَقْصَرَ عن بعضِ ما بِهِ أَبْصَرُ^(٥)

(١) في : أودى المرام ، وفي ح : أزرى المدام .

(٢) عجز بيت ، وصدرة .

فتضاحكن وقد قلن لها . انظر ديوانه ٤٥/١

(٣) انظر البيت في الحيوان ٤٨٨/٣ ، واسم الشاعر هناك : روح بن عبد الأعلى أبو هام ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) لم يرد هذا البيت في الديوان المطبوع .

بابُ معنى عِشْقِ النِّسَاءِ والهوى فيهن

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ ،
أَسْلَبَ لِعَقولِ ذَوِي الْأَبْأابِ مِنْكُنَّ » .

سُئِلَ بعضُ الحكماءِ عن العِشْقِ ، فقال : شغْلُ قلبٍ فارغٍ .

وجد في صحيفةٍ لبعضِ أهلِ الهند : العِشْقُ ارتياعُ جُملِ في الروح ، وهو معنى
تنتجِه النجومُ بِطَراحِ شِمعائها ، وتنولُ الطوالعُ بِوصلةِ أشكالها ، وتقبلُه النفوسُ
بِلطيفِ خواطرها ، وهو بعدُ جلاءٌ للقلوبِ ، وصَيْقِلٌ للأذهانِ ما لم يُفِرطْ ، فإن
أفِرطَ عادَسُ قاتلاً ، ومَرَضاً مُنْهَكاً ، لا تنفدُ فيه الآراءُ ، ولا تنجعُ فيه الحيلُ ،
العلاجُ منه زيادةٌ فيه .

حضر عند المأمون يوماً يحيى بن أكرم ، وثمّامة بن أشرس ، فقال المأمون
ليحيى : خبرني عن حدِّ العِشْقِ فقال : يا أمير المؤمنين ! سوانحُ تسنُّجٍ للعاشقِ
يؤثرها ويهيم بها تسمى عشقاً . فقال ثمّامة : اسكت يا يحيى ، فإنما عليك أن تجيب
في مسألة من الفقه ، وهذه صناعتنا . فقال المأمون : أجب يا ثمّامة . فقال : يا أمير
المؤمنين ! إذا تقادحت جواهر النفوسِ المتقاطعة بِوصلِ المشاكلة أثقبت^(١) ملح

(١) في ح : أثبتت .

نورٍ ساطع تستضيء به بواطن^(١) العقل قمتن لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصور من ذلك المصحح نور حاضر^(٢) بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا^(٣) .

وصف أعرابي عاشقا ، فقال : كان يستر عيناً قد درت ما فيها ، ويحنو على كبدي قد أعت مداويها^(٤) .

ذكر رجل أيام شبابه وامرأة كان يهواها ، فقال : ذلك هوئى شر به النفس أيام شبابه ، فاستخفت بالعاذلات^(٥) وعتابها .

وصف بعض الحكماء الهوى الذى هو عشق للنساء ، فقال : بطن فرق ، وظاهر فكشف ، وامتنع وصفه عن اللسان فهو بين السحر والجنون ، لطيف المسلك والسكمون .

وقال بعض الأدباء : الهوى جليس ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب ممالك ، مسالكة لطيفة ، ومذاهبه متضادة وأحكامه سائرة^(٦) ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والمقول وآراءها ، وأعطى عنان

(١) : نواظر .

(٢) : ويتصور من ذلك اللحم نور خاطر ... الخ .

(٣) انظر هذا الخبر مع اختلاف قليل في الألفاظ في العقد التمريد ٣١٧/٢ ، وفيه : أن المأمون سأل عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب فقال .. الخ

(٤) في ١ : مداوئها .

(٥) : بالنازلات .

(٦) : ١ : جائرة .

طاعتها^(١)، وقادَ نصرَها ، تواری الأَبصارَ مَدخلُهُ ، ونَمَضَ في القلوبِ مَسْلَكُهُ .

قال عباس بن الأحنف ، فيما أنشدَه إسحاق الموصلي له .

فلو كان لي قلبانِ عشتُ بواحدٍ وَخَلَّيْتُ قَلْبًا في هَواكَ يُعَذِّبُ
ولكنما أحيا بقلبٍ مُروِّعٍ فلا العيشُ يصفُو لي ولا المَوْتُ يَقْرُبُ
تعلمتُ ألوانَ الرِّضا خوفَ سُخطِها وَعَلَّمَهَا حَبِّي لها كيف تَغْضَبُ
ولي ألفُ وجهٍ قد عرفتُ مكانَهُ ولكنْ بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ^(٢)

والصِّمَّةُ^(٣) القُشَيْرِيُّ :

لَعَمْرِي لَئِنْ كُنْتُمْ عَلَى النَّأْيِ وَالنِّعَى بَكُم مِثْلُ ما بِي إِنْ كُمْ لَصَدِيقُ
إِذَا زَفَرَاتُ الحُبِّ صَعْدَنَ في الحَشَى رُدِدْتَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهِنَّ طَرِيقُ^(٤)

للعباس بن الأحنف^(٥) :

أَرَى الطَّرِيقَ قَرِيبًا حِينَ أُسْلِكُهُ إِلَى الحَبِيبِ بَعِيدًا حِينَ أَنْصَرِفُ

(١) ١ : زمام أعنتها .

(٢) ديوانه ١٦ .

(٣) ساقط من ١ : والصمة القشيري هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيري ، شاعر غزل ، بدوي ، من شعراء العصر الأموي ، ومن العشاق المتبعين ، كان يسكن بادية العراق وانتقل إلى الشام بعد فشله في الزواج بتجويته ، ثم خرج غازيا يريد بلاد الديلم فمات بطبرستان نحو سنة ٩٥ هـ . انظر الأغاني ١٢٦/٥ طبعة الساسي ، خزنة البغدادى ٤٦٤/١ (الأعلام ٣/٣٠٠) .

(٤) انظر البيهقي في أمالي القالي ٢٨/١ ، محاضرات الأدباء ٣٧/٢ ، ورواية الأمالي : كرر فلم يلق ، ورواية المحاضرات : رددن ولم يوجد لهن . وفي ١ : يهيج بدل يفتح .

(٥) ديوانه ١٥٢ .

أُنشدنا أبو القاسم محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه في معنى بيت

عباسي هذا :

أمرُ شيطَانٍ إِذَا زُرْتَكُمْ وَأَرْجِعُ كِسْلَانٍ لَا أَنْشَطُ
وسيرُ المطيَّةِ مَا كَدَّنِي وَلَكِنْ هَوَى لَكُمْ مُفْرِطُ

وقال العباس بن الأحنف^(١) :

يَقْرَبُ الشَّوْقُ دَارًا وَهِيَ نَارِحَةٌ مِنْ عَالَجِ الشَّوْقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا

وله^(٢) :

مُتُّ عَلَى مَنْ غَبَتْ عَنْهُ أَسْفَا لَسْتُ مِنْهُمْ بِمَصِيبٍ خَلْفَا
لَنْ تَرَى قَرَّةَ عَيْنٍ أَبَدًا أَوْ تَرَى نَحْوَهُمْ مَنْصَرَفَا
قُلْتُ لَمَّا شَفَّنِي وَجَدِي بِهِمْ : حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا بِي وَكَفَى
بَيْنَ الدَّمْعِ لَنْ يُبْصِرَنِي مَا تَضَمَّنْتُ إِذَا مَا ذَرَفَا

ولمحمد الزبيدي :

أَتَيْتُكَ حَائِذَا بِكَ مِنْكَ لَمَّا ضَاقَتْ الْحِيلُ

(١) ديوان ٢٧٤

(٢) الديوان ١٤٠

وصيرني هواك وبى لحينى يضربُ المشلُ
فإن سلمت لكم نفسى فما لافيته جَلالُ^(١)
وإن قتل الهوى رجلاً فإني ذلك الرجلُ

كتب المهدى إلى الخيزران وهو بمكة :

نحن في أفضل الشرور ولكن ليس إلا بكم يتمُّ السرورُ
عيب ما نحن فيه يا أهل ودى أنكم غبتم ونحن حضورُ
فأجدوا المسير ، بل إن قدرتم أن تطيروا مع الرياح فطيروا^(٢)

فأجابته :

قد أتانا الذى وصفت من الشؤ ق فكدنا . وما فعلنا نَطِيرُ
ليت أن الرياح كن يؤدِّي ن إليكم ما قد يحنُّ الضميرُ
لم أزل صَبَّةً فإن كنت بعدى فى سرورٍ فدام ذاك السرورُ

قال بعضُ الأدباء : ما أشدَّ جولة الرأى عند الهوى وفطام النفس عند الصبِّ^(٣) ،
لقد تصدعت كبدى للمحبِّين ، لوم العاذلين قرطة فى آذانهم ، ونيران متأججة

(١) ق ٥ : جدل ، والجلال : الهمير ، ويطلق أيضا على العظيم ، صد .

(٢) انظر الأبيات فى محاضرات الادباء ١/ ٣٠٧ .

(٣) ق ١ : الصبر .

في أبدانهم ، لهم دموع غزيرة على الغماني ، كغروب السواني^(١) ، وأنشد :

نسقى الله أطلالاً لليلى وشققته
عليهن من غمر الغمام جُيوبُ
فما تقشعر الأرض إن زلت بها ولكنها تزهى بها وتطيبُ

وقال آخر :

وقال أناسٌ : لا يضيرك تأنيها
بلى كل ما شَفَّ النفوسَ يضيرُها
أليس يضيرُ العينُ أن تكثر البكا ويُمْنَع منها نومها ومُرورها^(٢)

وقال آخر :

فلو أن شَرَقَ الشَّمْسُ بينى وبينها
وأهلى وراء الشمس حيث تُغيبُ
لحاولتُ قَطَعَ الأرضِ بينى وبينها وقال الهوى لى : إنه لقريبُ

وقال العمدة بن عبد الله القشيري :

إذا ما أَتَنَّا الرِّيحُ من نحو أرضكم أُتِنَّا برياًكم فطاب هُبُوبُها
أُتِنَّا برِيعِ المسك خالط عنبراً وريح الخزامى باكرتها جُنُوبُها^(٣)

(١) السواني جمع سانية ، وهى الدلو العظيمة ، وغروبها ماؤها . وتذهب العين بالانية عندما تفيض منها الدموع .

(٢) البيتان فى حماسة أبى تمام ١٢٦/٢ ، أمالى الغال ٨٨/١ منسوبين لنوبة بن الحمير ، وانظر المحاسن والأنداد ١٢٥ ، ورواية / يضير النفس بدل العين .

(٣) البيتان فى الأغاني ١١٥/٤ .

وقال آخر :

نصافَ قلبي الهوى فأكثر سهوى وجوى الحب مُنقطع كلّ خلوى
لو علّا بعض ما علانى ثبيراً^(١) ظلّ ضعفاً ثبير من ذاك يهوى
من يكن من هوى النوائى خلواً يا ثقاتى فأتى غير خلوى

^(٢) قال العباس بن الأحنف :

جرى السيلُ فاستبكرانى السيلُ إذ جرى وفاضت له من مُقلتى غروبُ
وما ذاك إلا أن تيقنتُ أننى أمرُ بوادٍ أنتِ منه قريبُ
يكون أجاباً قبلكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيبُ
أياً ساكنى شرقى دجلة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب^(٣)

قال بعضهم : لو لم يكن فى العشق إلا أنه يشجع قلب^(٤) الجبان ، ويسخى كف
البخيل ، ويصقّ ذهن الغبى ، ويبعث حزم العاقل ، ويخضع له عزّ الملوك ، وتصرّع
له صولة الشجاع ، وينقاد له كلُّ ممتنع ، لكفى به شرفاً .

قال الأصمعى : سمعت أعرابياً يقول : إذا ترنمت هتوف الضحى^(٤) على الفصون ،

(١) اسم يطلق على عدة جبال خارج مكة .

(٢) ساقط من ج ، وانظر الأبيات فى الديوان ١٦ .

(٣) فى ١ : القلب .

(٤) فى ١ : محبوب الرياح .

أرسلت الشُّنُون^(١) مياها إلى العيوت ، فن ذاد عينه عن البكا أورث
قلبه حزنا .

عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة^(٢) ، فأطمعته في نفسها ، فبعث
يستهديها^(٣) طعاماً ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكثر عليها ، بعثت إليه :
رأيت العشق يكون في القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وحبك
لا أراه تجاوز^(٤) المعدة .

قال أعرابي من فزارة : عشقت امرأة من طيِّ ، فكانت تظهر لي مودة ،
فوالله ما جرى بيني وبينها شيء من ريبة ، غير أني رأيت يياض كفها ليلة^(٥) ،
فوضعت كفي على كفها ، فقالت : مه ! لا تقسد ما صلح ، فأرفضت عرقاً من قولها ،
فما عدت لمثل ذلك .

قال بعضهم : الرجلُ يكتُمُ بُغضَ المرأة أربعين يوماً ، ولا يمكنه أن يكتُم
حبها يوماً واحداً ،^(٦) والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوماً^(٦) ، ولا يمكنها أن

(١) في ١ : الشون ، والشنون : مجاري الدمع في العين .

(٢) في التكمال ١١/٢ : عشق أبو القمقام بن بئخر السقا جارية مدنية ، وقد ورد الخبر هناك بتفصيل أكثر .

(٣) في ٢ : ليدتها .

(٤) في ١ : وجبك لايجاوز .

(٥) في ١ : في سواد الليل .

(٦) زيادة يستقيم بها الغرض .

تسكنم بفضه يوما واحدا .

قال يوسف بن هرون^(١) :

دَقَّتْ مَمَانِي الْحُبَّ عَنْ أَذْهَانِهِمْ فَتَأَوَّلُوهُمَا^(٢) أَتُبَحَّ التَّأْوِيلُ
وقال كثير :

إِذَا مَا أَرَادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تَسْتَمِيلَنَا أَيْبِنَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ^(٣)
وقال حبيب :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا^(٤)
لعلي بن الجهم :

يَا سَائِلِي مَا الْهَوَى اشْتَمَعَ إِلَى صِفَتِي الْحُبُّ أَعْظَمُ مِنْ وَصْفِي وَمِقْدَارِي
ماء المدامع نَارُ الشَّوْقِ تَحْدُرُهُ فَهَلْ سَمِعْتَ بَعَاءَ فَاضٍ مِنْ نَارِ^(٥)

(١) السكندى الرمادى ، شاعر أندلسى عال الطبقة ، أصله من رمادة من قرى شلب ، مولده ووفاته بقرطبة مدح المنصور بن أبى عامر ، ثم شاعت عنه أشعار فى دولة الخليفة ورجالها نسجن ، وظل فى السجن مدة طويلة حتى أفرج عنه . توفي سنة ٤٠٣ هـ . انظر بتيمة الدهر ١/٣٤ ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٣ (الأعلام ٩/٣٣٦) .

(٢) فى ح : فتأولوا .

(٣) البيت فى الديوان ٣/٣١ هـ وفيه : تريدنا بدل تستميلنا ، وفى معاضرات الأدباء ٢/٢٢ : إذا واصلتنا خلة كسى تزيلها . . . عرضنا ، وفى العيون ٤/٢٨ : إذا وصلتنا . . . كسى تزيلنا .

(٤) فى ح : فتعكما ، والبيت فى الديوان ٣١٢ ، وقد نسب للمجنون فى الحيوان ١/٤٠ ، ونسب لابن الطثرية فى العدد الفريد ٥/١٢٢ ، معاضرات الأدباء ٢/٢٢ .

(٥) فى أ : تخرجه بدل تحدره ، وانظرهما فى ديوانه ٣٢ .

وقال أبو العتاهية :

أَذَابُ الْهَوَى جَسْمِي وَلَمْ يَ قُوَّتِي فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ النُّضُورُ
رَأَيْتُ الْهَوَى حَجَرَ الْعَصَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ حُلُمٌ^(١)

وقال آخر :

أَسِرُّ الَّذِي بِي وَالذَّمُوعُ تَبُوحُ وَجِسْمِي سَقِيمٌ وَالْفَوَادُ قَرِيحُ^(٢)
وَبَيْنَ ضُلُوعِي لَوْعَةٌ لَمْ أَزَلْ بِهَا أَذُوبُ اشْتِيَاقًا وَالْفَوَادُ صَحِيحُ

وقال الصَّمَّةُ الْقَشِيرِيُّ :

أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذَكْرِيكَ مَا كَفَفْتُ الْعَيْنَ مَذْمَعًا
فَقَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ ذَكَرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صَمٍّ الصَّفَا لَتَصَدَّعًا^(٣)

وَأَكْثَرُهُمْ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ^(٤) فِي هَذَا الشَّعْرِ قَوْلُهُ^(٥) :

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكُ^(٥) مِنْ لَيْلِي وَشَعْبًا كَمَا مَعَا

(١) لم يرد البيتان في ديوانه المطبوع .

(٢) في ١ : جريح .

(٣) هذا البيتان لم يردا ضمن الأبيات التالية في المراجع ، وقد ذكر ابن خلكان في الوفيات ١٣/٥ أن ابن عبد البر وحده هو الذي ذكرهما مع هذه الأبيات في كتابه بهجة المجالس .

(٤) زيادة من ١ . وانظر الأبيات للصمة في الأغاني ١٦٧/٢ ، حاسة أبي تمام ٥٤/٢ ، ٥٥ ، أمالي

الغالي ١٩١/١ .

(٥) في ٢ : قرايرك .

فما حسنُ أن تأتيَ الأمرَ طائفاً^(١) وتجزعَ أن داعي الصَّبايةِ أنعمَا
 بكتِ عيني اليسرى^(٢) فلما زجرتها عن الجملِ بعد الحلمِ أسبَلتَا معاً
 وأذكرُ أيامَ الحَمَى ثم أنثني^(٣) على كبدِي من خشيةٍ أن تصدَّما
 فليستُ عَشِيَّاتُ الحَمَى برواجعٍ إليك^(٤) ولكنْ خلَّ عينيكَ تدمعاً
 ومهم من ينسبها إلى قبس بن ذريح ، وللمجنون أيضاً تنسب^(٥) ، والأكثر
 أنها للصَّمَّة :

(٢) في > : الحمى .

(١) في > : عاشق .

(٣) في المياسة : حتى وجدتني .

(٤) في ١ : عليك .

(٥) وبالإضافة إلى هذا قد نسبت في وفيات الأعيان ١١٣/٥ لابن الطيرة ، ونسبت في المعبد الفريد ٣٣/٩ لابن الحمينة .

الفهرس

القسم الأول من كتاب بهجة المجالس لابن عبد البر

صفحة

٣	تصدير
٧	مقدمة المحقق
٣٥	مقدمة المؤلف
٣٩	باب آداب المجالسة وحق الجليس الصالح
٥٤	باب حمد اللسان وفضل البيان
٦٠	باب ذم العى وحشو الكلام
٦٤	باب فى اجتناب اللحن ، وتعلم الإعراب ، وذم الغريب فى الخطاب
٧١	باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة
٧٣	باب من خطب فأرتج عليه
٧٥	باب حمد الصمت وذم المنطق
٩٠	باب من مزدوج الكلام
٩٤	باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة
١٠٧	باب الأدب
١١٥	باب ترويح القلوب وتنبهها
١١٧	باب قولهم فى وصف العيش وما تتمناه النفس
١٢٨	باب اختلاف الهمم فى أنواع المال
١٣١	باب التجارة

منهجة

باب الرزق	١٣٧
باب الحرص والأمل	١٥٢
باب ذم السؤال وحمد ما جاء عن غير مسألة من النوال ..	١٦١
باب انتظار الفرج	١٧٥
باب الحد والجد	١٨٦
باب المال حمداً وذماً	١٩٥
باب جامع القول في الغنى والفقر	٢٠٥
باب الدين	٢١٥
باب الاقتصاد والرفق	٢١٧
باب السفر والاعتراق	٢٢١
باب التحول عن مواطن الذل	٢٣٨
باب التوديع والفراق	٢٤٦
باب الزيارة والعيادة	٢٥٧
باب العيادة أيضاً	٢٦٢
باب الحجاب	٢٦٥
باب المصافحة وتقيل اليد والضم	٢٧٤
باب الهدية	٢٨٠
باب الجار	٢٨٩
باب الضيف	٢٩٥
باب المعروف	٣٠٢
باب الشكر	٣١٠
باب في طلب الحاجات	٣١٧

صفحة	
٣٣١	باب السلطان والسياسة
٣٥٣	من الأمثال في السلطان وصحبتة
٣٥٥	باب الكتاب والكتابة
٣٦١	باب الظلم والجور
٣٧٠	باب العفو والتجاوز وكظم الغيظ
٣٧٥	باب الغضب
٣٧٨	باب الرجاء والخوف
٣٨٣	باب العافية والبلاء
٣٨٦	باب المرض والطب
٣٩٣	باب الطاعة والمعصية
٣٩٧	باب النية والنية
٤٠٦	باب البنى والحسد
٤٢٦	باب الفتن والزكاة
٤٣٠	باب المراء والخصومة والملاحاة
٤٣٧	باب الكبر والعجب والتهيه
٤٤٩	باب الرأي والمشورة
٤٥٨	باب كتمان السر وإفشائه
٤٦٦	باب الحرب والشجاعة والجبن
٤٨٤	باب الاعتذار
٤٩٢	باب المواعيد
٤٩٨	باب عيون من المدح
٥٣٢	باب العقل والحق
٥٤٨	باب من أجوبة الحمقى ومراجعة السفهاء ، وألقاظ النوكى والجهلاء
٥٥٦	باب الملح وما به النفس ترتاح من مباح المزاح

٥٦٥	باب الزاح إباحة وكراهة
٥٧٢	باب مدح الصدق والأمانة ، وذم الكذب والخيانة
٥٧٩	باب الحق والباطل
٥٨٩	باب الحياء والوقار
٥٩٤	باب حسن الخلق وسوئه
٥٩٨	باب مكارم الأخلاق والسودد
٦١٥	باب حمد الحلم وذم السفه
٦٢٣	باب مدح الجود والكرم ، وذم البخل والؤم
٦٤٠	باب المروءة والفتوة
٦٤٨	باب امتحان أخلاق الرجال
٦٦١	باب التودد إلى الناس
٦٦٩	باب الاستيحاء من الناس والفرار منهم
٦٨٤	باب الصديق والعدو
٧٠١	باب جامع متخير في الإخوان
٧٣١	باب الثقلاء والطفيليين
٧٤٣	باب الشامة
٧٤٩	باب مؤاخاة من ليس على دينك
٧٥٦	باب الولد والوالد
٧٧٤	باب الأقارب والموالي
٧٨٧	باب المملوك والمالك
٧٩١	باب الذكر والثناء
٨٠٨	باب مدح ، غالبية الهوى وذم اتباعه
٨١٥	باب معنى عشق النساء والهوى فيهن